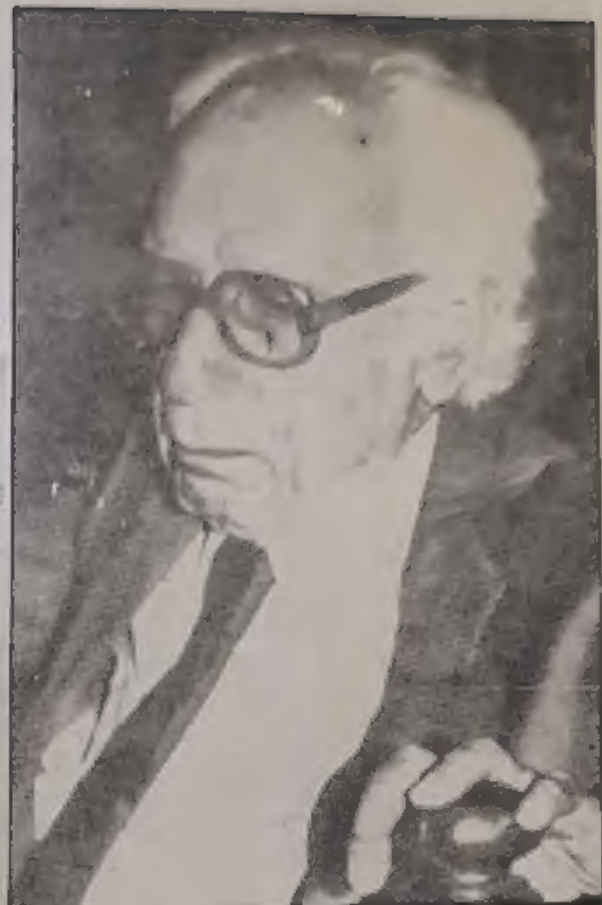


الدكتور كمال السامرائي



حديث الشمانيين

الجزء الثالث

وزارة الثقافة والاعلام



دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد - ۱۹۹۶

حديث الثمانين سيرة وذكریات

الجزء الثالث

د . كمال السامرائي

- بغداد - ١٩٩٦

١ و ٩٣٦

س ٢٨٤ السامرائي ، كمال

حديث الثمانين سيرة وذكريات / كمال السامرائي .. بغداد :
دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٦

ج ٣ (٢٣٢ ص) : ٢٤ سم .
١ - السامرائي ، كمال (طبيب)

١ . العنوان

٣٠٢
١٩٩٦ / ١٤٤

المكتبة الوطنية (فهرسة أثناء النشر)

رقم الایداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٤٤ لسنة ١٩٩٦

صيفه وشتاء على سطح واحد ايلول ١٩٦٠

هذا المثل شعبي مشهور ، وحكايته معروفة ، اما ما يخصني منه فله حكاية اخرى انقلها بصلى وامانة .

كان إبني (محمد) مولعاً بتربية طيور الحمام ، فاشترى له ما يريده منها كما استورد بعضها من خارج العراق بواسطة السيد (الجمالي) ومحلّه في حانوت يقابل كلية العلوم في الاعظمية ، فجمع ابني محمد انواعاً غريبة من هذه الطيور منها الهنداوي الابيض ، والهنداوي الرمادي والهنداوي الاحمر ، (والحمام المخطوط) الغريب الالوان . وفي غيابي بلبنان من شهر تموز ١٩٦٠ سرق من برج حمام ابني خير مافيه من الطيور ، وبعد وصولي الى بغداد اخطرتني دائرة مكافحة الاجرام الواقعة قرب (جامع العساف) ان احظر الى الدائرة المذكورة لاداء بيان عن سرقة الطيور ، واستقبلني موظف هذه الدائرة شاب يرتدي قميصاً ابيض وسروالاً رمادياً واكرمني (باستكان) من شاي الليمون ، وقال بلغة رقيقة .

— انا يانكتور اعرف جيداً كم انت مشغول ، وانك بمجيئك الى هذه الدائرة تقوم بتشجيع اعمالنا في مكافحة الجريمة .

فقلت له

ان هذا واجب وليس لي فضل فيه ، ولكنني في الحقيقة لست الشخص الذي رفع خبر السرقة اليكم ، انما الذي رفعها اليكم هو ابني وهو صاحب الطيور المسروقة ، كما لم اكن يوم سرت في العراق ، بل في لبنان .

فعلق على كلامي قائلاً

— انا اعرف ذلك ، ولا فرق جوهرى ان جاءت الشكوى منك او من ابنك طالما باي منكما يتحقق الهدف

ولم اشأ ان اناقشه هذا القرار فاديت افادتي عن سرقة الطيور وانصرفت من غرفته ، وهو يودعني بمثل ما استقبلني من التودد والتقدير ، وبعد زهاء ثلاثة اشهر تقريباً وصلني امر من محكمة الكرخ الواقعة في شارع دمشق ، ان احضر في الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء ١٤ / ١١ / ١٩٦٠ لاداء بمعلوماتي عن سرقة طيور الحمام من بيتي ، وقدوت من هذا الاستدعاء ان دائرة مكافحة الاجرام قد القت القبض على

السارق . وحضرت في المحكمة في الوقت المحدد ، ووقفت بين حشد من الناس بانتظار ان ينادوني للمثول امام الحاكم في دائرته القضائية . وسمعت من ينادي باسمي وكأنه دلال يسمى بضاعته لبيعها . ودخلت ديوان الحاكم ، ولم يكن فخماً في نوعية اثاثه مع كثرتة بالنسبة لحجم المكان وما كاد ذلك الحاكم يراني اعبر مدخل غرفته حتى كلمني بادب واحترام وكأنه يعرفني اوانه استحضر لهذه المقابلة ما يليق بها او ما يليق بموضوعها .

— اهلاً بالدكتور ، كمال السامرائي ، تفضل

فقابلته قائلاً

— شكراً يا فضيلة الحاكم .

ولما إستقر لي المقام على كرسي قريب من منضدته ، وكان ذلك الحاكم هو الذي أشار الى ان اجلس على ذلك الكرسي ، تبين لي بنظرة فاحصة ، انه في نحو العقد الرابع من عمره ، مكوّر الرأس وبحجم كبير ملحوظ ، وشعر جمته مقطوع بالحاح . وتنحنح فضيلة الحاكم كافتتاحية لما يريد ان يقوله ، او ليثير انتباهي اليه ، وقال .

— ان هذه المقابلة ليست جزء من الجلسة القضائية التي ستعقد فيها لإصدار الحكم على السارق ، غير انني طلبتك لاقول لك ما في صدري فقلت له تفضلوا ، فقال — انت الله مفضل عليك الكثير ، اليس كذلك ؟

ولم اقاطعه بل قلت : الحمد لله ، فقال

— فكم يكون ثمن طيورك المسروقة ، عشرون ديناراً ؟ ثلاثون ديناراً ؟ اربعون ؟ خمسون ديناراً ؟ كم تساوي ؟

وشعرت حالاً ان هذه الاسئلة مقدمة لشيء آخر استحضره الحاكم ، فقلت له . — انها سرقة بعرف القانون ، ولا يعني القانون باثمان الطيور المسروقة بقدر ما يعني بالسرقة كحركة يعاقب عليها الجاني ، كما انني لست المشتكي يا فضيلة الحاكم وانتبه الحاكم الى هذه الافادة فسألني باستغراب

— من هو المشتكي إذن ؟

— ابني ، هو المشتكي

وبدا الانتصار على وجه الحاكم وهو يقول

— هذه مخالفة قانونية ان لم تكن قد ارتكبتها في دائرة مكافحة الاجرام ا فقلت له

— هذه ليست مشكلتي .

فقال الحاكم بعد أن سها قليلاً .

— ما علينا من هذا ، وإنما أريد أن أسالك ألا يؤمك أن يحبس هذا السارق ؟

وتبقى عائلته الفقيرة محرومة من رجلها ؟ وهو معيها الوحيد !

انصت الى هذا الحاكم باستغراب شديد اطاح بصوابي ، واسكتني طاعة

للصفعة التي وجهها الى قلبي فتماسكت وقلت له

— يا حضرة الحاكم ، لا أبري أن هذه المحكمة في بولة غير الدولة التي فيها دائرة

مكافحة الاجرام . فالشباب المسؤول عن مطاردة المجرمين شكرني واثني عليّ لاختبار

ابني عن سرقة الطيور بينما حضرتك تعاتبني على متابعة الشكوى (وتابعت اقول له

وأنا أنهض عن مكاني) ، قل يا حضرة الحاكم هل اقتوف جريمة لو أنني غادرت الآن

دائرتكم)

وغادرت دائرة الحاكم فعلاً ، وعلى الدرجة الاولى من السلم الذي يوصلني الى

فناء المحكمة احتضنني (شهاب الشيخ قابر) وهو يسألني — انتهت ؟

فسأله

— ماذا تقصد

— تنازلت في المحكمة ؟

ولا حاجة أن اقول أنني ادركت حالاً أن الحاكم المحترم كان يعرف بعلاقتي

بحاج شهاب الشيخ قابر ، وكان هذا يومها مدير ادارة تلك المحكمة ، فطلب منه أن

يتوسط للمجرم السارق لاتنازل عن الدعوى . فقلت للحاج شهاب

— أنت تعرف الطبخة إذن ؟

فاجابني

— في الحقيقة انه طلب مني أن اكلمك بعد أن عرف علاقتي بك ، فاعتذرت أن

اتدخل في هذا الموضوع .

وغادرت دائرة المحكمة ولم اتابع ما حل بالسارق .

واكثر الاحتمال انه نال حكم البراءة من ذلك الحاكم العايل .

لو كنت مسلماً آذار ١٩٦٠

دخل عيادتي بمستشفى السامرائي رجل بنحو الثلاثين من عمره بهيئة عامل

نظيف وبصحبتة امرأة في مثل عمره وهيئته وكان يبدو على وجهه ذلك الرجل الاضطراب

والهم . وما أن استقر على الكرسي الذي اشرت أن يجلس عليه حتى بادرتني بقول

— لو كنت مسلماً يادكتور لما التجأت اليك ، ولعالجت أمري بأن اقتل زوجتي هذه

واستريح في السجن

فقاطعته وسالته !

— ما الامر يا أخي

فاجابني بون اهتمام بسؤالي .

— اسمي (ص) بن شعيا (وأضاف وهو يشير بيده الى المرأة التي كانت

بصحبتة) وهذه هي زوجتي هيلانة .

— وعملك

— (بوي) في محل عبدالله شريف على نهر رجلة في منطقة الاورفلية . وكانت زوجته

ساهية وكأنها في عالم آخر ، ولم يبد عليها الاهتمام بالامر الذي قادها فزوجها الى

عيانتني ، وسالت (ص)

— وما امرك يا (ص) ؟

فاجابني والضم على وجهه

— امري يانكتور ليس له مثيل ، (ومد يده نحو زوجته واضاف) وهذه هي اساس

بلواي

— طبيب اريد ان اسمع شكواك ان كانت مريضة

فاجابني وهو يعصر صدره لينطق .

— انا يانكتور اشتغل (بوي) في محل عبدالله ، ولا انتهي من عملي الا في الساعة

الثانية او الثالثة صباحاً وما ان اغادر داري الى محل عملي حتى تقف زوجتي هذه على

عتبة الدار وتدعو اي رجل في الطريق ليضاجعها . والحراس الليليون عرفوا شأنها

وصاروا يدخلون اليها بالتتابع ليمارسوا معها الفحش .

والتفت انظر الى وجه زوجته فلم استبين منه الا سمات السكينة والادب .

واستنكرت ان تكون شبقية الى هذا الحد الذي وصفه زوجها ، فسالته

— وكيف اكتشفت امرها يا (ص) ؟

فاجابني

— اصبح بيدها معروفاً لدى سكان محلتنا وهم الذين نقلوا الي خبرها .

فقلت له

— الا يجوز ان يكون ما نقلوه اليك افتراء لاحجة له ؟

فاجابني

— لا يانكتور كبستها متلبسة بهذه العملية الشنيعة ، ونهض الرجل عنها وهرب .

فاضبعتها ضرباً وركلاً ، وكان علي ان اقتلها ، ولو كنت استطيع ذلك لقتلتها في الحال ،

والطلاق عندنا محرم ، وهي ابنة عمي ويثيمة ، فكتمت غيضي بعد ان اقسمت لي ان لا تعود الى خطيئتها الكبيرة ، غير انها لم تف بوعدها ، واخيراً صارحتني انها لا تستطيع الصبر عن مجاعة الرجال .

وسالت

— ومن ارشدك اليّ نون غيري من الاطباء ؟

فقال لي

— صارحت (استاذي) عبدالله بهذه المشكلة فنصحني ان استشيرك على اعتبار انها مريضة عقلياً
فقلت له

— ان حالتها ليست من اختصاصي ، وربما استأذك عبدالله ارشدك الى الدكتور علي كمال فالتبصر عليك هذا الاسم وهو ما قصده استأذك عبدالله
فقال لي يتوسل وجزع
— انا ما اعرف ، واطلب مروءتك

ولا ادري كيف خضعت لتوسلاته ، فادخلت زوجته في الردهة الحادية عشر التي اشرف عليها في المستشفى الملكي واستدعيت الدكتور علي كمال المختص بالامراض النفسية لفحصها ومعالجتها ، وصار الدكتور علي يزورها في الردهة بين يوم ويوم . غير ان ما حدث بعد يومين هو ان مدير المستشفى الدكتور عبد الرحمن الجوريه جي خابرتني تلفونياً وطلب مني ان اخرج هذه المريضة من الردهة ، ولما سالت عن السبب اجابني

— ان الخفراء في ردهات المستشفى صاروا يتناوبون على مضاجعة هذه المريضة في كل ليلة ، بين اشجار المستشفى .

وضحك الدكتور الجوريه جي وضحكت أنا معه ، واقفلت التلفون وطلبت من ممرضة الردهة أن تخرج هذه المريضة منها حالاً .

دكتور داود كباي ١٩٦٠/٣/٤

قضيت ليلة متعبة بعملية احتجت فيها الى نقل لترين من الدم الى المريضة ، والحصول على دم يلائم دم المريضة لم يكن في تلك اللية بالامر الميسور . فاستيقظت في صباح اليوم التالي متأخراً ، وكانت ستائر حجرتي مسلة لكنني استعظمت ان ارى من بين شقيها نور الشمس يلهم ارجاء حديقة بيّتي ، فتعلمت بتكاسل ، وسرعان

ماطلت الى انني في يوم جمعة ، فارجمت رأسي الى الوسادة ، وانقلبت على جانبي
والغمضت عيني لاعدود الى النوم ، وفتحت عيني على نقر على باب حجرتي ، واذا
بزوجتي تقول :

— استيقظ ، الساعة العاشرة ودكتور كباي يريدك على التلفون .

ومر بخاطري الدكتور داود كباي ، زميلي في المدرسة الثانوية وكلية الطب على
مدى ستة سنوات فيها . ولكنني استبعدت ان يكون هو نفسه اذ اني لم اره ولا سمعت
عنه منذ تخرجنا في كلية الطب سنة ١٩٣٨ فالتحقت انا بكلية الطب ، وعين هو
باحد اقضية القطر . فنهضت الى التلفون وانا استبعد ان يكون صديقي داود كباي هو
نفسه على التلفون ، وتذكرت حالاً اخاه الدكتور النور كباي وهو ايضاً احد زملائي في
كلية الطب ، واكبر حجماً وعمراً من اخيه داود ، كما كان كثر الحاجبين والشعر ، داكن
البشرة خلافاً لـ اخيه الدكتور داود الصغير الحجم والوردي البشرة ، كما كان ذا صوت
رفيع كأنه يخرج من صافرة حكم لعبة كرة القدم . ووصلني صوت دكتور داود من خلال
التلفون وكأنه في هذه المرة ينفخ في صافرة عاطلة .

— دكتور كمال ؟ انا داود كباي

فاجبت بصنق ولهفة

— اهلاً بك يا داود ، وانا اشتاق لمقابلتك

فرد علي قائلاً

— انا اريد مقابلتك ، وانا اعتنر ، فهذا يوم جمعة ، يوم راحتك

— اين انت الآن ؟

— في مستشفى السامرائي

— انتظرنني ولن اتأخر طويلاً . اريد ان اراك

وقابلته بعد نصف ساعة وبدا لي داود اكبر عمراً مما هو في ذاكرتي حتى باعتبار
السنين التي مرت على افتراقنا ، ولكنه كان بذلك القوام الرفيع والرأس المكور الذي بدا
لي اكبر مما يجب بالنسبة لحجم بدنه . وتلاحمنا بالاحضان والقبلات لاشم منه نكهة
ايام التلمذة الماضية . قلت له

— انا سعيد برؤيتك يا داود ، ظننتك سافرت كما سافر النور الى إسرائيل ؟

فقال لي

— لم اترك العراق منذ خروجنا من الكلية الطبية ، وقد عملت بعد ذلك في اكثر من
خمسة مدن في العراق ، آخرها في العمارة ، وانا الآن طبيب في مستشفى هذه المدينة
(ثم اضاف فجأة) ما علينا من ذلك وانما جئت اسالك فيما اذا كان بالامكان مقابلة

الزعيم عبد الكريم قاسم ؟

فاستغربت من سؤاله الذي بدا لي وكأنه يريد مني ان اكون وسيطاً له لمقابلة عبد الكريم قاسم ، فقلت له :

— اذا كنت تعتقد ان باستطاعتي ان اوصلك اليه فانت واهم :

فقال لي ببساطة وهو يتجاهل إعتذاري .

— سأطلب مقابلته بنفسي

وبقى استغرابي من فكرته فقال لي

— وما في ذلك ، ألم تكن طلاباً في صف واحد في الثانوية المركزية ؟
فقلت له

— كنا طلاب صف واحد ، ولكنه هل يذكر كل واحد منا بالذات ، واذا كان يذكرنا فهل لديه وقت لمقابلتك ؟

فاجابني وعليه سيماء الامل

— سأحاول ، فان رفض مقابلتي فلا ضير من ذلك علي .

— حسن ، وماذا تريد من مقابلته ؟

— عندي سبب مهم

— قل لي ، ما هو السبب ؟

فقال لي

— داهمت الشرطة بيتي ، واخذت منه مايزيد على الواحد وعشرين الف دينار ، كما

إتهموني بالتجسس لحساب اسرائيل ، ثم افرج عني بكفالة

فابديت له استغرابي ان يخزن في بيته هذا المبلغ الكبير .

— ولماذا ابقيت هذا المبلغ في بيتك ولم تضعه في البنك ؟

— هذا شيء آخر ، وسأشرحه للزعيم عبد الكريم اذا توفقت الى مقابلته .
فقلت له .

— باي حال اذا استقبلك الزعيم فارجو ان تخبرني عما سيدور بينكما . وعاد الي

داود بعد يومين بوجه باس فهمت منه نجاحه في مقابلة عبد الكريم قاسم ، ومع ذلك
سألته

— حمامة لو غراب ؟

فاجابني

— حمامة ونص ، فقد استقبلني من باب دالوته مرحباً ، وامر لي بقهوة ، ثم شرع

يستذكر معي بابتهاج ايام المدرسة الثانوية ، وسألني اخيراً عما يمكن ان يقدمه لي من مساعدة ، فعرضت امامه ورقة ضمنيتها شكواي عن المبلغ الذي اخذته الشرطة مني والاتهامات التي وجهتها اليّ ، فآخذ الورقة من يدي ، وقرأها ثم كتب في آخرها عبارة (يعاد المبلغ الى الدكتور داود ، فانا اعرفه ولايمكن ان يتجسس على الدولة) ثم نادى على مرافقه وصفي طاهر وامره ان يتابع الامر مع الجهات المختصة بنفسه سمعت كل ذلك من الدكتور داود كبائي ، بكثير من الدهشة والتعجب ، وهذاته على توفقه في مقابلة عبد الكريم قاسم والمساعدات التي حصلها منه . وبعد اسبوع سمعت انه نزع من العمارة الى بغداد ، واتخذ لنفسه عيادة خصوصية في الشارع المشجر (بستان الخس) وان عيادته مفتوحة لإستقبال المرضى الى ساعات متأخرة من الليل . وبعد نحو شهرين زارني الدكتور داود ، وعاتبته على إنقطاعه عني . وكان بيني وبينه في ايامنا الاولى مزاح ، فاعبته على (حبة بغداد) التي قوضت بعضاً من اربعة انفه ، فآلقه بالاقجم

— اين انت يا اقجم ؟

فاجابني باعتذار

— مشغول الى حد لا يصق !

— مشغول باي شيء

— فتحت عيادتي في شارع المشجر واعمل بها اكثر ساعات اليوم .

ولم أز الدكتور داود بعد زيارته الاخيرة القصيرة الخاطفة إلا بعد مرور خمس سنوات تقريباً ، وكان ذلك يوم كنت استقل فيه قطار تحت الارض في لندن من محطة (كلوستر رود) ، ولم اعرفه لأول وهلة ، بل هو الذي عرفني أولاً ، إذ كانت عربة القطار التي صعدت اليها مزينة بالركاب بشكل خائق ، فصرت صدى الى صدى مع الدكتور داود ، واذا هو يتسامل في وجهي وعيناه تركزان النظر الى عيني ، وقال لي — كمال ، ام انني مخطيء ؟

ودفعته قليلاً عني ، وفجأة عرفته ، فقد تغير فيه كل شيء الا صوته الرفيع المخنوق . فاجبته

— نعم انا كمال ، وانت داود

— ما اغرب هذه المصادفة وما احلاها وما اسعدني بها .

وخرجنا من تحت الارض الى محطة (بيركادلي) . وصرنا نتحدث بمتعة وشوق ونحن نخطو الى مقهى (ريجنت) في ساحة بيكادلي . وسألته

- كيف انت يا داود ، وماذا تعمل ؟
- اعمل ممارس عام (G.P) كما اشارك في جمعية طبية للاجابة على الداءات الطبية العاجلة في الاسعافات الاولى .
- وماذا عن دكتور النور ؟
- في اسرائيل ، وهو يحاول ان ياتي الى لندن .
- ووصلنا الى المقهى ، وفيها استمتعنا باحاديث متبادلة عن ماضينا في المدرسة الثانوية والطبية ببغداد ، ونهض يقول .
- اعمل تلفون ليحل محلي طبيب آخر في العيادة الخارجية وعاد اليّ يقول
- وجدت من يقوم مقامى مساء هذا اليوم .
- وبقيت معه حتى وقت الغذاء حيث دعاني اليه في المقهى نفسه
- يا ليتني اعود الى بغداد ياكمال . انا وضمي هنا في لندن فوق الجيد ، ولكن الحياة هنا تنقصها مايجعلها سائفة ودافئة وعائلية .
- وصالته : تزوجت ؟
- تزوجت عراقية ، بنت صيون رثخة ، والعائلة تعرفها وهم يعرفونك وينكروك ، وزوجتي في (برايتن) والا اخذتك الى البيت لتراك ، فذلك يسرها بالتاكيد .
- بلغ تحياتي اليها .
- لقد استمتعت فعلاً بلقاء داود كباي ، وقد اندمجنا في استذكار بعض الاحداث في بغداد بمتعة وكاننا عدنا اليها بتلك الاعمار .
- وافترقنا ولم اره بعد ذلك

الاستاذ الوتري والاستاذ قصير / ١٩٦٠

طلبني الاستاذ هاشم الوتري الى عيادته قرب (العبخانة) مساء يوم ١٩٦٠ / ٣ / ٦ . وكان حين دخلت عيادته يستمع الى زميله الاستاذ عبدالله قصير وهو يتحدث اليه بلهجة نصوح ، والوتري يومئذ قد بان عليه العمر المبكر واتعبته حياته العامة والخاصة ولكنه استمر يذهب الى عيادته . وكانت هذه العيادة مكتبته الثانية فضلاً عن مكتبته في بيته العامرة بالكتب ، فكان في مكتبة العيادة خليط من كتب ومستلات ومجلدات مكنسة على رفوف تصل الى السقف ، وهي عموماً الفائض من مكتبة بيته . كما كانت خريطة الاريسي تغطي الجدار الذي خلف منضدته الكتابية . وثمة مكبرة يدوية وعظام جمجمة بشرية على جانب من هذه المنضدة . فكان هذا

التكوين يشكل محيطاً علمياً يتناسق مع هيئة الاستاذ الوتري ومخبره .
دخلت عيادة الاستاذ الوتري فوجدت لديه ضيفاً وهو الاستاذ قصير ويبدو انهما
كانا في حديث كادا ان ينتهيا منه ، فقد سمعت الاستاذ قصير يقول :
— وعلى هذا فانا ارى ان لاتتعجب نفسك يا استاذ هاشم بالمجيء الى العيادة
بانتظام ، والتحدث مع المرضى وفحصهم ومايتبع ذلك امور تتعجبك ، ارى ان تتجنبها .
اما الاستاذ الوتري فقد بدا لي غير منصت له بل كان في عالم آخر مع نفسه ، ثم
قال وهو يمر باطراف انامله على شفته العليا
— هذه ليست المرة الاولى التي تنصحنني بفلق عيانتني ، فاعلم يا صديقي عبدالله
ان مقابلة المريض بالنسبة لي هواية ونوق ، وان ممارسة الطب جزء مني ، وهي الجزء
الحى في هذا العمر ، فاذا استقطعت توفقت حياتي .
ثم سكت الاستاذ الوتري ولم يزد على ذلك كلمة واحدة ، حتى غادر صديقه
الاستاذ قصير . ثم التفت نحوي وقال وهو يبتسم بتهكم
— انا لست وراء الكسب من هذه العيادة يا كمال ، بل انا وراء المريض لا كلمه
ويكلمني ، ولذلك جعلت اجرة فحص المريض اكثر مما يدفعه لغيري من الاطباء .
واستقبال مريض واحد او مريضين في الاسبوع ينعمشني ويزوطني بقوة في التفكير
والحركة .

وصلق الوتري بالتاكيد ، وهذا شان كبار الاطباء الذين كانت لهم مقابلات قليلة
مع المرضى في سدين طوال ، ولاانسى حين اقامت حفلة توديعية للاستاذ جلال المزاولي
في نادي المنصور بمناسبة إحالته على التقاعد ، وقد تكلم فيها اثنان من الاساتذة
فكان على الاستاذ المزاولي ان يقول كلمة تناسب موقفه في هذا الحفل ، وهو كما يُعرف
عنه لايجيد الكلام بصحيح العبارة ، فقام واطال الوقوف واخيراً نطق وهو واقف ينظر
الى الارض وقال

— انا اشكر كل واحد منكم ، ومتأسف لانني سابتعد عن العيادة الخارجية في
المستشفى الملكي التي كانت لي مرتعاً لروحي ونشاطي ، المريضات الفقيرات وامهات
(العباية) عالم خاص يجتذبني اليه ، فمرفته وعرفني ، واحبيته واحبلي ،
ولاظنني ساجد لي بدلاً عنه ثم قال جلال المزاولي بلهجة عاطفية (انا يا اخواني
لاستطيع ان اعيش بغير مرضاي ، وسأعود الى العيادة الخارجية من غير راتب . وتابع
الوتري يقول) :

— نعم ان العيادة للطبيب الذي يهوى مهنته حب وميل لايقاوم رغم مشاكلها
الكثيرة ومسؤولياتها الحياتية الجسام ، وانا انتشي حين اسمع المريضة تدعو الله

القبير لي بالعافية والعمر المديد . كما كنت في ايامي الاولى بالطب اغار اشد الغيرة اذا اكتشفت ان مريضتي اهملت تناول ادويتي لتتناول ادوية طبيب آخر استشارته بعدي ، فاعلم انني لم ارضى مريضتي كما تريد ، وارضاء المريضة حتى في امور بعيدة عن صلب مرضها جزء من الطبابة الناجحة ، واستقبال المريضة عند باب عيادتي وتوديعها اذا غادرت لاعده تملقاً لكسب نواام المريضة على مراجعة عيادتي بل هو من صميم ممارسة المهنة

والتفت الاستاذ الورتري نحوي وعاد يقول

— دكتور قصير على وهم .

صديقي الدكتور (ن) / ٨ ايلول ١٩٦٠

كان (ن) من اصديقاتي في الثانوية المركزية وفي كلية الطب ولم نفترق الا حين عين هو طبيباً في الديوانية بينما عينت انا في المستشفى الملكي .. غير اننا صرنا نتلاقى في اوقات لم تكن متباعدة وحين زارني في هذا اليوم افزعني نحوه ، ولم انته من الترحيب به حتى سألته عما داه ليكون بهذا الضعف ، فراوغ ولم يجبني على انه كان لا يزال بادي الحيوية في عينيه غير ان ارتجافاً قد دب الى اصابع يديه فكان يبسطهما ويقبضهما باستمرار ليخفي ارتعاش كفه . كما رأيته يستنشق دخان سكارته بتلاحق . ولم يسألني في هذه المقابلة عن اهلي واولادي كما اعتاد ان يسأل في بداية لقائنا كذلك انتبهت الى عدم اهتمامه بقيافته ونظافته قميصه لقد اختفت شخصية صديقي (ن) ولم يبق منه الا جسده ، وسألني فجأة عما اذا كان ثمة مانع ان نتناول عشائنا في احد مطاعم شارع ابي نؤاس فقلت له انهب معك الى حيث تريد ، ثم شرع يصف لي المطعم الذي يريد ان يتناول فيه العشاء وانا اعرف انه فعل ذلك ليلهيني عن السؤال عن خصوصياته الاخيرة . ودرجت بنا السيارة في شارع ابي نؤاس ، ولحظة اردت ان اساله عن المطعم وقد قطعنا مسافة طويلة في هذا الشارع قال لي فجأة — هذا المطعم الذي اقصد .

فاوقفت سيارتي عند مدخله ولم يكن على ناحيته لافتة باسمه . وولجنا الى داخله فاذا مساحة واسعة من الثيل المهمل وعلى جوانبه اشجار عالية من اليوكالبتوس وتحتها بعض اشجار من النارج الهزيلة ، علقت على بعض اقصانها مصابيح كهربائية خافتة ، وبعض رؤاد يقهقهون ويتحدثون بصخب

وتقدمني (ن) الى مائدة منمزة كما لو انها عزلت لنا في تلك الركن بالذات ،
وقال :

— ان هذا المكان يروق لي ، وارتاح اليه حتى لو كنت وحدي فيه والذي دفعني الى معرفته قبل اسبوعين عدم وجود لافتة باسمه
وسألت

— انت تعرفه انن ؟

— جلست اليه مرتين ، وهنا نستطيع ان نتكلم بحرية ، فالمطاعم الاخرى صاحبة ،
والموائد متقاربة .

وتنقم منا النابل ووقف الى جانب الدكتور (ن) كما لو كان احد اصحابه
لا زبوناً عابراً في هذا المطعم ، ثم حياني فعرفته حينذاك من بدانة بطنه وخشونة
صوته ووجهه المتورد بالنتفاخ ، كان هذا الرجل يعمل في مقهى (الصالحية) بجانب
الكرخ ، يوم كنت انا وصديقي الدكتور (ن) وغیرنا من طلاب الكلية الطبية ، فندخل
تلك المقهى وننمزل تحت احد مصابيحها لنقرأ في كتبنا ، فيتقم منا هذا النابل
متوبداً ويلبي طلباتنا المتواضعة بسرعة .

وسألني صديقي (ن)

— عرفته ؟

فابتسمت لهذا النابل وحييته دون ان اسميه ، فسألني

— يكتور ماذا تأمر ؟

فقلت له

— إسأل الدكتور (ن) أولاً .

فقال لي انت الضيف ، وهو صاحب المحل .

فقلت له

— اشرب بيعة

فالتفت الى النابل ، وقال له

— كالعامة بالنسبة لي

وسألت صديقي

— ماذا تكصد كالعامة ؟

فاجابني

— عرق مسنح .

ولم اكن اعرف او بالاحرى انتبه الى ان صديقي يشرب كثيراً ، فما إن يجرع كأسه حتى يترعها بثانية وثالثة تباعاً فيأتي على نصف قنينة العرق التي طلبها ، لمح انه بقي مسيطراً على اعصابه وحركاته وحديثه . فقلت له

— لم اعلم انك شريب يا (ن)

— انا لا اشرب العرق في النهار الا نادراً ، افضل البيرة في النهار ، نعم اشرب في الليل

بكثرة لكي يغلبني النوم فلا اشغل بالي بشيء .

وشرع لكتور (ن) يتكلم بتلاحق ، وليس في موضوع واحد ، ويكثر من الحسرة على

ايام التلمذة ، وحياناً على ايام العزوبية . اما عن اعماله في الطب فلا ينكر منها الا ما

أصابه بسببها من حيف ، وهو لا يفتأ يكرر (ليس في خارج بغداد طب متكامل ، فلا

امكانيات مختبرية ، ولا أدوية نوعية ولا أدوات تشخيص . ويسجل المفتشون هذه

النقص ويرفعون تقاريرهم (كما يدعون) الى المسؤولين بون جدوى) ويتريث

حديثه في هذا المجال وسالته لاصارحه عما ينور في رأسي عنه

— يا (ن) ماذا يشغل بالك ؟

فاجابني بتردد

— شكوا وكثيرة عني من بيتي ومن دائرتي ، ولي شكاوي اكثر على هؤلاء ، ولا اعرف

ماذا اعمل .

وقطب جبينه ، وترقرقت الدموع في عينيه ، واهتز كل جسمه فألمني ان اراه بهذا

الوضع ، فقلت له .

— تكلم يا عزيزي ولا تخفي شيئاً عني فقد ترتاح ان فعلت ذلك .

فاجابني وهو ينظر الى وجهي

— لا يريحتني شيء يا كمال ، (ثم سكوت قليلاً وقال) ان كل ما يسبب لي من الم هو

من صلمي فلا تحمله بون تلزم .

ونهض فجأة ، ووتر حديثه ممي

— يكفي ما سمعته مني ، ولا أريد ان اسمعك اكثر .

ونهضنا للنفاير المقهى ولم نمكث فيه اكثر من نصف ساعة وفي السيارة لم يفتح

احد منا فمه .

وحين ترجل من سيارتي قلت له

— انا بعد بكرة مسافر الى لبنان

ولم يقل شيئاً وكأنه لم يسمعني ، واقتربنا .

الدكتور هاشم الوتري في بيته ٢٠ آب ١٩٦٠

زارني في بيته الملاصق لمستشفى السامرائي ، الأستاذ هاشم الوتري ومع صديقي الدكتور اسماعيل ناجي ، وكنت صممت هذا البيت بنفسي ، وادخلت في بنائه بعض اللوحات الزخرفية وخصوصاً في اشكال المنافذ التي نقلتها عن الزخارف الجصية التي كنت رأيته في اطلال سامراء ، وابدعت في تصميم المدفأة (الاوجاج) ومثالها بحجر الحلان الموصل ، فاعجب بها الأستاذ هاشم الوتري ، واطال النظر اليها وعلى وجهه تعبير من يريد ان يقول شيئاً ، ونهض وخطا في الصالون لينظر اليها من بعيد ، ثم اقترب منها واقفاً وهو يقول لي

— كمال ، هذا شيء جميل ، وان تصميمها يوحي بالنفء حتى لو لم تكن فيها نار موقدة ، والعامل الذي نحت حجارتها فنان مقتدر . (وسكت قليلاً) ثم عاد يقول وهو يمر باصبعيه على شفته العليا ، وهي عاتية اذا خلا بنفسه يفكر ، ثم قال — ليس مكان هذه المدفأة في هذا البيت !

واستغربت من هذه الملاحظة ، غير اني مالبثت ان ارتحت لها حين إستطرد يقول :

— يجب ان تكون هذه المدفأة في محل عام ؛ نادٍ او قاعة شعبية يدخلها عامة الناس ومن كل الطبقات ، انها درس مفتوح ميداني لتربية النوق والاناقة . وفهمت قصده وعبدته ثناء على المدفأة وبالتالي على شخصي وهاشم الوتري له نوق رفيع في طلبه واثاث بيته وفي حديقته . وهو اول من امتلك سيلماً خصوصية من اهالي بغداد ، يعرض بها بعض الافلام التي يستوردها من لندن ، واول من استورد الى حديقته اوراق الزينة من مشاتل فرنسا ، واول من ابتنى حوض سباحة في بيته .

وعاد هاشم الوتري يكلمني عن المدفأة ،

— كمال ، هذه المدفأة كالمرأة الجميلة ، وكلاهما يجب ان لا يستأثر بهما بيت واحد ، ورجل واحد ، بل يجب ان يُعرض جمالها للناس عموماً . واستطرد يقول وهو يوسع إبتسامة على فمه .

حين خطب الامير مصعب بن الزبير ، عائشة بنت طلحة ، وكانت من جميلات نساء العرب ، اشتراطت عليه ان لا تحجب وجهها عن الناس ، فنعمة الله عليها بالجمال يجب ان لا تخفى عن عباده .

وأضاف هاشم الوتري

— وقبل مصعب بن الزبير بشرطها وتزوجها . وهذا هو سلطان الجمال في المرأة

وبعد بضع سنوات شهّد الاستاذ الوتري داره في عرصات الهندية المطلة على نهر
دجلة . وزّته لابارك له داره الجديدة ، وكان في صالونه مدفأة مشيئة من الطابوق
المضوي ، وعلى طول غطائها جذع شجرة متناسقاً معها ومريحاً للنظر ، فقلت له وأنا
أشير إلى هذه المدفأة

— هذه مدفأة تفوق المدفأة التي في بيتي روعة وإبداعاً .
— سأطلب من يحفر على هذا (الجذع) آية كريمة (وجعلنا من الماء كل شيء
حي) ثم أرفف يقول لي .

— تعال أرك شيئاً آخر في هذا البيت مكملاً لهذه المدفأة ولو على النقيض ، كما يكمل
الليل النهار في اليوم الواحد ، وهكذا في بيتي نقيضان متلازمان . واخطني الى حديقة
داره الخلفية التي كانت اعلى من ارض بيته ، وبينها وبين البيت سطحية ليست
واسعة ، يسمع من جنوبها خرير ماء يتدفق من بين صخور مدفونة تحت الحديقة ،
فقلت له

— استاذي ، ان هذا شيء جميل حقاً ، ومبتكر ، فكان الماء يتدفق من عيون في عمق
جبل .

وهاشم الوتري سريع الجواب بما لايقاطع سياق الحديث ، فقال
— الماء يجلو الحزن ، وفي هذا المكان اخلو مع نفسي لاقرأ او اكتب ، او لكي لااعمل
شيئاً .

علي صائب والماسونية / ايلول ١٩٦١

هو من شباب الاكراد الطيبين ، وقد دخل كلية الطب سنة ١٩٣٤ فلم ينجح
فتحول الى كلية الحقوق ، وبعد تخرجه منها إنخرط في السلك الدبلوماسي بوزارة
الخارجية العراقية ، وقد تعرفت عليه في مناسبات اجتماعية كثيرة ، وتعمقت علاقتي
به بعد زواجه من احد قريبات زوجتي . وهو تمت الخلق ، ونو شعر كث يجلل رأسه ،
وحين عرفته كان قد سقط شعر رأسه الا من جانبيه . وسأله يوماً عما يفعله
لانسحاب من كلية الطب فاجابني بلكنة كربية

— بابا ، كلية الطب بوختني وكاني اعيش في سوق الصفافير ،
وأنا اعرف انه رسب في نروس الصف الاول ففصل بحسب نظام الكلية . ولكنني
لم اقل له ذلك . وذات يوم من شهر ايلول سنة ١٩٦١ طلب مني تلفونياً ان ازوره في
دائرتي بوزارة الخارجية التي كانت يومئذ قبالة سجن بغداد المركزي . وحين دخلت الى

غرفته نهض لي مرحباً بتكرار ، ثم اتجه نحو باب الغرفة واغلقها ، وبأدني يقول
— بكتور كمال ، انا اكنُ لك تقديراً خاصاً ، وانا اعرف ان لك هواية في اقتناء
الاشياء القديمة

ثم نهض وخطا نحو باب خزانة مركونة الى جانب نافذة الغرفة ، واخرج منها
سيفاً قديماً بلا غمد ، وقال لي
— هذا من سيوف (آل رشيد) بنجد ، وقد أهدها لي صديق سعودي وانا أهديه
اليك

فاخذته من يده وقلبته وهزته بيدي واعجبت به فشكرته على هذه الهدية
التحفة . وبعد لحظات سكوت وهو يبتسم تعبيراً عن امتنانه من قبولي لهديته ، قال
— بكتور كمال ، عندي فكرة اعتقد انها تعجبك ، وانا مكلف ان اعرضها عليك ،
واقول لك بصراحة انا (ماسوني) ، وقد وجدت في هذا التنظيم فوائد كثيرة واهداف
نبيلة ، وهو لاكما يشاع عنه من اعمال الساسة الانكليز ولخدمتهم ، بل هو تنظيم
انساني واجتماعي من درجة عالية ، وستكسب منه الكثير لو انضمت اليه .
ولم تيمدني المفاجأة في حديثه عن الاصفاء اليه بكل احساساتي ، وانا اوازن
فيما بين مايقوله لي صديقي على هذا التنظيم من حسنات وما اعرفه عن هذه المنظمة
من سيئات ومقالب اقلها الكتمان الشديد في اصولها وما فيه من تعليمات وضوابط ،
فقلت له وانا اضحك :

— حبيبي علي ، انت طلبتني لتهديني هذا السيف لا لتطلب مني الانضمام الى
الماسونية ، فارجع هذا السيف الى مكانه في الخزانة ، فانا لا اريده ولا اريد ان انضم
الى الماسونية .

ولما ابرك علي تصميمي على اتخاذ هذا الموقف ، تراجع بخيبة ظاهرة وهو يقول
لي :

— لالعلاقة بين هديتي والانضمام الى الماسونية ، فانا احفظ لك هذا السيف منذ
زمان .

وكانت عيناوي لاتنفكان تنظران الى ذلك السيف اللطيف ، فقلت له :

— إنن هذا السيف لي نون مقابل

فقال

— طبعاً نون مقابل ، ان اوتت

ولماوت غرفته ، وهو معي يحمل السيف ليضعه الى جانبي في السيارة .

وفاة الدكتور هاشم الوتري / ١٩٦١

في ظهر اليوم الثاني عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٦١ كانت السماء ملهبة بالغيوم ، والشمس لاتطل برهة حتى تمود وتختفي بعد قليل ، ويوانر المطر تقترب زاحفة بسرعة ، في صباح هذا اليوم توفي استاذي هاشم الوتري عن عمر يحدود ثمان وستين سنة ، وحين ذاع خبر وفاته وصلت بالتتابع عشر سيارات تقل اصداقاه الفقيه لتكف بغير انتظام امام داره . وترجلوا منها وتوجهوا مسرعين الى داخل بيت المتوفي توقياً من المطر ، وكان اكثر هؤلاء من آل الوتري او اصداقائهم واقلهم من زملاء الفقيه في كلية الطب ، وحين حمل جثمانه الى سقف السيارة ازداد هطول المطر فاسرع المشيرون يتكوه بالدخول الى سياراتهم ، بينما كان بعض منهم يثبتون النعش على سقف السيارة ، ودرج الموكب متعجلاً حزيناً نحو مقبرة (آل الوتري) الواقعة على تل ترايبى قرب (كمب الارمن) ، وما كدنا ندلف الى المقبرة من بابها الواسع تحت لافتة صفيرة تشير الى تبعية هذه المقبرة الى آل الوتري حتى توقف المطر ، وكان السماء قد فعلت ذلك إحتراماً للمتوفي المسجى في النعش ، وتقديراً لمن يودعونه الى مثواه الأخير . ولما وصل نعش الجنازة الى حفرة القبر التي تبعد بضعة امتار عن مدخل المقبرة ، بدأ الحطارون يكشطون بمساحيهم قانورات البشر المتناثرة على ساحة المكان ليقف عليها المشيرون ، ولاريب ان هذا المنظر المقرز والمخجل قد لفت نظر الاستاذ (هاريكريفز) صديق ساكن القبر ، وقد يكون ايضاً قد قارنه في سره بمقابر بلده النظيفة والمحاطة اكثرها بسياج من الزهور واشجار الزينة ، وماكنا نوارى استاننا الوتري التراب ونستمد لمفامرة المقبرة حتى عانت السماء تعطر مدراراً ، فهورل المشيرون الى سياراتهم وهم يلتفتون الى فقيدهم الذي واروه التراب .
رحم الله استاذي الدكتور هاشم الوتري واسكنه جناته الفسيحة .

يوم اربعين الوتري .

في صباح ١٩٦١/٢/٦ ابركت كم هو القبر موحش ، وكم كان سريعاً ماينسى المرء احبائه ، وزملاء عمره ، واساتذته ، ونوي الفضل عليه ، اذا توفاهم الله . هذا اليوم هو (الاربعون) بعد وفاة الاستاذ هاشم الوتري ، احد مؤسسي كلية الطب ببغداد ، والمعلم الاول في الطب الباطني فيها ، فارتات عمادة كلية الطب ان تقيم له حفلاً تابينياً بمناسبة هذا اليوم ، فاقامت الحفل في قاعة السينما بالكلية ، وهي القاعة التي بناها الاستاذ الوتري ايام عمادته في الكلية ، وهي اكبر قاعات الكلية

لتستوعب من يحضر هذا الحفل من زملائه وطلابه . وكانت مفاجأة غريبة ان يكون عند من حضر الحفل من القلة ما يستدعي العجب ، كان من الحاضرين زميل له في المجمع العلمي العراقي هو الاستاذ منير القاضي ، ونقيب الاطباء الدكتور كمال عارف ، وعميد كلية الطب الاستاذ الدكتور احمد عزت القيسي . وعدد قليل جداً من اساتذة كلية الطب وطلبتها . وكان اول من تكلم في تأبين الفقيد الاستاذ منير القاضي فقال في فاتحة كلمته انه كان يحث سائق سيارته ان يسرع ليصل الى هذه القاعة ، فقد (لاأجد كرسيّاً شاغراً لي اذا تاخرت عن الوصول اليها مبكراً ، فاذا بالقاعة تكاد تكون خاوية بالنسبة لسمعتها وعدد كراسيها) ثم تكلم بجد وألم عن فقد زميله الوتري لمكانته العلمية في المجمع العلمي ، وطلب له الغفران من الله تعالى (ثم اضاف يقول) والغفران والرحمة لمن لايفي لاساتذته وزملاءه ، وهذه الاشارة مفهومة ثم تكلم عميد كلية الطب ، واراد ان ينتهي على المرحوم الوتري كاحد اساتذة الكلية ، غير انه للغرابة ثلثه واعابه (باحاطة نفسه باصحاب السوء) وبدأ الاستغراب على الحاضرين اذ لا يذكر الموتى إلا بمحاسنهم وافضالهم ، فكانت عبارته لاتناسب المقام ، وتدعو الى الاستهجان .

ثم نهض نقيب الاطباء ، فاذا صوته لا يسمع او سمع منه مالا ترابط بين عباراته .

لقد كان الحفل مع الاسف بارداً لم يظهر فيه ما يدل على العرفان بالفضل والجميل للفقيد الوتري وتفرق من حضر الحفل وكانهم خجلون مما فشلوا باقامته لميئتهم الاستاذ الكبير هاشم الوتري .

برودة مع سيدة من بيت خير الله بلبنان / ١٩٦١

وصلت الى بعمدون بلبنان ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٤ تموز ١٩٦١ وفي مساء ذلك اليوم ، انحدرت من غرفتي بفندق الكرمة الى النسطيحية المطلة على الشارع واخذت مكاناً في احد اركانها .

وتقدمت مني في هذه اللحظات زوجة ميشيل صاحب الفندق وعلى وجهها رغبة من يود التحدث اليّ ، فرأيت ان أجاملها . فسألتها .

— كيف الشغل بهذا الموسم يا ادم ؟

فاجابتنني

— بلقشه العمل (بالكرمة) في ايلول الماضي ، يعني في اواخر الموسم ، والفنادق في

لبنان لاتعمل اكثر من ثلاثة اشهر

— وياقي الاشهر؟

— ماضيها شيء يسوى يا حكيم

— وكم اجار هذا الفندق يا مدام؟

— سبعمائة الف ليرة ، والحكومة تقرضنا وندفعها لهم سنوياً .

واعرف ان اول فندق في يحمون هو (فندق خيرالله) وخيرالله مؤسسة ، ثم اسس اولاده فندق مكسيم ، ثم فندق (سبلنديد) وآخرها فندق (الكرمة) وجميعها باجر سنوي اما الفندق الاول فانه ملك العائلة ، ويديره الابن الاكبر (كامل) وجوزيف يدير فندق (المكسيم) ، وميشيل يدير فندق الكرمة .

فقلت لها :

— الفندق في لبنان مهنة رابحة .

فقالت :

— نحن بيت خير الله اول من عمل بالفندقة بجبل لبنان ، ونحمد الله سمعنا مليحة ، وزبائننا كثيرون وخصوصاً من العراقيين ، (وتابعت تقول) العراقي احسن مصطاف من العرب ، نفسه طيبة ، ويده مبسطة

وأنتيت على الخدمة في فندق الكرمة ، فقلت لها :

— الكارسونات في الكرمة جيون ، شباب ، ونظيفون

لنالت

— هؤلاء (تلاميذ) في الفندق ، يعملون في عطلة المدرسة الصيفية فقط .

وسكتت برهة ، ثم نظرت اليّ باستفهام :

— يبدو انك لم تعرفني يا حكيم ! انا مرسيل في فندق سبلنديد يوم طلبت منك ان تفحص اخت زوجي (روبر) فكانت مصابة بكيس في المبيض ملتو ، ونصححتها باجراء العملية حالاً ، فحملناها الى مستشفى (مصطفى خالدي) ببيروت حيث اجريت لها العملية .

وتفكرت هذا الحادث فعلاً فسالتها

— تقصدين اليس؟

— نعم أليس ، انت يا حكيم انقذت حياتها من الموت ، وكلنا لانسى لك ذلك الجميل

— وابن اليس الآن

— فتحت فندق (كارلتون) وهي تعبانة من كثرة مشاكل هذا الاوتيل ، وكل بداية متعبة ، ولكنها في موسمين وقت جميع ماعليها من ديون الحكومة ، وتبدأ ارياحها من

الموسم القادم .

وصدت عنقها من جانبها لتتبعين (اليس) وهي تتجه اليها وحين وصلتنا لم اعرفها ، فما بعد الشباب يتطور بسرعة ويطفئ على كثير من المعالم الاولى ، وسألتني وهي تتقدم مني

— الا تذكرني يا حكيم ؟ انا اليس ، والله جيت لاراك ، فانت صاحب فضل علي ، فين المقام ؟

— طي بلداد وربما تصل بكرة او بعد بكرة .

— ونيان اسم الله عليها ؟ (ونيان هي بكر اولادي) .

— بخير . مع امها .

وسحبت اليس كرسيّاً لتجلس الى جانبي ، وسألتها كيف الشغل في الكارلتون ، فاجابتنني

— موش ولايد ، لان العراقيين قلل هذه السنة ، شو السبب دخلك ؟
فقلت لها

— هي العملة الصعبة

فقلت لتتابع حديثها عن المصطافين العراقيين

— الكويتي واهل الخليج عموماً معسكين في الصرف ، والاغنياء يقصدون اوروبا ، وفي الكويت بضاعة مثيلة لما عندنا منها (ثم قالت) اوتيل الكارلتون عمره اقل من موسمين ، ولاباس لو بدأ يربح بعد موسم او حتى بعد موسمين ، وانا الان ابني للمستقبل ، ولا اطمع كثيراً من الحاضر (ثم قالت) يا حكيم الليلة تسهر معانا في الكارلتون وشكرتها وانا اعتذر فقالت

— موش ممكن وهذه الفرصة لاأفرط بها لنشركك لما عملته لي يا حكيم وفي هذ اللحظة تدافع الاطفال وسقطوا كومة واحدة على التلفزيون ، فنهضت اليس بهلم واعادت التلفزيون الى موضعه .

وعادت الي وهي تقول

— هؤلاء هم الذين (يخربون) راحة المصطافين ، وليس لنا ان نعترض على تصرفاتهم . وهذه هي المصلحة للنميش ، وغابرت مكانها وهي تقول لي
— نحن في انتظارك يا حكيم .

وانا فلتلق كارلتون في هرج ومرج بنزلاء الفندق ومن غيرهم ، واعلام الدول العربية وغير العربية ترفرف ، وموسيقى راقصة تعزف ، واليس في ثوب انيق بدت فيه وكانها في ليلة عرسها . ومائدة طويلة للمأكولات الباردة ، ومثلها للمأكولات الساخنة ، ومائدة

اخرى للحلويات واخرى للفواكه . ويطوف النمل بين حشد المدعوين يوزعون عليه اقذاح الضمبانها والوسكي والبيرة وعصائر الفواكه .

فاستقبلتني اليس

— اهلاً يا حكيم ، هذا يوم زواجي يا حكيم (ونادت على زوجها) روبيج ، وينك يا روبيج ، واخفت بيدي ورفعتهما بيدها عالية وهي تقول

— ولك انا هون ، هنا الحكيم السامرائي

واقترب مني الزوج الاثيق والبسمة تبرز من بين شفثيه ، فقلت له

— ابارك زواجك يا روبيج ، وهذا حفل زام يناظر زوجتك الجميلة

فقال

— اشرب انن نخب زواجنا يا حكيم .

ونادى على نمل يحمل صينية عليها انواع واشكال من الكؤوس المليئة

بالمشروبات

ما احلى ان يخلق الزوجان سعادة لحياتهما بمثل ما فعلته اليس وزوجها روبيج .

حتى انني صرت اعتقد في هذه اللحظات ان الحب باي شكل من اشكاله لا يتحقق الا

لمثل هذين الزوجين المتناظرين جسداً وروحاً .

الجانب القبيح من بيروت الجميلة ١٩٦١/٦/٤

تناولت في هذا اليوم غذائي في مطعم طاليوس الواقع في الزاوية التي بين شارع

باب إريوس والسوق الطويلة ، وغائرت المطعم الى الشارع عند منحدره نحو

(السوق) لآخذ سيارة سرفيس (خدمة) الى نزل (موحيا) حيث اقيم ، وكانت

سيارة السرفيس تقف على المنحدر ووراء مقودها شاب بين يديه رباط يحاول لفه حول

رقبته ، فسألته مستعلماً .

— سرفيس الى الروشة ؟

فاجابني باقتضاب :

— تفضل .

ونظام السرفيس في بيروت مريح وزهيد الاجور ، وفي بيروت عدد كبير من سيارات

السرفيس يستقلها من يريد ليصل الى المكان الذي يقصده في خط سيرها . وأجرة هذه

(الخدمة) ربع ليرة لبنانية في الحالات الاعتيادية . والسيارات التي تحمل الناس

بين بيروت ومدن لبنان الاخرى تعمل جميعها بهذا النظام ولو باجر اعلى .

كانت هذه السيارة السرفيس التي تتقف على منحدر (السوق الطويلة) من هنا
الصف ، وسائقها عادة هو الذي يدعو الناس الى سيارته . وكل خط سحر لسيارات
الخدمة له محطات تتوقف فيها السيارة لينحدر منها ركبائها او يصعد اليها ركاب
جدد ، وقد يدعو سائق سيارة السرفيس الناس الى سيارته بصوت عال :
(سرفيس الروشة) او سرفيس البرج وهكذا .

وصعدت الى جانب السائق ، ونققت ريع ليرة قبل ان يطلبها مني ، ودرجت
السيارة وهو لا يفتأ يخفف من سرعتها كلما رأى شخصاً يقف على رصيف الشارع
لإحتمال ان يكون منتظراً احدى سيارات السرفيس التي تمر في خط الروشة ، وأشارت
سيدة تكف على الرصيف بيدها فاوقف السائق سيارته الى جانبها ، وسألته :
— الى الروشة خيرو ؟

فاجابها باختصار وتعال :

— ليرتين .

فقلت له وهي تصعد الى المقعد الخلفي من سيارته .

— ليرتين ، ليرتين معليش .

واستغربت ان يطلب السائق ليرتين من هذه السيدة وتقبل برضى هذه الاجرة ،
وهي تعلم ان السيارة (سرفيس) وربما قدرت اني احد ركبائها ، كما اني دفعت له ريع
ليرة فقط وهي اجرة الراكب الواحد في سيارة السرفيس . ولم استطع ان اسكت عما
حدث فسألته عن تصرفه الغريب مع السيدة فاوقف سيارته فجأة وبسط راحة يده
امامي وفي وسطها ريع الليرة التي دفعتها اليه ، وهو يقول :
— تفضل .

فسألته بلهجة بغدادية

— شنو هاي يا أخي ؟

ولم يجبني بل اكتفى بمد يده الى مفتاح باب السيارة وفتحته وهو يقول مر

اخرى .

— تفضل .

وتشجعت وسألته :

— ألم تقل لي ان سيارتك سرفيس ؟

فاجابني بامتعاض :

— انت لم تطلب مني السيارة (سكارسة) كما طلبت السيدة ، شو يعني من اجل

ربع الليلة اضجع ليمتين ا

ورأيت انني أخنل اذا نازلت هذا السائق الوقح فترجلت عن السيارة ، ووقفت على رصيف الشارع بانتظار سيارة افضل . وفكرت في ما لو انني لم اعترض على تصرفه مع السيدة ، ألم يكن ذلك الحق لي واكرم ؟ وتذكرت المثل (من تدخل بما لايمنيه لقي مالا يرضيه) ، ولكن هل ان ذلك الامر لم يكن يعطيني حقيقة ؟ .

صديقي (ن) ايضاً / مايس ١٩٦١

في مساء يوم خميس ، وهو اليوم الذي اعتاد ان يجيء فيه صديقي (ن) في كل اسبوع تقريباً . وقف امامي حين غادرت آخر مريضة في عيادتي ، وكان في عيديه قلق يضطرم — فتوقعت ان اسمع منه الكثير عن نفسه وما تورطت فيه من افكار ، وقال لي اول ماقاله : لولا اني احبك ياكمال لحسدتك ، فزيائنك كثيرون على مارأيت ، ولك سمعة طيبة وواسعة كطبيب ناجح فقلت له وانا ارتدي سترتي لارافقه .

— وما ينتصك لتكون مثلي او افضل مني (ن) ؟

فقال لي بحسرة ملات صدره .

— لقد فات الاوان .

— في الوقت فرص وامل يا صديقي ، وانت بعمرى تماماً .

— ماعلينا من ذلك ، وانصحني شيئاً آخر باستطاعتي ان اعمله ، او اؤمن به على الاقل ، فما علت استطيع الحياة .

ورأيت لا يرياني ان تسمعه سكرتيرتي وهو يتكلم بلغة التبرم والتشكي ، وهذه علامة سيئة ، ولا بد ان جد في شؤونه ماضات به حيله ، وقد يكون الامر قد وصل نهايته مع زوجته فقال لي :

— تولى البارحة اخي (أ) لارحمة الله عليه .

وصمت وعيناه تنطلقان باللعنات على اخيه ، وهذا أسوأ ما يصير اليه الانسان حين يشتم اخاه بعد ان يلحد تحت التراب وتابع صديقي (ن) يقول :

— وقد بكت عليه امي وفتفت شعرها وشقت زيت ثوبها تماماً كما فعلت حين مات ابي ، وهي تجيد هذا التمثيل ، وسوف تفعل مثل هذا حين اموت ، واجدى ان تبكي علي وانا حي اريزق ، فانا اجبر من جصع اهلها بالبكاء منها . فقلت له

— ما بك اليوم يا (ن) ، فهيا قل لي اين تريد ان نذهب هذه الليلة

— لا اريد ان اذهب الى اي مكان ، فقد مللت كل شيء ، وقد جئت فقط لادعك ، فانا

مساخر الآن الى الديوانية .

— فقلت له :

في الليل ، وما العجلة ؟ .

— بل فأت الوقت ، وظلام الليل يريحني حين اكون وحدي .

ومد يده ليمسك بيدي ببرود وفي عينيه نغم خزين وحزن دفين ، واختفى من امامي .

بداية كتابة هذه المذكرات / آب ١٩٦١

اعتدت منذ سنة ١٩٥٠ ان ازور لندن في كل صيف ، وحين اسافر اليها اخذ معي كتاباً او كتابين في الادب القصصي ، من تأليف ليون تولستوي او ارنست همنغواي او نجيب محفوظ ، وهؤلاء لا امل من قراءة كتبهم ، فلكل واحد منهم اسلوبه ، مع انني اجد ان بعض اللوحات الفنية في كتاباتهم تتكرر او تتقارب في الصياغة ، فاعدها مثلاً لتطور القصة عبر التاريخ ، وهي بشكل عام ، بالرغم من قدم بعضها تبقى كالثمرات الطازجة ، فيها طراوة وحلاوة كما اخذ معي كتاباً صغيراً في الامراض النسائية والتوليد باللغة الانكليزية ، فاني مارلت منذ تخرجي في كلية الطب قبل عقدين من الزمن اقرا اي كتاب يقع بين يدي بهذا الاختصاص الطبي حتى لو كان مدخلاً ضيقاً اليه ، وخصوصاً حين اجد فيه نغماً جديداً في التبويب ، وهو ما تشوق الى معرفته بقدر ما اناشح الى معرفة تجربة مؤلفه في هذا الاختصاص .

وفي صباح يوم مشرق بلندن في صيف ١٩٦١ نهبت الى مكتبة (لويس) المختصة ببيع المؤلفات الطبية ، الواقعة عند تلاقي شارع (كاور) بشارع (بوستن) . وكنت قد عرفت منذ سنوات مدير هذه المكتبة واسمه (مستر أنورد) ، وهو كهل ، وفي انفيه طرش ، فيحشوها بألة صغيرة لتساعده على السمع ، كما يضع على قصبة انفه عوينات باطار بلاستيكي سميك يغطي طرفه الاعلى جزو من حاجبيه الكثيفين اما رأسه فخفيف الشعر ، وهو كثير الحركة بين اطراف مكتبته الواسعة ، وكانت المكتبة حين دخلتها في هذا اليوم تزخر بروادها من مختلف الاعمار والجنسيات والالوان وهم ينتقلون بين خزانات الكتب المرصوفة على جدران المكتبة ، وايديهم تمتد بين حين وحين الى رفوف الكتب ليلتقطوا منها ما يريدون ، وعمال المكتبة منشفلون برزم الكتب او وزنوا لمن اشتروها من المكتبة ويريدون ارسالها بريدياً الى اوطانهم خارج انكلترا . وفي نهاية نظري على الطرف البعيد في عمق المكتبة كان رجل يتصفح كتاباً بيده ، وقد عرفت هويته من قامته المنيهة ورأسه الاصلع الفرعوني التكرور . كان ذلك

الرجل هو الدكتور نجيب محفوظ الطبيب النسوي المصري المشهور ، وخطفتني الذاكرة الى اول مرة رأيته في حياتي ، وكان ذلك في القاهرة وهو يحاضر في احد قاعات كلية القصر العيني في موضوع البواسير المهبلية وثاني مرة رأيته في سنة ١٩٥٨ بمونتريال بكندا ايام المؤتمر الدولي الثاني لأمراض النسائية والتوليد ، وكان يحاضر في البواسير المهبلية ايضاً . وكان مقرر الجلسة في ذلك اليوم قد اعلن عن تخصيص خمس عشرة دقيقة لكل محاضر ، وانه يجب على المحاضر ان يتوقف بعد الانتهاء منها مباشرة ، غير ان الدكتور نجيب محفوظ لم ينته من قراءة مقدمة موضوعه حتى كان الوقت المخصص لقراءته قد انتهى ، فضرب مقرر الجلسة الجرس ايذاناً بانتهاء الوقت المخصص للقراءة موضوعه . الا ان الدكتور نجيب محفوظ استمر يقرأ ويتكلم ويقرأ ويتكلم ، وضرب المقرر على الجرس مرة اخرى والدكتور نجيب محفوظ نائب يقرأ موضوعه . وكان يجلس الى جانبي في قاعة هذه المحاضرة الاستاذ (كرين ارميتاج) فقال نحوي وقال لي بهمس

— لا يريد ان يتوقف عن القراءة ، ولا اظنه سيتوقف (ثم قال) وقد سمعته يقرأ هذه المحاضرة اكثر من مرة ، في القاهرة وفي جنيف وفي مكان آخر بفرنسا . هذا ما تفكرته عن الدكتور نجيب محفوظ وانا انظر اليه وهو منغمس في قراءة كتاب بيده في قعر مكتبة لويس .

واستدار الدكتور محفوظ وخطا نحو السيد انوار ، فبدأ لي بوضوح انه هو الدكتور نجيب محفوظ الذي رأيته قبلاً وتحدثت اليه في موضوع البواسير المهبلية التي كانت تكثر يومئذ في العراق كما كانت تكثر في مصر ، وقد يتذكرني لو انني اعترضت طريقه وحديثه ، ولكنه لم يلتفت نحوي ، كما اني تجاهلته لغير سبب .

وقف الدكتور محفوظ عند منصة المستر انوار وبدأ يعرض عليه طبع كتابه (حياة طبيب) باللغة الانكليزية وكان اصل هذا الكتاب قد وضعه نجيب محفوظ عن حياته ونشره بالعربية في القاهرة سنة ١٩٦٣ ، وسمعت السيد انوار يعترض عن طبعه ، ويعمود الدكتور محفوظ يلح عليه على طبعه ، ويعترض مستر انوار ، ثم سمعته يقول له بحسم انه لا يعرف اللغة العربية ليقدر قيمة كتابه وما فيه من فائدة او متعة لقارئه ، ويعمود الدكتور محفوظ يقول له :

— في الكتاب ما هو جدير بالقراءة ولا يخلو من المتع والفرائب في ممارسة الطب ، والطب النسوي بشكل خاص ،

وقد لاحظت ان السيد انوار قد اكتفى بما سمعه من الدكتور محفوظ فالتفت الى زبون يضع على منضدته من الكتب ما يريد ان يدفع ثمنه فنادى الدكتور محفوظ

المكتبة على غير رضى وقناعة غير ان كلماته لم تغادر افكاري ، ففي حياة الاطباء لمغالب واستنكارها كتابه متعة لهم ومن يطلع عليها ، وفي ساعة ذلك اللقاء في مكتبة لويس شرعت افكر في وضع كتاب في سيرتي وذكرياتتي ، خاصة انني قد سبق ان سجلت بعض الاحداث الطبية وظروفها الاجتماعية التي تصلح ان تكون اللبنة الاولى لذلك الكتاب . وبدأت افكر وأنا ما ازال في مكتبة لويس فيما اذا كان يستحسن ان يتضمن الكتاب سيرتي في ايام طفولتي وصباي بمسقط رأسي سامراء ، ام اختصره على احداث ايامي بعد تجريتي في كلية الطب ، وما ان وصلت شقتي في (رولاند هوس) حتى قررت ان يتضمن الكتاب جميع احداث سني حياتي بدءاً من ولادتي وحتى هذا اليوم الراهن .

الدكتور فائق شاكر / ١٩٦٢

في هذه السنة تولي الدكتور فائق شاكر بعمر احدى وستين سنة . وهو شخصية طريفة معروفة بين اصحابه في بغداد واهل عشيرته بسامراء . وقد درس الطب في استانبول ومن اترابه هناك الدكتور جلال المزايي والدكتور صائب شوكت ، والدكتور شوكت الزهاوي والدكتور اسماعيل الصفار . وعاد الى بغداد في اوائل العشرينات ليتخصص بمعالجة امراض العين ، وسرعان ما نبذ ممارستها ليزاول الوظائف الادارية ، فعمل متصرفاً للواء كركوك ، ومديراً عاماً لدائرة البرق والبريد ، ومديراً للخطوط الجوية العراقية ، كما صار امين العاصمة خلفاً لفخري الفخري ، ومع ذلك احتفظ بلقب دكتور . وكان كثير المقالب مع اصحابه ، ويحسن سرد النكتة ، وله منها خزين لا ينفد ، يستذكر منه مايناسب المقام حتى اذا كانت على نفسه ، قال مرة حين كان متصرفاً في كركوك .

— بينما كنت اتريض في ضواحي هذه المدينة شاهدت فلاحاً يقود حماره ، وحدث ان نهق هذا الحمار ، فاريت ان اثرثر مع ذلك الفلاح .

فسألته : ماذا يقول حمارك يا رجل بهذا النهيق ؟ فاجابني : انا عريي نازانم (اي لا اعرف اللغة العربية) !! من جانب آخر كان يحرص على أداء واجباته في الوظائف التي شغلها ويجهده ان يبتدع شيئاً فيها ، واعرف مما له علاقة بالطب النسوي انه بطريقة ما عرف ان اكثر الحالات الولادية تدخل الرهبة العاشرة في المستشفى الملكي وهي في آخر ادوارها المرضية ، فلا تحقق العلاجات في هذه الحالة ثمارها المتوقعة ، او يطول بقاء المريضة في الرهبة ، فتساق المريضة او تقطع من فائدة

بقائها في المستشفى فتخرج قبل الضياء التام او يخرجها زوجها جثة هامدة . وكانت سبل الوقاية الصحية حتى اواخر الخمسينات ضحلة بالرغم من المحاولات الجادة من قبل مديرية الصحة العامة لتثقف المواطنين على الاتجاه الصحيح في الوقاية من الامراض ومشاكل الحمل . والولادة . فنظم امين العاصمة الدكتور فائق شاكر لغوات تثقيفية في قاعة فيصل الاول لهن ليستمعن الى النصائح والارشادات التي يتكلم فيها المحاضرين من اطباء التوليد والامراض النسائية . وكنت انا اول هؤلاء المحاضرين في هذه السنوات وكان الاجتماع في قاعة الملك فيصل الاول مبشراً بنجاح المشروع ، فقد ملاها خليط ضخم من الامهات من مختلف الطبقات والاعمار ، وجلهن من غير المثقفات ، وقليلات منهن من لا يلبسن العباة . وحين وقفت على منصة المحاضرة وطلعت بناظري على من في القاعة ادركت حالاً كم سيكون الدكتور فائق شاكر مسروراً بهذا الحضور الضخم ، ولكنني لم اره في القاعة وقبل ان اتأكد انه ليس بين الحاضرين فيها رفعت رأسي الى المقصورات فاذا هو في احدها ولا يرى منه إلا رأسه وهو ينصت الي باهتمام وتركيز ، وانتهيت من القاء محاضرتي بعد ساعة تقريباً ، وحين خرجت من باب القاعة الى الشارع وجدته ينتظرني وعلى وجهه علامات الرضى ، وسألني :

— مانا يعني بنظرك يا كمال كون اكثرية الحاضرات في هذا الاجتماع هن من الاميات لا يعرفن القراءة ؟ .
فسالته :

— كيف عرفت انهن من الاميات ، وما يعني سؤالك ياكتور ؟ ولم اكن اعرف انه اعلن عن هذه المحاضرة في الصحف المحلية فقال لي :
— اعتقد ان ازواجهن هم الذين قرأوا او سمعوا عن اقامة هذه المحاضرة ، فحرضوا زوجاتهم للاستماع اليها (واضاف) هذا شيء جيد ياكمال .
وبعد ايام معبودات اتصل بي تلفونياً وقال لي :

— الا يكون من زيادة الفائدة من المحاضرات بقاعة فيصل الاول ان ننظم زيارات لبعض المواطنين للردعة الولادية في المستشفى الملكي ليطلعن بانفسهن على ما تعانيه الحامل التي تهمل مراجعة المراكز الصحية في بغداد واطرافها ، فاجبته :
— هذا مما لاشك فيه ياكتور فائق ، على اني من جانبي اقترح ان تكون هذه الزيارات بمجموعات صغيرة ، ويوماً واحداً في الاسبوع لاكثر .
— هذا ممكن ، (واضاف) عندي مقترح آخر وهو ان تستحضر في الردعة عدداً من المريضات ممن سبق ان استشرن المراكز الصحية فكانت ولايتهن بون تمقيد او اختلاط

مرضى ، ومقابل تلك تستحضر عدداً من الامهات ممن لم يستشرن الاطباء او يذرن
المراكز الصحية واعتمدن على القوابل ، فكانت ولايتهن لاتخلو من مشاكل مرضية (ثم
قال) لنستعمل يا كمال كل حيلة لاجتذاب الحوامل الى المراكز الصحية .
فقلت له

— هذا رأي جيد ، وسأعمل به اذا نظمت هذه الدورات بمجموعات صغيرة

وفائق شاكر حاضرك النكتة فقال لي

— اسمع إستجابتك باردة ، إصرخ بانني حتى تتقرب طبلتها ،

وقل لي : انا مستعد يا فائق

فقلت له

— وانا اضيف على ما تفضلت به ان أخذ هذه المجموعات الى راحة النسائيات
بالمستشفى واطلعهن على الحالات المرضية التي اعقبت الولادات في البيوت على ايدي
القابلات الجاهلات الوسخات وما يعقب ولايتهن من مضاعفات تخرجهن من صفة
الزوجة والام .

وبعد ايام عاد الدكتور فائق واتصل بي على التلفون

— دكتور كمال ، يدور بخاطري ان نضع كتاباً ييسر مفهوم الوقاية من اختلاطات
الحبل التي تبقى تصاحب المرأة طيلة حياتها ، واقترح ان يكون اسم هذا الكتاب
(الشيخوخة الخضراء) ونفذ الدكتور فكرته واخرج الكتاب بهذا الاسم ، وكان
موضوعي فيه (التخريبات اثناء الولادة ومعها في الاعضاء الانثوية)

وطلبني الدكتور فائق الى دائرته في امانة العاصمة التي تقابل (سراي)
الحكومة ، ولم اكن قبلاً قد دخلت هذه الدائرة الانيقة ، إذ كانت جميع اتصالاته بي
عن طريق التلفون ، وحين صرت في مكتبه سألني بجدية :

— ما رأيك يا كمال ان اؤسس مستشفى للأمراض النسائية والتوليد ؟

(واستمر يقول) كل ما اطلبه منك ان تضع لي مخططاً بسيطاً يوضح الترابط
بين فضاءات هذا المستشفى ومرافقه الاخرى .

— فكرة ممتازة .

— وسأطلق على هذا المستشفى اسم (مبرة الملكة عالية) .

— وكم سريراً سيكون في هذا المستشفى ؟

— ثلاثون كحد اعلى .

ثم قال لي

— عليك ان تضع لي قوائم بالللات والابوات التي يجب توفرها بهذا المستشفى

(وأضاف) وعلى البناء .

وسكت برهة (ليقول) وسابني هذا المستشفى نون كلفة

وسالته :

— كيف نون كلفة ؟

فاجابني بثقة :

— سائق نخوة اصحاب معامل الطابوق وياعة السمعت للتبرع ، الى هذا المشروع

الانساني .

وتم انشاء هذا المستشفى باسم (مبرة الملكة) بكلفة ضئيلة جداً وكانت اول

عملية فيه هي التي اجريتها انا لام صفيته الدكتورة امينة صبري مراد .

الى قرية برقانة بلبنان / ونموذج من بعض اللبنانيين / آب ١٩٦٢

قصت (برمانة) لأزور الدكتور عبد العزيز النوري . والسائق الذي اقلني في

سيارته المارسيهس الصغيرة السوداء فتي في نحو الثلاثين من عمره . وكان يتكئ على

سيارته حينما سمعت شخصاً آخر قريباً منه يضع على مؤخرة رأسه برنيطة من القش

بلونه الطبيعى ، وهو يصرخ باعلى صوته .

— نفر واحد برقانة ، برقانة واحد .

اي انه يحتاج الى راكب واحد لمتحرك سيارته الى برقانة ، ولم يكن صانقاً في

قوله ، وهذه صفة امثاله في هذه المهنة . وصعدت الى جانب سائق السيارة ولم تتحرك

السيارة حتى توفر ركاب آخرون ، فانطلقت بسرعة خاطفة كما ينطلق ثور المصارعة

الحبيس الى الحلبة . والسرعة من صفات السواق اللبنانيين ، وهم في الوقت نفسه

ماهرون في قيادة سياراتهم بثقة وامان ، ولا يعيقتهم ان يتحدثوا مع من في السيارة او

مع الذين يمرون بهم خطفاً من المشاة او من هم في سيارة اخرى تسابق سيارتهم ، وكان

هذا السائق نظيف الثوب والحداء ، وبوجهه مخلوقاً . وتجاوز منعطفين بسرعة

اخافتني ، ثم توقف امام حانوت صغير نضدت على جانبي بابه الخضار الطرية ،

والفواكه بانواعها . ومن خلال اللوح الزجاجي الذي يسد باب الحانوت اشار الى امرأة

في داخله .

— ويذك ؟

ولا اهن ان تلك المرأة قد سمعته وياب نكانها مغلقة ، ولكن هي العادة التي

صارت تعرفها اذا توقفت سيارة اجرة امام نكانها ، فخرجت اليه تلك المرأة ، فقال

لها :

- بدى ساندويج لحمه ، وانا نازل .

فاجابته بقولها :

- تكرم عيتك .

وناباها حين استدارت لتعود الى داخل حانوتها .

- وينك ؟ هاتي عصير ليمون واحد ، هلا ، وبخلت الحانوت وخرجت ويدها على

ورقية بيضاء اللون هرسية الشكل ومعها قسبتين ، فتناولها وهو يقول لها

- تسلمي .

واندفعت السيارة بسرعة فيما بدأ هو يتقرب رأس العلبة الورقية بالقسبتين .
والطريق الى برمانة ضيق ومتعرج ، ومزدحم بالسيارات الصاعدة والسيارات النازلة ،
ومع ذلك إستمر يحاول دفع القسبتين في العلبة حتى اخلهما ، وصار يمس من
خلالهما المصير الذي في العلبة حتى افروغها ، وظل يمسك بالعلبة حتى حاذى
منعطفاً ترتفع على جانبه الاعشاب والشجيرات ثم رماها على منحدر هذا المكان .
وكنتم وقتئذٍ امتع نظري بالخضرة الفدية في اشجار الصنوبر السامقة ، وبرز فجأة امام
ناظري اوتيل (البستان) ، مثل صندوق بضاعة كبير مرفوع على قوائم يرتفع عن
الارض ، ثم مالبثنا ان صرنا على مدخل (بيت مري) التي يقال انها كانت يوماً موقع
بيوت القديم . وتوقفت السيارة لتتحدث عنها امرأة بدينة منتفخة العينين تعلق على
مفصل مرفقها الايسر محفظة سوداء من الجلد تبرز من زاويتها رؤوس الخبز الطويلة
ذي القشرة اللماعة وفجأة انطفأت مائدة السيارة ، فكبس السائق على محركها مرة
ومرة اخرى نون جنوى فقال بتلهم .

- ولك شوهاي ؟ العمى !

ونزل عنها ورفع غطاء ماكنتها ونس رأسه من تحته محاولاً الكشف عن سبب
عطيلها ، ثم أعاد الغطاء الى مكانه متبرماً وصعد يجلس وراء مقود السيارة وكبس
عليه مرة اخرى نون جنوى ، وتقدم منه شرطي انيق وسال

- شوبيها ؟

فاجابه السائق

- بيها العمى ، إمبراح يا أخي دفعت مائتين ليرة .

وسال الشرطي

- وعلق ؟

- نارية مفي - شوها المهيمة ، عشرون سنة ، تخلص عشية ، وماتى عشية ،
ويخلص يوم وماتى يوم ثان والنتيجة موت . وانقلب السائق الى بركان يتفجر بحمم من

السياب على الدنيا وعلى حظه منها . ولحسن الحظ لم تكن السيارة حيث عطلت بمدينة من فندق برنتانا حيث ينتظرتني صديقي الدكتور الدوري فاحضت طريقتي اليه وكان الى جانب هذا الفندق سطحية واسعة تعلو قسماً منها عريشة من الكروم تحملها اعواد مترابطة بفن ونق وتناسق ، وتتدلى من العريشة عناقيد المنب بحباته الحمراء والبيضاء .

اما القسم الاخر من السطحية فمسقف ليمنع هطول الندى في ساعات الليل .. وبرمانة رطبة ، وخصوصاً في الامسيات فيهرع نزلاء الفندق من السطحية المكشوفة الى السطحية المسقوفة وشاهدت وانا اصعد درجات مدخل الفندق ثلاثة اصدقاء عراقيين يحيطون بطاولة دائرية عليها اكواب الشاي ، هم : محام مرموق في بغداد ، وهو اعزب متحرر ويحب العناية البريئة ، ونكي وله آراء في الحياة في غاية الطرافة ولو انها غير قابلة للتطبيق انياً .. اما الصديق الثاني فموظف كبير في احدى مؤسسات الدولة العراقية ، والصديق الثالث من العراقيين القاطنين في لبنان ، ولم ار بينهم صديقي الدكتور الدوري الذي اخطرت به بزيارتي له في مساء هذا اليوم ، بهذا الفندق ولم اراه ايضاً على طاولة اخرى في السطحية . وكان الوقت اصيلاً حين انضمت الى هؤلاء الاصدقاء الثلاثة ، والشمس تغطيها الفيوم الوطنية ثم تظهر ثم تختفي وهكذا كان الجو متقلباً ولكن دون مضايقة . قال لي صديقي المحامي .

— اتشرب شيئاً ؟

فقلت له

— انتظر مجيء الدكتور الدوري لنتناوله معاً .

كان الاصدقاء الثلاثة يتحدثون حين انضمت اليهم عن طبيعة لبنان وخبراته الطبيعية ، وتنوع سطح ارضه ، وما تنبت من شجر وثمر ، واسواق ، والبشر النظيف المذواق في ملبسه ومأكله ، وقال احدهم

— معدل الجمال بين النساء في لبنان عال .

وقال آخر .

— هواء البحر هو السبب

وقال آخر .

— هو المنصر .

وقال الثالث .

— كلاهما يا اخوان .

وانتظرت الدكتور الدوري ساعتين وأنا مع هؤلاء الاصدقاء الثلاثة نون ضجر الا حين يخطر ببالي تاخر الدوري لسبب لا أعرفه ، وهو الدقيق والملتزم في مثل هذا الامر ، ولم يحضر الدوري ، وعرفت بعد ذلك من كاتب هذا الفندق انه غادر برمادة الى بحدون . فنهضت اودع الاصدقاء الثلاثة لاعود الى بحدون .
وسواق سيارات الاجرة في لبنان يعرفون بالمران الذين ينتظرون على قارعة الطريق مرور سياراتهم لتحملهم الى حيث يقصدون ، فيتوقف سائق السيارة حين يحس ان الذي يقف على حافة الطريق انما هو في انتظار سيارات الاجرة ، فلم انتظر طويلاً على حافة الطريق حتى وقفت سيارة اجرة الى جانبي ، ولم تكن هناك اية ضرورة لاساله عما اذا كان متجهاً الى بيروت فهذا هو الطريق اليها وليس الى غيرها من القرى والمدن وصعدت الى جانب سائق السيارة ، ثم توقف السائق بعد ان درجت السيارة قليلاً حذاء امرأة تمسك بكل من يديها طفلاً فيما بين الخامسة والسابعة من العمر ، وسالت السيدة السائق .

— على الرياش ، ؟

فاجابها :

— اصعدي ، ومدّ يده وفتح لها وهو في مكانه باب السيارة الذي خلفه فافرجتها بما يكفي لها ولطفليها وصعدت ، فخاطب السائق المرأة عن طفليها قائلاً .

— واحد يقعد ، وواحد يقف .

ثم اريف يقول : ليرة ونص .

فقالت باستغراب .

— ليرة ونص ؟ كيف ؟ نحن اولاد ضيعة وحدة ياخي .

فابطا السائق سيارته حتى وقفت ، فسالت المرأة ،

— شوهاي ، ليه وقفت ؟

فرد عليها باقتضاب

— ليرة ونص

فقالت المرأة بامتعاض

— ليرة ونص ليرة ونص ، ماقلنا شيء خلصنا .

وتحركت السيارة تنحدر على الطريق بين اشجار الصنوبر وأنا اسمع صرير

اجنحة صراصيرها بعصبية وبغير انتظام . وما لبثت المرأة ان عادت تقول :

— ماينصرف ، شو (نزار) جديد في التسعيرة ، كل مرة نعطي ليرة وربع .

ولم يرد عليها السائق ، ثم قالت :

— نصحبونا نصيف في برمانة ، والسرفيس على العتبة ، والله مانو على العتبة ،
فيكون اذا هيك على (الرئبي) . ولية ونص كمان ، هاي دي أونطة ، وإلا بئلوا
النزام !

فاجابها السائق :

— النزام زاتو ، لية وربع عنك وربع لية للصبي الجالس ويلاش ربع لية عن الصبي
الواقف .

كانت هذه المرأة لحوجه فقالت :

— يعني الصبي برقع ؟ ، انا ادفع ربع لية عن الاثنين .

فقال لها بملل ظاهر .

— ياأمي انا الت لك لية ونصف ساعة صعدتي الى السيارة ، موش بعد ماصعدت

فالتفتت المرأة نحوي وقالت تسألني :

— يا زلة إحكي ؟

وماذا اقول ، فلم اقل شيئاً لاي جانب منهما ، فقالت تخاطب السائق

متخاذلة .

— خلصنا ، بدنا نسكت احسن .

وبعد لحظات عادت تخاطب السائق بتويد وكان لم يحدث شيء ولا كانت ثورتها

عليه من اجل ربع لية ، فسألته :

— شو ماحدا منكم يشرفنا ، ليه ؟

ولم يجيبها السائق ، وعادت تسأله :

— كيف جورجيت ؟

فاجابها بون اهتمام :

— مليحة .

— والاولاد اسم الله عليهم ، ماأحلاهم ، ثم بسطت راحة يدها على رأس الطفلة

التي في حضنها وقالت :

— هم زي بضاعتنا (تقصد اولادها) .

ثم سألته :

— ما عرفتهم ابول بنات كرامة ؟

— ما عرفتهم ؟ ، طالعين على امهم ، (ثم امسك لحظة وسألها) :

— كيف كرامة ، صار زمان ما طلعت على بيتنا ! ووينها هلاء ؟ .

- لسة بالاوبيتال تبع الخالدي
- يعني صارت ممرضة رسمي ؟
- بس ماهيتها لسه مائة وخمسين ليرة ، (وازافت) :
- ما بتريد تشتغل بالليل ؛ شغل وأولاد مابيصير ،
- هذا هو الدوغري ياخواجه فليب .
- ثم سألته بتعجل .
- نسيت أسالك عن عمو الياس ، كيفو ؟
- بالسريير
- ياغييب الشوم .
- وطانيوس ؟
- طانيوس على البرآد ، وشغلو مليح ، وهلا عندو ستة شغيلة لانه اخذ مكايين جداد فرنساوية .
- وبيو ؟
- رفته ، وهلا طانيوس حل محله ، والمثل يؤول عينك على مالك دوا
- وسألها :
- وفينو بيو هلا ؟
- فاجابته :
- ماني عارفة .
- ثم اضافت بتهكم .
- مراتو بتعرف .
- شو مابتعربي انت ؟
- فاجاته دون اكترات
- يمكن عند كتانة (وازافت) لسه ازعر موش مثل خيو طانيوس .
- فقال لها بصيغة الدفاع عن بيو
- بيصير ، موش اليوم غد
- فاجابته محاجة
- شو صغير حتى يصير ، طانيوس كان عمرو تسع سنين وماهيتو ليرتين باليوم ؛
- الديك الفصيح من البيضة يصيح ا
- ثم قالت بمجالة :
- هون دخلك اذا بتريد .

واردت ان اخابت هذا السائق فقلت له :

— انتو مابتريدونا .

فرد علي باستغراب .

— شوها الحكي ، احنا يا سيدي بنريد نعيش ، والعراقيون احسن المصطافين

لبنان .



هذا هو اللبناني وذلك كان نموذجاً للمواطنة اللبنانية ، ومادار بينهما نموذج

لبعض حياة اللبنانيين الواقعية الجادة .

وهكذا عدت من برمانة دون ان احظى بزيارة الدكتور الدوري .

جميلة خان وجميل الزهاوي / ١٩٦٢

هذه السيدة هي ارملة الشاعر جميل صدقي الزهاوي وناشرة نواوينه ، وهي من عائلة تركية محترمة . وقد عرفتني من خلال خدمتي لها حين كانت تشكو من مرض نسوي عارض ؛ فضلاً عن انها من اقارب زوجتي ، وهي بالرغم من كونها في السبعين فانها مازال تحتفظ بنعومة الانوثة الوقور ، كما ان لها اسلوباً جذاباً في سرد الاحداث والفكت ، وتهوى اقتناء شجيرات الظل ، كما كان لها مطبخ مشهور بالاطعمة التركية اللذيذة ، وقد هداها الله تعالى ان تصل الى مجالستي ، فتزورني بين حين وحين وهي تحمل في كل مرة شيئاً من مطبخها مثل المربيات والطرشي ودولة الزيت والنتركلاغي ، وتكون زياراتها لي في ايام الجمع ، وهو اليوم الذي خصصته لاستقبال ضيوئي . ويوماً زارتني هذه السيدة فاخذت مكاناً كما اعتادت ان تفعل قريباً من مجلسي في الصالة ، وصرنا نتحدث في شؤون الحياة ومنها حياة زوجها الراحل جميل الزهاوي ، والمقالب التي تنسبها اليه ، وبينما كانت منهمكة في حديثها ادارت ظهرها فجأة عني لتواجه النافذة التي كانت امامنا وهي مستمرة في الحديث عن زوجها الزهاوي ، واستقرت من هذه الحركة ، فسألتها فيما اذا كانت غير مرتاحة في مكانها ، فاجابتنني وهي تشع باصبعها الى صورة عبد الكريم قاسم التي كانت تقابلها في الصالة .

— لا فانا مرتاحة في مكاني ، ولكني لا اريد ان اقابل هذا الخبيث ، فقامت وقلبت

الصورة لتواجه جدار الصالة . فقالت لي بامتنان :

— هذا افضل .

وكانت محكمة الشعب الخاصة التي يرأسها المهداوي في تلك الايام جادة في

النظر بقضايا المتهمين باضرار الشعب ، ومن قاوم الضباط الاحرار في ثورتهم في شهر

تموز سنة ١٩٥٨ ، ومن هؤلاء المتهمين اللواء غازي الداغستاني ، فحكمت عليه بالاعدام ، ولجميلة خان علاقة وثيقة بعائلة الداغستاني ، حتى ان اخت غازي الداغستاني (عوش خانم) صارت تسكن في بيت جميلة خان بعد وفاة زوجها جميل الزهاوي .

ولا تزورني جميلة خان مرة الا وتذكر واحدة من نوابر زوجها جميل افندي قالت لي ذات مرة ان من اصدقاء زوجها (محمود السنوي) ، وكانت بينهما مداعبات ، فسأل محمود السنوي جميل افندي : اين تقع مدينة الزهاو يا استاذنا ؟ وحسب جميل افندي ان في هذا السؤال إستصفاً لمدينة زهاو فاجابه جميل افندي : - سألتني ، حقك ، تريد تعرف اين تقع زهاو ، فخذ مكبرة وفتش في الخريطة عن

مدينة (سنة) فاذا وجدتتها فالمدينة الكبيرة التي بجانبها هي زهاو وقالت لي في مرة اخرى : كان جميل افندي يهوي تربية الطيور ، وصباح ذات يوم وجد ان قطاً سطا على برج طيوره وأكل احد طيوره ، وفي صباح يوم آخر اكل القط طيراً آخر وجرح اثنين ، فتأدى على خادمه (عبد) واعطاه ديناراً ليقتل ذلك القط باية طريقة يشاءها فخر عبد ليلته وقتل القط ، ولما رأى جميل افندي القط قتلاً على ارضية برج (حمامه) ندم على قتله ولم يتناول فطوره في ذلك اليوم ، وطلب من خادمه (عبد) ان يأتيه بعضاً طويلة ، وربط القط في احد طرفيها وربط الطيرين القتيلين في طرفها الآخر ، وطلب من عبد ان يحمل العصا على كتفه ويدور في شارع الرشيد ويدخل المقاهي ويقول لمن فيها ان هذا القط قتل هذين الطيرين كما قتل غيرهما من الطيور وصاحب هذه الطيور قتل هذا القط ، فهل كان ذلك جريمة من صاحب الطير ام ان ما فعله كان جزاء وفاقاً ؟ . وخرج الخادم عبد من بيت جميل افندي وهو يحمل العصا بما ربط في طرفيها متجها نحو شارع الرشيد وعاد بعد ساعتين وقال لسيدة الزهاوي وهو يبتسم : ان الناس ايدوا ما فعلته بهذا القط يا عمي .

اما جميل افندي فسأله : وهل ذكرت للناس اسمي فاجابه الخادم : كلا ياسيدي فقال له جميل افندي : كان يجب ان تذكر للناس اسمي لتكلم المهزلة ، ثم ضحك بملء فمه وهو يقول للخادم : انت شيخ الكذابين وانا شيخ المغفلين فانت لم تصل الى ابعد من مترين عن البيت ، وعدت لتقول انك فعلت ما امرتك به ، وانا اعرف باليقين انك لم تفعل ذلك وانما طلبت منك ان تفعل ذلك لاروح عن نفسي ، انا اريد ان اضحك لاكثر من ذلك .

وقالت جميلة خان وكان جميل افندي يحب الاستماع الى الحكايات التي ترونها العجائز ، وكنا نستأجر له احداً من لتقص له حكاية ، ويوماً بدأت احداً من

تقول : (كان ماكان في سالف الدهر والاولان ، ملك عظيم ، له سلطة لاحدود لها ، واموال طائلة لا حصر لها . ويوماً تناول عشاءه مع ضيوفه من اعيان البلد والوزراء فلما كان صباح اليوم الثاني وجد ذلك الملك ميتاً في فراشه ورفع جميل افندي رأسه عن الوسادة وسأل المرأة العجوز : مات الملك ؟ فاجابته العجوز : نعم وجد ميتاً في فراشه . فما كان من جميل افندي الا ونهض قائماً وصار يلطم وجهه وينتحب ويصيح : (او ويلآخ يابه مات الملك ، اويلآخ يمه مات الملك) فقامت العجوز مذعورة وتناولت عبايتها واتجهت نحو باب الغرفة لتفادر البيت ، فاستوقفتها جميلة خان غير ان العجوز اصرت على مغادرة الدار وهي تقول لها يمه رجلك مخبل ، آني ماأريد هذه الشفلة . وغادرت البيت بلا عودة . فقالت جميلة خان تعاتب زوجها : جميل افندي : انت شسويت ، شصار بيك ، تخبلت ؟ فاجابها جميل افندي : شلون اطرد هذه العجوز من البيت ريحتها جايقة وتخن بكلامها . رحم الله جميل افندي الزهاوي .

السيدة الأمريكية / ١٩٦٢

لاصف هذه السيدة التي رأيتها مساء يوم ١٩٦٢ / ٦ / ٤ في عيادتي بمستشفى السامرائي ، هي في عمر الخمسين تقريباً ، طويلة التامة برشاقة ، شعرها كستنائي ، معروقة الجسم ، واسعة العينين في وسن خفيف ، منفرجة الفم في إبتسامة حلوة .. هكذا يستطيع اي واحد ان يصف هذه السيدة اذا كانت نظرت له عابرة ، ولكنني على قدر مارأيتها فثمة صفات اخرى تجعله في اعلى مستويات الزوجية والانوثة . اول يوم رأيتها في عيادتي كانت بصحبة زوجها وهو في مثل عمرها ووسامتها ، امريكي مثالي في ملبسه ونطقه وفي قص شعر رأسه ، وقد جلسا جنباً الى جنب حتى تماسا ذراعاها فكانا نموذجاً لزوج وزوجة متحابين ، والحب لايتحقق الا اذا تعادل الزوجان شكلاً وروحاً ، وهذا ماالمسته في هذه السيدة الامريكية وزوجها الامريكي .

واستجويت هذه المريضة تزوجت في العشرين وانجبت بنتاً بعد ثلاث سنوات ، وفيما عدا ذلك ليس في تاريخها الطبي مايبهم ، ولاحظت بطرف عيني ان زوجها يمد يده الى حضنها حيث كانت تعقد يديه ، ويدس اصابعه بين اصابعها ، ويميل اليها حتى ليكاد يلتصق وجهه بوجهها .. واستمرت هذه السيدة تقول :

— قبل ستة أشهر بدأت اشعر بالآم في اسفل بطني ، ولم اعرها إهتمامي في أول الامر غير انها صارت شيئاً فشيئاً تزداد شدة وتكراراً ، فاجريت لها عملية واستؤصل

بها من حوضي ورم بحجم بيضة الدجاجة ، ونصحني طبيبى ان اعرض نفسى على
إختصاصى بالامراض النسائية بين حين وحين .
وسألتها :

— هل زورك الطبيب بتقرير عن العملية ؟ .

فاخرجت من حقيبتها ورقة كان فيها مفصل خطوات العملية ، وورقة اخرى
بتقرير المختبر الذي فحص شريحة من الورم مجهرياً ، فاذا هو من النوع
(الخبيث) ، ولما وقفت على التشخيص في هذا التقرير نظرت إليها بمعنى خاص
أبركته هذه المريضة حالاً ، وهي لابد كانت قد قرأت هذا التقرير وعرفت مخاطر هذا
المرض اللعين وقسوته ولو بعد حين ، فاذا هي تقول لي
— دكتور أعرف ان الورم خبيث !

وشد الزوج على قبضة يدها بينما إستمرت الزوجة تقول :

— اعرف ذلك وقد اوصانى طبيبى ان اعرض نفسى على طبيب يختص بهذا المرض ،
هذا هو كل ما عندي لانفذ توصياته .

وفحصت هذه السيدة فلم اجد فيها مايدل على عودة المرض في مكانه او في مكان
حوضها ، وهذا لايعني شيئاً ، وعودته قد تجيء بلا انذار مسبق ، فيظهر في مكانه او
في مكان آخر من هذا الجسم البشري المنتصب امامي ، انه مرض وحشي غادرونهم في
تحطيم هذه الانسانية التي حباها الله كل صفات الخلق الجميل ، ولم استطع ان اقم
لها خدمة اكثر مما اوصى به اطباؤها في امريكا ، ونهضت وهي تشكرني بتكرار وغادرت
عيادتي وهي تقول لي :

— لقد كنت لطيفاً معي ، فشكراً جزيلاً ، وسارك في الشهر القادم .

ولم ارها بعد ذلك ، غير انها خلفت وراءها في عيادتي اريجاً زكياً لايمل عبقه من
له حس انساني وتنوق في تقدير جمال الانوثة .

يهودي عراقي في أوصلو بالنرويج / ١٩٦٢

في منتصف شهر آب كنت في أوصلو عاصمة النرويج ، وبعد ان اتعبني المشي في
متحف (كارل ملزى) دخلت احد المطاعم المطلة على البحر .

ومتحف كارل ملزى مجموع من تماثيل من الرخام من صنع نحات نرويجي
اسمه (كارل ملزى) ، وقد يكون الاسم ملزى لعائلته لاجزاء من اسمه المركب . ومن
التماثيل التي تملا بستاناً واسعاً اجتذب انتباهي باعجاب ثلاثة كان احدها عند

مدخل هذا المتحف وهو يمثل جنيناً في الوضع الذي يكون به في رحم امه اي انه كان معتدلاً برأسه ، وجميع اطرافه مثنية لتأخذ اصفر حيز في الرحم ، اما التمثال الثاني الذي شدني لدراسة اجزائه فيمثل حياة الانسان وهو جنين ، ثم وهو وليد ، ثم وهو شاب ثم وهو كهل ، واخيراً وهو شيخ لايقوى على الحركة . وكل هذه المراحل منحوتة من قطعة واحدة من الرخام ومنقصة بعلو كالذي نراه في ارتفاع المسلات المصرية بقي ان اقول ان كارل ملزي من عائلة نبيلة وجن عقله حين بلغ سن الشباب وهوى الذنوب وانقطع عن الدنيا اليه ، فلا يراه احد ولا يرى احداً من الناس . فلما توفي دخل ورثته تلك البستان الذي حبس نفسه فيه فوجدوا فيه المعجائب من تلك التعاشيل ، فابقاها الورثة في اماكنها ولم يضيفوا اليها إلا لافتة رفعت على باب البستان تحمل اسم (متحف كارل ملزي) .

واعود الان لاسرد مالاقيته في المطعم الذي دخلته لاتناول غذائي فيه . كان المطعم غير صغير ولا كبير ، غير انه انيق ونظيف جداً ، واخذت مكاني على احدى ماضده في انتظار من يأتي لاطلب منه مااريد من طعام . وفيما كنت اتكلم مع النادل الذي جاءني بقائمة الغداء انتبهت الى رجل في نحو الخمسين من عمره او اكثر ، يكثر التطلع اليّ ، فتحاشيت مبادلته النظرات .

ومع ذلك رأيت بزاوية عيني يستمر ينظر اليّ ، فتضايقت منه ، ومالبت ذلك الرجل حتى نهض من مكانه وتقدم من طاولتي وسألني بادب — تسمح لي لبضع دقائق ؟

فقلت له بون ان ابدي ارتياحاً لطلبه .

— تفضل .

واخذ مكاناً على كرسي على طاولتي . كان اسمر البشرة ، كث الشارب وذا قيافة محترمة . وتطلع الى وجهي وسألني : — عراقي ؟

— نعم انا عراقي ، من بغداد .

واستقرت ان يعرف انني من العراق !

فسألته بعد لحظة سكوت بيننا :

— كيف عرفت اني عراقي ؟

فاجابني :

— قلبي عرف انك من بغداد ، فسألتك ان كنت عراقياً خشية ان ابتعد عن

الصواب .

وسألته :

— ماذا تقصد بان قلبك عرفني من العراق .

فاجابني :

— لانني مثلك (عراقي) وقلبي يخفق حين ارى عراقياً (واضاف) وهو يخرج من محفظته بطاقته الشخصية ويقدمها لي ! انا من محلة ابو شبل ببغداد واسمي اسحاق بلبول ، ابن عم سليم بلبول اذا كنت تعرف هذا الشخص في بغداد .
فقلت له :

— اعرفه وهو صاحب بغداد الجديدة

فقال :

— نعم انه هو ابن عمي :

وانفتح الباب للتحدث اليه بامان ، فسألته :

ماذا تعرف عن بغداد .

فاجابني :

— غادرت بغداد وانا بعمر خمس عشر سنة قاصداً عمتي (سارة) في منجستر .
وكانت تعيش مع زوجها على صنع قبعات النساء ، فضمني الى سرب من العاملات في بيتها ، وبعد سنوات تزوجت ابنتها . وتوسع معمل عمتي وصرت مدير مبيعاته .
ويدعوني عملائي لهذا السبب (ملك القبعات) .

وسألته :

— ماذا تذكر عن بغداد .

فاجابني :

— اذكر شارع المباحنة ، ومحلة ابو شبل ، وطوب ابو خزامة . كما اذكر الجسر الذي يربط بقواربه جانب الرصافة بجانب الكرخ .
فقلت له :

— اصبحت هذه ذكريات ، وكثير من شباب العراق لم يروا الا قليلا منها .

— ياليتني ارى بغداد !

ولم اقل له ما يمنعك ، ولكني سألته :

— هل تتوق الى رؤيتها حقيقة ؟

فاجابني :

— بكل تأكيد .

ثم سكت وادار رأسه ينظر الى بعيد ثم ادار رأسه نحوي وسألني :

— اسمك يا اخي :

— اسمي كمال السامرائي ، دكتور كمال .

— واين تقيم في اوسلو ؟ .

— في فندق (العقبان الثلاثة) . 3 FALCONSHOTEL .

فقال لي :

— غريب انا اقيم في هذا الفندق (ثم اضاف) سوف اسافر غداً الى (برجن)

لارى مفيب الشمس عند منتصف الليل . ثم (سألني) : هل تحب ان ترافقني الى

برجن ؟ وإن زرتها فانا اقيم في فندق (العقبان الثلاثة) ايضاً . ونهض وغادر المطعم .

وبعد ان انتهيت من تناول غذائي طلبت النادل لادفع حسابي فقال لي :

— مستمر بلبول طلب مني ان اضيف حسابك على حسابه . وغادرت المطعم الى

الفندق ، فوجدت على المنضدة التي تتوسط غرفتي باقة من الزهور وعليها بطاقة

اسحاق بلبول .

وبعد ثلاثة ايام غادرت اوسلو الى (برجن) وقصدت فندق العقبان الثلاثة ،

وسألني رجل الاستعلامات ان كنت حجزت غرفة باسمي ، وفي هذه اللحظة سألني

هذا الرجل .

— اسمك ياسيدي ؟ .

فقلت له :

— دكتور سامرائي .

فقال لي :

— طبعاً ، حجز لك مستر بلبول غرفة في الطابق الخامس وهذا هو مفتاحها .

وفتحت باب غرفتي فكان على احد مناضدتها حزمة من الاوراق وعليها بطاقة

باسم (بلبول) .

ولم يجبني البقاء في برجن اكثر من يومين ، واكثر ما اجتنبت انتباهي الى

ما فيها بعض تصرفات السابلة في الشوارع او القاعدين على حافات الطرق ، فاذا

سألتهم عن مكان في هذه المدينة نهض من اسأله واقفاً باحترام ليجيبني بتفصيل عن

المكان الذي اقصده وقد يقوطني بنفسه الى ذلك المكان . ورأيت ان عطفتي الصيفية

على وشك الانتهاء فحزمت امتعتي لاعود الى بيروت عبر باريس واستانبول ، فكان هذا

الطريق طويلاً ومتعباً ، فوصلت بيروت في ظلمة الليل .

ينتابني أحياناً كابوس أثناء نومي ، فأشعر باختناق يقطع أنفاسي ، فأتحرك وأتقلب في فراشي بتكرار نون وعبي وارانتي واستنجد بصراخ لفكه عن رقبتني ، ولكن نون جنوى . وقد تكون هذه الظاهرة وراثية ، فأبي وأخي الأكبر كانا يشكوان منه . وتذكر الكتب الطبية انه من نتائج التخممة بطعام العشاء . وفي ما يخصني فإن الكابوس الذي ينتابني لا علاقة له بالمأكل أو المشرب ، فقد يحدث وأنا نائم على الطوى نون عشاء من أي نوع أو كمية ، فيسبب لي مواقف محرجة ومزعجة وخصوصاً عند سفري حين أنام في غير بيتي . وقد لا ينتابني شهراً أو أكثر ، وقد يتكرر أكثر من مرة في الأسبوع الواحد ، ويكون شديد الوطأة أو خفيفاً استيقظ له في بدايته فاجهضه وأتخلص منه قبل استفحاله حين رجعت من أوصلو إلى بيروت ، قصدت فندق (سبلندر) ببحمدون والليل في منتصفه ، وكنت تعباً فأويت إلى مخدعي في إحدى غرفه نون تناول العشاء ، ولا أنكر كم نمت ولكنني لم أتم طويلاً حتى سمعت طوقاً على باب غرفتي ، ولما استوعبت الطرق كنت حينذاك بين النائم واليقظ ، ولما صحت تماماً عرفت بسرعة كل شيء فقد كنت ضحية كابوس تقيل يحتم على صدري فاصرخ بأعلى صوتي حتى استيقظ عليه بعض النائم من نزلاء الفندق ، فهرعوا ومعهم بعض خدم الفندق لنجدة من يصرخ ، غير أنهم لم يعرفوا مصدره من بين الغرف القريبة من غرفتي ، وانصت للهرج الذي حصل في كريدور الطابق فإذا واحد يقول انه من غرفة الدكتور (وهو يقصدي بذلك) ، ونفى آخر أن يكون من غرفتي وأضاف انه من الفرفة التي إلى جوار غرفتي واعدت رأسي على وسادتي والعرق يتصبب من وجهي ، ولم أتم بعد ذلك إلا قليلاً .

ونزلت إلى صالة طعام الفطور ، ثم نزل بعدي جاري الكويتي ، وأخذ مكانه قريباً مني ، ورأيت الخدم يتهايمسون وهم يشيرون إلى هذا الكويتي على انه هو الذي كان يصرخ في نومه بغرفته المجاورة لغرفتي ولم يكن هذا الرجل يدرك ما يدور حوله من الهمس ، إذ انه لم يكن قد فعل شيئاً يستوجب ذلك . أما أنا ففعلت ما كان يفعله الخدم وصرت أنظر إلى ذلك الكويتي البريء وهو يزدرد فطوره باطمئنان ، لاثبت لهم انه هو ولست أنا من أزعجهم في الليلة الماضية بصراخه .

حكاية المحامي سلمان الشيخ داود / آذار ١٩٦٢

الشيخ احمد الداود وزير الاوقاف عدة مرات في الحكومة العراقية ، وابنه سلمان محام ناجح وصحفي جريء ، ونائب في احدى نورات المجلس النيابي ، وقد لعب دوراً في سياسة الصحف العراقية ابان الحرب العالمية الثانية . وكان يتعلق للوصي على عرش العراق الامير عبدالاله ليحصل على منصب وزاري ، فلم ان نكاه الوصي كشف عن عيوبه الشخصية فابعد عن هذا المنصب . وكان سلمان يكثر من الاسفار الى اطراف الشرق والغرب القريب والبعيد ، وهو محدث لبق لو انه لا يمتط نطقه حين يتكلم ، وقيل انه يجيد الكتابة اكثر مما يجيد الكلام .

وكنت يوماً في مجلس رجالي بدار السيد ابراهيم الخضير بمنطقة المصيح ، تطرق فيه ضيوف هذا الرجل الى مشاهداتهم في اوريا ، فقال سلمان فيما قال : — في بعض اقطار اوريا يعد شرف الرجل كل ما يخص حصانة اعضائه التي تعلق المحرم ، فكتب اللسان وسرقة اليد ، والقتل من الاخلاق المذمومة التي تمس الشرف ، وعند بعض الامم الاخرى يعد من الرجولة التحايل المشرع لتحقيق المكاسب والمراتب العالمية . وتميزاً لنظريته قص علينا ماياتي . — في سنة ١٩٣٣ كنت في لندن ، وقد استأجرت غرفة في بيت عائلة تتكون من زوج وزوجته وابنة واحدة . وكان يصلني من بغداد ما تتعجب له هذه العائلة ، فاکرمهم منه بصحاء ، واستطعت بهذه الطريقة وبغيرها ان اغوي صبية هذه العائلة الجميلة ، وصار بيننا ما يصير تحت المحرم . وكانت ام هذه الصبية لا تقل جمالاً عن جمال ابنتها بالرغم من اثر العمر على جوانب من وجهها وجسمها ، فمرجت على اغوالها ايضاً حتى سقطت في شباك محاولاتي في غيابة ابنتها في الحانوت الذي تعمل فيه ، فصرت اسرح وامرح بين الام وابنتها كما اهاه (ثم قال وهو يضحك) ولم ينج مني من هذه العائلة الا الزوج المنهك بعمله في ورشة حدادة حتى ساعة متأخرة من النهار . واستمر (سلمان الشيخ داود يقول) : — وذات يوم بينما كنت ارتكي سلم العمارة الى شقتي فيها رأيت امرأة عجوزاً على باب شقة تقابل شقتي ، فابتسمت لي فحييتها تلقائياً ، وتكررت مثل هذه المقابلة مرتين ، فسألتني :

— انت من الهند ياسيدي ؟

فاجبتها :

— لا ، انا من بغداد العراق .

فلقالت وهي تنهق :

— أ ، بلد الف ليلة وليلة ، اليس كذلك ؟

— نعم انا من تلك البلاد .

ثم قال سلمان :

— ويبدو ان هذه المرأة لها معلومات عن الشرق العربي ، وتتشوق لمعرفة المزيد عنه ، فدعنتني الى تناول الشاي في شقتها لاجدثها عن بغداد وماضيها الاسلامي ، فلم ار بأساً من قبول هذه الدعوة ، فكان مساءً ممتعاً مع عائلة هذه المعجوز ذات الذكاء والثقافة الواسعة . وعدت الى شقتي ، فدهشت لوجوم اصحاب الشقة ، وصنمهم عني بما يشبه السخط او الغضب . ودام هذا الحال يومان فلم اتحمل نفورهم مني ، فسألتهم عن سبب هذا الصمود القاسي غير المتوقع ، فطلبت الام من زوجها ان يخبرني عن السبب فانبرى هذا يقول لي بعد ان تنحنح بوقار مفتعل :

— اسمعني ياضيفنا العزيز ، ان العائلة التي زرتها تلك المساء غير شريفة (قال سلمان الشيخ داود) وبهت لما سمعته من اب العائلة التي اسأكنها ، فكيف تكون تلك الجارة المعجوز غير شريفة ، والام وابنتها اللتان اسأكنهما في حضني كل يوم ، فسالت رب البيت عما فعلته تلك المعجوز لتكون غير شريفة ، فاجابني بكل بساطة :

— ان رب عائلة تلك الشقة قد تعاون مع الالمان في الحرب الاولى ، وقد اعدم بسبب خيائنه وتورطه في امور عسكرية لاتعنيه ، فبقي العار يلاحق عائلته حتى هذا اليوم .

وختم سلمان الشيخ داود كلامه بقوله :

— قد يكون كل شيء ، في بعض البلدان ، فوق مستوى السرة من كذب وسرقة وقتل ، من المفاخر والتباهي ، اما العلاقات التي تكون تحت مستوى السرة في انكلترا فتعد ضرباً من الحب ، بل يسمونه حباً عملياً . وهذه حكم العادة والتطبع والعياذ بالله .

زوج وزوجته في مواقف متضادين / ١٩٦٢

هذه الحكاية ذات مقطعين ، لزوج وزوجة ، والزوج زميل من الاحداث في المهنة والزوجة معلمة في بغداد .

كلمني هذا الزميل هاتفياً ذات يوم ، يقول :

— تسمح لي ان اراك بعد ان تنهي من عمك مع المرضى مساء هذا اليوم ؟

— انا في انتظارك في الساعة العاشرة هذا المساء .

ودخل غرفتي وما ان استقر على كرسي الى جانبي حتى بدأ يقول .

— انا زميلك ، وارجو منك ان تكون لي أخاً ، وانت تستطيع ان تساعدني اذا اردت .

كان عصبياً وحجلاً ويريد ان يبدأ حديثه من كل اطراف ما يريد ان يعرضه علي .
— تعرف انني تزوجت .

فقلت له :

— لا اعرف ، ومبروك على اية حال .

— يا ليتني لم اتزوج ، لامن اجل نفسي يل من اجل زوجتي ، فهي خير فتاة وفضل مني ، والمشكلة في لافيهها . فساعفني .

— اريد ان افهم موضوعك أولاً ، انت عصبى فاهداً وخبرني امرك .

— انا لست عصبياً ، ولكنني متالم ، والالم يثير العاطفة او يقلبها الى الضد .
وموضوعي سر واي سر ، وهو يخصني اكثر مما يخص زوجتي ، فهي بريئة منه ،
وخجلي من عرضه عليك لايفوقه خجل .

— لم افهم منك حتى الآن أي شيء .

— طيب ، انا تزوجت كما قلت لك قبل شهر او اكثر ، ولكن .. بالاختصار انه يكثر
شيء مخجل ، بالاختصار لم استطع ان اضاجعها كما يجب ، وانا اقتر ما كان
يصيبها اثناء ذلك من خيبة الامل ، وانت لاتقدر ماكان يصيبني من خجل .
فقلت له :

— مثل هذه الحالة كثير الحدوث .

وسالني :

— هل عرفت مثلها قبلاً ؟

ورأيت ان اطمأنه فقلت له بشيء من المبالغة :

— كثير .

— ربما تكون حالتي خاصة ، والموضوع في الاساس انني لا اعرف كيف يتم الاتصال
بين الرجل والمرأة .

كنت اعرف هذا الزميل منذ كان طالباً معي في كلية الطب ، كان هادئاً ، منطوياً
على نفسه لا يصاحب احداً ممن معه في الكلية ، واليفه الوحيد هو الكتاب ، وكنا
كطلاب نتحدث في ساعات خلواتنا في كثير من الامور الحياتية بما فيها علاقة الرجل
بالمرأة ، وكان هذا الزميل يشاركنا في كل حديث الا ما يتعلق بالمرأة ، فاذا طرقتاه انمزل
عنا وكاننا قد ثلبناء او وجهنا اليه شتيمة .

وعدت الى زميلي اساله .

— ألم تضاجع امرأة قبل اليوم ؟

— لم يحدث ذلك في حياتي .

— الا تشتتني مضاجعة المرأة ؟

ولم يجبني على هذا السؤال ، فقدرت كم هو خجل ان يذكر مجرد حبه للمرأة .
ورأيت بعيداً عني في فكره .

— اين سرحت يا اخي ؟

فاجابني :

— انكر مرة واحدة ، الكر تلك كطيف ، وكان يوماً بعيداً ، قبل اكثر من خمسة عشرة سنة ، وكانت في بيتنا خادمة صغيرة ، اصغر من عمري ، لا اعرف اذا كان ذلك عملاً جنسياً ، فقد صرخت بالرغم من استكانتها لمبثي بها فاخافتني الى حد الذعر ، وهربت منها رغم تشبثها بتلابيبي ، ولم اعد اليها ، ولا قريتها ، بل صرت أخافها واهرب منها ، ولما غادرت بيتنا بلا عودة فرحت لذلك كثيراً . ومن ذلك اليوم صرت اشعر ان في مقاربة المرأة شيئاً مخيفاً او ضاراً ، ومع ذلك اقول لك الحق يا اخي ، انا احب اية امرأة اشتهيها ولكن بخوف وخجل .

استمعت الى كل ذلك من الزميل الذي جلس يحدثني بتردد وخجل عن زواجه ، واخيراً سألته :

— هل تحب عروسك يا اخي ؟

فاجابني :

— كيف لا احبها ، وهي تحبني ايضاً .

— إذن لاتخف والوقت كفيل ان يحل عقدة امرك معها .

وبدا عليه شيء من الارتياح وغادر عيادتي بعد حديث مستفيض طال اكثر من ساعة .

اما المقطع الثاني من هذه الحالة المرضية فهو ما يخص زوجة ذلك الزميل ، فقد دخلت عيادتي ذات يوم بعد اكثر من ستة اشهر امرأة في المقد الثالث من العمر مستحبة السحنة ، جريئة في نظراتها ونطقها ، وسألتني :

— أنا زوجة زميلك (ح) .

وتفاجأت ، فلم اكن قد رأيتها قبلاً ، غير انها اثارت ماكان لي من معلومات عن زوجها زميلي (ح) التي ذكرتها فيما تقدم ، فرحبت بها ، وكان بودي لو عرفت ماأل اليه امره معها . ولكنني تجنبت هذا السؤال ، حتى جاءني تلقائياً وبشكل غير متوقع .

— تزوجت قبل تسعة اشهر تقريباً ، وكانت الاشهر الاولى من زواجنا تميسة كانت تؤدي الى الفراق بيننا .

ولم أشأ ان اقول لها انني اعرف تفاصيل ذلك فذلك سر لا تبوح لي المهنة ان افشيه . فقلت لها :

— تفضلي ، داومي على الكلام .

فقلت ، وعبرة في صدرها :

— تجاوز زوجي تلك المحنة .

واحببت حين سمعت هذه النتيجة ان اعرف ما فعلاه للتخلص منه ، وهل استشار زوجها طبيباً آخر غيري او اخذ علاجاً نوعياً فبريء من تلك الحالة ؟ ولكنني لم أسالها عن ذلك . وداومت تقول وهي تتنفس وتبكي في آن واحد .

— هو الان على نقیض ماكان بعد شفائه ، وصار يكلمني بخشونة ويهينني ويحتقريني ويبتعد عني ، ولا انكر كيف بدأت هذه التحولات ، واطننها كانت مفاجاة ، وعللت تصرفه الى كثرة اشغاله ولكن ذلك لم يكن سبباً ،

ورأيت ان اسالها :

— وما دخلي انا بينكما الان ؟ .

— الحقيقة انني لا اعرف بالتمام فيما اذا كان لك دخل فيما بيننا ولكنني اعرف ان

لك معرفة وتواصل مع زوجي ،

واريت ان اقول لها :

— لماذا لاتستشيرين طبيبه ؟ .

ففاجأتني تقول :

— انت طبيبه ، وقد باح لي بهذا السر في ايامنا الاولى .

بدت لي هذه الزوجة من نوع خاص ، هي متوسطة في جمالها ولكنها ذات ثقافة عالية ، ونكية ، وربما يهزها الاطراء بنشوة ، بل لاترتاح في مكان الا اذا كان فيه من يطيل النظر اليها فتتجه حينذاك بكامل نفسها اليه ، باهتمام ورغبة تريد ان تشعر ان الناس بها معجبون ، سواء كان زوجها من بين هؤلاء او لم يكن من بينهم . ولو سئلت لها الفرصة امام من يعجب بها لبسطت له دون تردد الحديث عن مؤهلاتها الكثيرة ، وعذابها النفسي من صبرها الطويل بزواجها .

هذه المرأة على ما اعتقد كانت من هذا الضرب من بنات حواء ، اما زوجها فكان على شاكلة اخرى ، في مرحلتيه اثناء شهر العسل وبعدة باشهر ، فاراد داخله بعد ان عرف الفوارق بينه وبين زوجته ان يتبوأ موقعاً مغايراً لا يخلو التصرف فيه من الانتقام والتشفي .

وغابت هذه المرأة عيادتي بون ان تكون لي الجراحة لا قول لها : انصرفي الى ارضاء زوجك وحده ، وبهذا تحافظين على كرامتك ورضى زوجك .

زيارة الى القاهرة / ١٩٦٢

في يوم ١٩٦٢/٤/٥ كنت انا والدكتور تحسين معلّة والدكتور جابر محسن مع وفد كبير من كلية الطب ، على الطائرة المراقية متجهين نحو القاهرة . وفي مطار القاهرة استقبلتنا الوجوه السمر ، وكان الوقت قريباً من مغيب الشمس . واستغرقتنا حين طلب منا يوليس المطار ان ننتظر حتى تتم بعض الاجراءات الامنية ، وطال انتظارنا في المطار بينما غائر جميع ركاب الطائرة وطاقتها فاتصلنا تلفونياً بالسفارة المراقية في القاهرة وجاء الى المطار احد موظفي السفارة ليستطلع الامر ، وغاب عنا وعاد اليانا وهو يقول لنا ان من اعضاء الوفد المراقى يهودي باسم مسلم ، ولا بد ان في تفيخ اسمه غاية ، وسألناه : وهل هذه حقيقة فقال لنا :

— نعم ، واسم هذا الطبيب (منير سلمان) اما اسمه الحقيقي فهو (صر شلومو) .

وتملكنا الدهشة وسألنا موظف سفارتنا :

— واخيراً ؟

— سؤي الامر وسيدخل هذا الدكتور القاهرة (ثم قال) وطبيبي ان المباحث الخاصة ستضعه تحت المراقبة :

وحملتنا سيارة التاكسي الى القاهرة . هذه مصر الجديدة ، والى يميننا قصر الباروني (امبابة) بحجارتها الوردية وعقوبه المشيدة على الطراز القوطي . ومررنا بمحطة القطار وامامها يقبع تمثال رمسيس ، ثم عبرنا كوبري الجلاء عند قدمي تمثال سعد زغلول ، ووصلنا الى فندق الدرج ، وتقدمنا من موظف استعلاماته فاخذ جوازات سفرنا وتفحصها بدقة ونقل ما فيها من المعلومات الى نفتره الكبير ، وطلب منا ان يكتب كل واحد منا هويته على ورقة خاصة قنمها لكل واحد منا ، واخذنا منا وهو يقول :

— اهلا فيكم يا اخوان .

وحمل نوبي حقائبنا وهو يتقدمنا ويقول تفضلوا ، وتبعناه الى المصعد ، وسدّ بابنا ورامنا وهو يقول :

— الى الطابق الرابع .

كانت غرفتي تطل على حديقة الاندلس ومن ورائها نهر النيل العظيم ، وعلى
مراى الطرف الشمالي منها كوبري الجلاء ، وعبر النهر امامنا تماماً ، فنزل
(هلتن — النيل) وعلى اليمين فندق سميراميس المتيد ، ثم فندق (شبرد) ، وكنت
اعرف ان لهذا الفندق فرندا واسعة على حافاتها اشجار المانكا والبرتقال . وشبرد
القائم امامنا الان حديث الهندسة والبناء ، وليس امامه فرندا وقد بني على انقاض
شبرد الاول الذي احرقته النيران ايام الشغب الذي حصل في اول ثورة
مايس / ١٩٥٢ .

وفي اليوم الثاني عرفني الدكتور جابر بالدكتور علي غيته ، وهو جراح مصري غير
ان مخبره لا يمثل الرجل المصري ، في العقد الخامس من عمره ، طويل القامة نوعين
متفحستين بصرامة ، وفي مساء اليوم التالي كنا في داره الفخمة بأثاثها الوثير وتحفها
على الجدران وعلى المناضد وغير ذلك ، مما يدل على غنى موروث قديم ، ونوق ذي
حشمة أفلة . وكان قد سبقنا الى دار الدكتور غيته الدكتور السباعي وهو جراح
اختصاص بالاورام الخبيثة ونهض الدكتور غيته وهو يقدمه اليينا بكلام مملح .
— الدكتور السباعي ، الاختصاص بالسرطانات والعياذ بالله منها لا من الدكتور
السباعي !

وظهر لنا في لحظات ان بين غيته والسباعي صداقة متينة ، وصارا يتراشقان
بالنكات نون حرج ، ثم دخل الصالون سفيرنا في القاهرة آنذاك ثم توالى ضيوف
آخرون : اللواء فلان ، البكباشي فلان مدير السكن والفنادق والدكتور علي شعبان طبيب
النساء ويابر الضيوف المصريون يتحدثون ، وهم اذا اسرعوا في الكلام تضييع علي
متابعته وتشعب الحديث الى ما يخص الطب واختصاصاته الدقيقة ، وعن العدالة
الاجتماعية ، والاشتراكية العربية ، وفي لحظات سكوت سألت الدكتور غيته فيما اذا
يمكن زيارة الرئيس جمال عبد الناصر ، وام كلثوم ورؤية سد اسوان ، وهي ثلاثة
امانينا ، نحن المراقبين في هذه الدعوة فاجابني بروح فكهة :

— لا حاجة لموعد مع سد اسوان فهو يستقبل زائريه نون موعد سابق ، وسترون ان
ام كلثوم هي التي ستطلب منكم موعداً لزيارتكم ، ولو ان المجاملة تلتقي لها العكس
اما زيارة الرئيس جمال فندسال لكم عنها وسأله الدكتور جابر بسذاجة ولكن بقصد .
— اريد على الاقل ان ارى (عزية) وأرى (ياشا) .

وقال الدكتور علي مداعباً :

— العزبة معناها عندنا مزرعة تتوسطها قلعة كبيرة لرجل موسر ، او متنفذ في

الدولة ، ومعناها عندكم ايه ؟ يا اخي دكتور جابر ؟ .

فاجابه الدكتور جابر :

— معناه إمراة أرملة في مقتبل العمر .

فقال له غيته :

— تريدنا كده ، والإكده ؟ .

وضحكنا .

ثم قال غيته :

— وأما عن الباشا فعندنا الدكتور اسماعيل (ابن الباشا) (وأضاف) : افلا يدل

مظهره علي باشاوية ابيه ؟ .

ورد عليه الدكتور اسماعيل :

— امك عمرها كام يا علي ؟ .

وفطن علي الى ماينطوي عليه هذا السؤال فاجابه :

— عندنا عزية واحدة فقط .

وعاد اسماعيل يساله مرة اخرى :

— حنضرب (ام علي) اليوم وإلا لا ؟ .

ورأيت هذا السؤال خالي من الالب ، ثم علمت ان ام علي التي قصدها الدكتور

اسماعيل نوع من الحلوى تقدم بعد الطعام ، ففتر استهجانى لهذه المداعبة ، فاجابه

بكتور علي :

— زى ما ضربناها في بيتكم ، .. يا ابن الباشا .

كان الدكتور علي مضيافاً بعين واسعة ، وروح مرحة وكانت حرمه سيدة وقور

مليحة الوجه بالرغم من فوات شبابها ، اما (ام علي) التي لم ارها تتحرك عن

كرسيها الملتصق بجسمها الممتلئ فاكثرت ما جلب نظري اليه الشبه العظيم الذي

بينها وبين ابنها الدكتور علي .

وسالت الدكتور علي كيف اقبال الشيخ مصطفى اسماعيل ؟ :

وسمعتني حرمه التي كانت تجلس على طرف غير بعيد عني .

— الرئيس جمال ، السد العالي ، عزية ، مصطفى اسماعيل وام كلثوم ، هذه كلها

مختارات ، ايوه مختارات عظيمة وكان صوت ام كلثوم في تلك اللحظات يتعالى في

الصالون : عيني في عينيك .

وسالت سيدة تجلس الى جانب بكباش :

— مين اللي طلب رؤية مصطفى اسماعيل ؟ .

فقال لها الدكتور علي :

— الدكتور السامرائي .

وانتظرت تعليق تلك السيدة بتخوف ، فقالت :

— عظيم ياكتور ، مصطفى اسماعيل مقرر عظيم وهو المفضل عندي بعد
المرحوم محمد رفعت والشعشاعي . (وادفت) مصطفى اسماعيل فنان مبدع في
قراءة الايات الكريمة .

ولما وضعت الحلوى على المائدة قال الدكتور اسماعيل وهو يجس صحف (ام
علي) .

— ام علي ماأطيبها ، ساخنة .

واراد الدكتور غيته ان يرد عليه :

فاسكته الدكتور اسماعيل بقوله :

— سييها على النكتة يااخي ويس .

ما ابهج لهجة المصريين وماعمق الغازهم في النكات ، وانفض الحضور في
الساعة الواحدة صباحاً ، والدكتور علي غيته يقول لكل من يغادر بيته :

— بدري يااخي .

الإ لصديقه اسماعيل فقد قال له :

— مع السلامة ياابن الباشا .



وفي ليلة كنا بشارع عماد الدين ، فاقترح الدكتور جابر محسن ان ندخل احد
الملاهي التي تكثر في هذا الشارع ، وحين صرنا قريباً من احدها ، قرأنا على ناصيته
اسم (الفربوس) . وكان يقف على مدخله رجل طويل القامة ، نوبي الملامح ، ويضع
على رأسه طربوشاً احمر فاتحاً ، ويرتدي صديرياً كحلي اللون موشحاً بقصبات من
معدن لماع ، قد يكون من الفضة ، كان هذا الشخص واقفاً فقط ، وكان واجبه ان يبقى
هكذا بلا حركة الا استقبال الداخلين الى هذا الملهى بابتسامة باهتة . وعلى جدار
الجانب الايمن المقابل لموقف ذلك الشخص عُلقت صور داخل إطارات لنساء بثياب
لاتستتر من اجسامهن إلا القليل . وولجنا مدخل هذا الملهى وبعد خطوات فيه دفعنا
باباً متحركاً وصرنا بين حشد من الناس على كراس وامامهم طاولات تملأ سطوحها
عدد من الكؤوس وقناني المشروبات . وكان المكان مضيئاً كأنه من كثرة الانوار في وضع
النهار بالرغم من كثافة الدخان المتصاعد من افواه المدخنين في كل مكان منه . واخذنا
مكاننا غير بعيدين عن المسرح ، وماكننا نستقر على كراسينا حتى رفعنا رأسينا للنظر

الى من على المسرح . كانت عليه مجموعة من الموسيقيين الضاربين على الطبله والرق
والعود ، والكمان ، وثمة فتاة في باكر شبابها واقفة تغني . كانت هذه الفتاة رشيقة
الجسم بتناسق انثوي جذاب ، ويسحنة سمراء خلو من المساحيق ، وعينين
دعجاوين ، وانف دقيق ، كانت فلاحية الهيئة والحركات والنظرات ، واستمرت هذه
الفتاة تغني على طبيعتها وكأنها ما زالت تخطو بحذر في ممرات حقل متشابك
الادغال ولم يكن صوتها جميلاً غير انه كان ينضح بالبساطة وينغمة يرنح اليها
السمع فعدتها على ذلك حديثه الإنتساب الى مهنة الرقص والغناء في هذا المكان ،
غير اني رأيتها مما يرنح اليها الرجل الطبيعي حتى لو وقفت صامته بلا حراك .
وارتفع صوت بعيد عنا وقريب من المسرح ، يقول :

— اموت بالبلدي .

فابتسمت هذه الفتاة بتكلف وحياء ، وقال مخمور آخر :

— ينصر دينك ، هزّي شوي .

وقال آخر يؤيده :

— يادين النبي لو تهز .

فتصورتها تستجيب وتهز ، فلم ار في ذلك حلاوة الا لو شمل الهز صدرها الناهد
الناقوسي التكوير والتفتت الفتاة الى ذلك الرجل وعلى وجهها إشارات الحيرة فيما يجب
ان تفعله ، وهل تستجيب لطلب زيون هذا الملهي ؟ وارضاء الزبائن في قواعد المهنة في
مثل هذا المكان يجب ان تطفى على نوازع الراقصة وحياتها كما هو وسيلة لارضاء
صاحب الملهي الذي يتاجر بمحرمات طبقة هذه الصبية .

وصاح مخمور آخر .

— انا في عرضك لو تموعت شوي .

واخيراً حركت رأسها على جيدها الدقيق يمنة ويسره وهي تضع قفا يمنها تحت
حنكها بينما مدت يدها اليسرى مستقيمة الى امام وكأنها تصوب طلقة الى طريدة ،
فصاح ذلك الرجل المخمور بنشوة .

— ايوه كنه ، واقتليني حالاً يا بت الاجاويد .

وصاح مخمور آخر .

— مرة اخرى يا امية .

وصاح آخر .

— ملكة والله موش امية .

وجن الضارب على الطبله ، وقفز عن كرسيه الى وسط حلبة المسرح . ويده

المسرى الطبلبة بينما يضرب عليها بالومى ، وندت لي هذه الحركة تمثيلية مفتعلة لتزيد من اثار الفتاة لارضاء الزبائن . فحركت الفتاة جذعها على محزمها الدقيق ، وناسقت بهركة من هز رقبتها مرتين ومرة اخرى ثم صارت تخلط بين الحركتين ، وضاعت عليها ضربات الايقاع التي يقودها ضارب الطبلبة ، وصارت تتخبط كما تنتفض السمكة في شباك الصياد . واخيراً سقطت على ارضية المسرح هامة بلا حراك ، فاسللت الستارة ، واشتد على اثر ذلك صياح من في قاعة الملهى يطلبون رفع الستارة ليزيدوا من نشوتهم في رؤية ذلك العرض الراقص ، فخرج ان الستارة لم ترتفع ، واكثر الاحتمال ان تلك الراقصة لم ترقص بعد ذلك في الاقل في هذه الليلة ، او الى آخر حياتها ، وغامرنا الملهى ولاصقة لنا إلا الخسارة في لهو رخيص .

مع عبدالكريم قاسم ١٩٦٢/٦/٥ في وزارة الدفاع ومظاهرات ضده في شوارع بغداد / حزيران ١٩٦٢

في صباح يوم ١٩٦٢/٦/٥ كنت في قسم التوليد بالمستشفى الجمهوري حين جاءني احد المضمدين الذين يعملون في العيادة الخارجية بهذا المستشفى وقال لي ان ثمة جريح واسمه (يونس عبدالمجيد) يقول انه ابن اخيك وانه يطلبك لتراه ، ونفصت يدي من العمل واسرعت الى العيادة الخارجية . كان يونس قد ضرب على راسه حتى سالت منه الدماء وغطت معالم وجهه ، فلم اعرفه إلا بعد ان تكلم معي . في ذلك اليوم كان قد تظاهر جمع غفير من الفلاحين في مسيرة الى وزارة الدفاع ، قيل انها كانت تأييداً للزعيم عبدالكريم قاسم ، وهي حركة لم ترض الشيوعيين يومذاك فتصدوا لتلك المسيرة امام وزارة الدفاع وضربوا المتظاهرين بالعصي وفرقوهم ومنعوا إظهار نصرتهم للزعيم ، وقال البعض ان الشيوعيين ضربوا الفلاحين لانهم على ما ادعاه الشيوعيون كانوا لا يريدون نظام اصلاح الزراعي . واكثر الاحتمال ان ما حدث امام وزارة الدفاع ما كان مفتعلاً اصيب فيه الفلاحون باذى وكذلك بعض المارة في الشارع وبعض السيارات فيه ، وكان من بينهم ابن اخي يونس عند مروره وهو يسوق سيارته بهذا الشارع ، فادخله الجنود الحرس الى دائرة الانضباط العسكري ، ولما شاهدوا ما اصاب رأسه احالوه الى المستشفى لمعالجته . وطلب مني ابن اخي يونس ان انهب الى وزارة الدفاع لآخذ سيارته التي تركها في رحبة الوزارة وتذكرت أمر الانضباط العقيد عبدالكريم الجدة ، وهو من اصدقائي القدماء منذ ايام الدراسة الثانوية ببغداد ، فقصلته (كما انا) بالقميص وسروال العمليات الابيض ، وعرضت عليه ماجئت من

اجله ، ونادى الجندي الذي يقف على باب دائرته ان يصحبني الى السيارة لاتعرف عليها واخذها ، وفيما انا اتهمياً لمخائرة دائرة عبدالكريم الجدة واذا بعبدالكريم قاسم يملا باب الدائرة ، ولهفت امامه بارتباك ، فتقدم مني وهو يقول بوجه باهر :
— مرحباً بكتور كمال .

واجبته :

— مرحباً .

— كيفك ؟

— شكراً وأنا بخير .

والتفت وهو ما يزال يمسك بيدي الى عبدالكريم الجدة ، وقال له بلهجة امرية عسكرية :

— تعال ممي يا عبدالكريم :

وأخلى يدي وخرج ومعه العقيد عبدالكريم الجدة وبقيت انا وحدي في الغرفة .
لقد رأيت عبدالكريم بوجه اقل قسوة وصرامة من صورته على صفحات الجرائد وفي شاشة التلفزيون ، لمح انه حين امسك بيدي شعرت كأنه قبض عليها بحزمة من عظام ، وحينئذ تذكرت حين كنا طلاباً في الثانوية المركزية ان يده المعروقة كانت على ما أتذكر تكسوها البثور النفية ، كما ان جرس صوته الأمري العاصف ذكرني بمشاجرته مع اليهودي انور محلب في مقهى خليل وراء صفوف المدرسة الثانوية ، وكان في تلك المعركة مخنولاً لمح ان الصلح فيما بينهما سرعان ما حدث ولم يصل علمه الى ادارة المدرسة . ورد الى خاطري تلك الحادثة وأنا انتظر عوبة عبدالكريم الجدة لكي يساعدني على اخذ سيارة ابن اخي يونس . وفي هذه اللحظات رأيت في زاوية من زوايا الغرفة منضدة وعليها صحن ملء بالعنب الاسود ، وطال انتظاري وأنا وحيد في الغرفة فتقدمت من صحن العنب وقطعت حبة من عناقيدها ودفعتها الى فمي وبدأت الوكها ، واذا بعبد الكريم قاسم يلج الغرفة ويتقدم مني وكأنه لم يقابلني قبل دقائق في هذه الغرفة .

— مرحباً بكتور كمال .

— مرحباً .

ورأيت عبد الكريم الجدة يشيح اليّ من وراء ظهر عبد الكريم قاسم ان انسحب من حضرة الزعيم عبد الكريم ، وحين مررت به عند باب الغرفة قال لي : انتظرنني ، فاهملت طلبه وغابرت غرفته لاستقل سيارة ابن اخي يونس ، وكانت بحالة سيئالم لها يونس اشد الالم . وجال في خاطري سؤال وأنا اسوق السيارة .

— كيف نكر الزعيم عبد الكريم اسمي ولم اره منذ نحو ثلث قرن .

عضو في مجلس رئاسة الجامعة ٣ تشرين الثاني / ١٩٦٣

رضحني مجلس عمادة كلية الطب لامتثل الكلية في مجلس رئاسة جامعة بغداد ، فتعلمت لأعترف غير ان عميد الكلية الدكتور احمد عزت القيسي الخ علي بقبول الترشح . ودخلت لأول مرة دائرة رئيس الجامعة حيث يعقد مجلسها ، عن طريق غرفة سكرتيرة الرئيس وهي سيدة انكليزية وزوجة احد اساتذة الجامعة . وكان لحظة دخلت غرفتها يحتل كرسيها قبالتها رجل في نحو العقد السادس من عمره نو لحية طويلة عريضة لاتزال تخالطها بعض الشمرات السود ، وقد عرفت بعد ذلك انه ابو رئيس الجامعة الدكتور عبد الجبار عبدالله ، ولم أكن قد رأيت قبلاً رئيس الجامعة ، فلما صرت في داخل غرفته الرحبة ركزت نظري على ملامح وجهه ، فقد بدا لي انه كان احد اصديقي في يوم ما . ونهض عن كرسيه ومدّ يده اليّ ليصافحني بترحيب . ولما اخذت مكاناً على احد الكراسي التي صفت متلاصقة بجدران الغرفة ، صرت اتلفت حولي لأرى الوجوه التي سبقطني الى هذا المجلس ، فلم اعرف احداً منهم سوى الاستاذ كمال ابراهيم الذي درست عليه اللغة العربية بمدرسة متوسطة الحلة سنة ١٩٢٩ . وفتح رئيس الجامعة باب الحديث بيني وبينه وقال :

— انت لم تتفجر كثيراً إلا في زيادة الشعر الابيض في رأسك (وأضاف) تذكر اننا كنا تلامذة في صف واحد بالثانوية المركزية ؛ على اني لم انكره إلا تخميناً فقلت له :

— انك لابد صرت انحف كثيراً مما كنت في تلك السنوات .

— هذا صحيح (وأضاف) وانت تبدو اكبر عمراً .

وتدخل احد اعضاء المجلس وهو الاستاذ رشيد العبيدي عميد كلية الشريعة

وقال :

— انا اعرف عائلة الدكتور السامرائي ففي اكثر افراشها يظهر الشيب بعمر مبكر (وقال ايضاً) ان اخاء رشيد توفيق كان صديقي وزميلي في جامعة آل البيت ، وهو يبدو الان شيخاً بالنسبة لي .

وفي اثناء هذا الحديث دخل الغرفة بالتتابع الاستاذ (بارت) عميد كلية طب الاسنان بجامعة بغداد والاستاذة خديجة عميدة كلية التحرير للبنات ، والدكتور مهدي المخزومي عميد كلية الاداب ، وافتتحت الجلسة بقراءة محضر الجلسة السابقة ، ثم نوقشت بعض الافكار الجامعية التي طرحها رئيس الجامعة ، والكتب التي وريت الى الجامعة من مختلف كلياتها .

واعضاء هذا المجلس يحسنون صياغة التعابير والاهتمام بالشكليات اكثر من جوهر المواضيع . واستمرت الجلسة ثلاث ساعات كانت تدار من خلالها صواني استكانات الشاي والليمون الحامض والقهوة الزكية ، وهذا تقليد لم آلفه في مجلس كلية الطب ، كما تخلل المباحث بعض الفكك وخصوصاً اذا اندلقت قريحة الدكتور الخياط عميد كلية البيطرة ، وهكذا تكونت مبكراً عندي فكرة ان اعضاء المجلس يهتمون بابرار شخصياتهم كمتكلمين اكثر مما يهتمهم طرح افكار جديدة في دراسة المواضيع التي ترجع الى رئاسة الجامعة ، فاذا عرضت فكرة مقبولة ، لا يتورع اكثر من عضو عن ان يؤيدها بكلام يطول اكثر مما اطال فيها صاحب المبادرة الى تلك الفكرة وقد يتلوه عضو آخر وآخر وهم يضحون بنغم على الوتر نفسه ويوماً قال لي الدكتور سلمان فائق وكان يمثل كلية الطب بوصفه عميد هذه الكلية .

— اعجب كثيراً مما اسممه بتكرار من اعضاء المجلس (واصل) وانا والاستاذ (باريت) الذي لا يعرف حرفاً من اللغة العربية على حد سواء في فهم بعض ما يعرض بهذا المجلس .

وفي تلك الايام عين الاستاذ احمد عزت القيسي مساعداً لرئيس الجامعة ، فشغرت وظيفة العمادة بكلية الطب .

وكانت جلسة في الجامعة طلب مني رئيس الجامعة ان يراني على انفراد بعد الانتهاء من الجلسة ، وبدأ يقدم ما يريد ان يعرضه عليّ ، قال :

— لا بد من تعيين عميد لكلية الطب في خلال ايام معدودة خلفاً للدكتور احمد عزت القيسي ، وتطبيقاً لقانون جامعة بغداد عليّ ان ارفع الى وزارة المعارف اسماء ثلاثة اساتذة بكلية الطب ليختار الوزير واحداً منهم (واستطرد يقول) وقد استطلعت آراء بعض زملائك في هوية العميد المقبل ، واريد ان اعرف رأيك بهذا الموضوع . فقلت له :

— ان العميد الذي يفيد الكلية هو من يتوفر فيه العمر والعلم والقلم في الكادر التعليمي ، وربما قبل هذه المؤهلات ان يكون راغباً في العمل الاداري وله مكنة فيه . وعلى هذا فانا اشرح الدكتور مهدي فوزي والدكتور سلمان فائق .

فقال لي بتوجس وهو يقرأ عيني :

— قيل لي ان الدكتور مهدي فوزي لم يحصل على مرتبة الاستاذية بحسب شروطها وانما اعطيت له اعتباراً ، كما قيل لي ان الدكتور سلمان فائق لا يتقيد بساعات الدوام الرسمي ، (ثم سألني) علمت من اضبارتك انك اقدم استاذ من خريجي كلية

الطب ، اليس كذلك ؟ .

فصرفت ماهدف اليه من هذه الاشارة ، فقلت له :

— انا لافيد الكلية كمعيد ، لانني لاارغب في العمل الاداري .

وبعد يوم واحد رفع رئيس الجامعة اربعة اسماء الى وزير المعارف ، ووصل كتاب الوزير الى الكلية بتمعين الدكتور سلمان فائق . وهو آخر عميد بكلية الطب حتى سنة ١٩٦٢ .

وفي جلسة اخرى تالية قرأ رئيس الجامعة كتاباً من كلية الشريعة للنظر في زيادة المخصصات لاعاشة الطلبة في تلك الكلية فاعترض احد اعضاء المجلس قائلاً :
— ان هذا المجلس يعالج نظم التعليم وما له علاقة بالحياة الجامعية لا الامور المعاشية ويعارضه عضو ويقول :

— بل الاعاشة هي العمود الفقري في القضايا الجامعية ، فاذا جاعت البطون خوت الرؤوس وتوقف التفكير .

ويقول الرئيس باسماً :

— اصبح الموضوع طبياً ، بطون ورؤوس .

ويلتفت بعض الاعضاء نحوي . فاقول :

— ليس عندي تعليق ! .

ويضبط الرئيس في هذه اللحظة على زر الجرس ، ويفتح باب غرفة المجلس ويدخل الفراش ، ويقول الرئيس بأمر فون ان يلتفت الى الفراش .
— شاي .

ويجيء الفراش بصينية عليها استكانات الشاي وشاي النومى الحامض ، ونلهو باحتساء هذا المشروب بضع دقائق ، وبمدها يعود الاعضاء الى الكلام عن ارباق كلية الشريعة ، فيقول احدهم :
— ارجو ان يشترك هذا المجلس بالمسؤولية في جميع الامور الجامعية ، العلمية والمالية .

ويقترح الرئيس تأجيل المناقشة بهذا الموضوع ، ويلتفت الى المقرر يساله شيء آخر في جدول اعمال هذا اليوم ؟
يجيبه امين الجامعة .

— موضوع القمم في الرتب الجامعية ؟ لم يدرس بتفصيل فارجو ان تدرس مجدداً ويتفصيل ويقول عضو :
— هذا موضوع درس ويت فيه ولا ضرورة لاعادة لراسته مرة اخرى .

ويقول امين الجامعة معترضاً :

— وصلتنا عدة اعتراضات من اعضاء الهيئات التدريسية ولا ارى من الصواب اهمالها .

وينقسم المجلس فريقين ، واحد يطلب إعادة النظر فيه وآخر يمارض بقسدة ، ويطول الجدل فكان نهاية هذه الجلسة حين قال الرئيس :
— تؤجل إعادة دراسة هذا الموضوع الى جلسة قادمة .

وينفض المجلس . وغابرتة كما اغابره في كل مرة بحقيقة وهي ان للمتكلمين في العلوم الانسانية اسلوباً في المحاجة يتصف بالاطالة بالشكليات والمقدمات التي قد تخرج عن صلب الموضوع اكثر مما يعتاده التدريسيون في عرض افكارهم في المواضيع التطبيقية .

مقتل عبد الكريم قاسم ١٩٦٣/٢/٩

بالرغم من ان آخر ايام عبد الكريم قاسم كانت توهي ببداية النهاية من حكمه ، فان الثورة البعثية قد حدثت فجأة وبدون مقدمات انذارية ، ففي يوم ٨ — ٩ شباط من سنة ١٩٦٣ حوصرت وزارة الدفاع بالدبابات ، وهاجمتها طائرتان من القوة الجوية ، كما هاجمت بعض الطائرات مطار الرشيد والمنثى ، ودامت هذه الحال طيلة النهار ، والراديو يذيع بتكرار عن بك (قلعة الدفاع) ، واحالة بعض كبار الضباط والاداريين على التقاعد ، وتعيين آخرين كان بعض منهم في غياهب سجون عبد الكريم قاسم فانرج عنهم واعيدوا الى سابق رتبهم ومراكزهم العسكرية ، كما انيطت ببعضهم مناصب وزارية او بوائبر مهمة كبيرة ، وقد عرفنا كثيراً منهم مما دلنا على ان الانقلاب قومي لا شيوعي . تسائل الكثيرون عن عبد الكريم قاسم : هل هرب ؟ هل قتل ؟ ام دفن حياً تحت انقاض ابنية وزارة الدفاع التي دكته طائرات الثوار . وكنا نريد ان تعضي عقارب الساعة بسرعة ، متطلعين الى معرفة نهاية هذه الحركة لا التي تتقدمها من اسرار الاحداث المثيرة تقول الاذاعة ان (قلعة الدفاع قد هوجمت وهدت على رؤوس اصحابها) ونحن نعرف ان في هذه القلعة فوج كامل فهل ابعد هذا الفوج ؟ او انها استسلمت ؟ . واذاع الراديو بياناً يدعو الاطباء الى الالتحاق بمستشفياتهم حالاً ، إنن هناك جرحى بين قوات الجيش المدافع والمهاجم ، او ان النداء كان تحوطاً لما قد يحدث ، واتصلت تلفونياً بالدكتور نجيب اليعقوبي الذي كان يجاورني في منطقة المسبح التي اسكن فيها ، ولما اخبرتني زوجته انه استجاب لنداء الراديو وذهب الى

المستشفى ، فكرت فيما اذا يتوجب علي ان اذهب الى المستشفى كما فعل زميلي نجيب ففكرت ان اذهب ، ومسؤولية وعيب اذا لم استجب لمثل هذه الدعوة التي تبثها (الحكومة الجديدة) ، وارتديت ملابس على عجل ، وسقت سيارتي الاولدموبيل على مهل ، وانزلت زجاج نوافذها حتى لا يفتتلي سماع من يطلب مني الوقوف . وكان في طريقي بيت المهداوي رئيس محكمة الشعب ، وامام مدخله حافلة عسكرية ، تصالت وانا اسوق سيارتي بحذر مما قد يعترضني في الطريق ؛ هل ان المهداوي لا يزال في بيته ؟ وان هذه الحافلة حرس له ، ام انها حرس عليه ، كنت اسوق سيارتي وانا افكر في اي من الاحتمالين لوجود هذه الحافلة ؛ ولم اهتم لمعرفة او عدم معرفة اكثر الاحتمالين توقعاً . وكان الشارع العام مظلماً ، ومثله الشوارع الفرعية التي تصب فيه ، واسمع بعض الطلقات النارية بين حين وحين في اماكن مختلفة ، وبعضها قريب مني ، فاخافني الموقف وهممت ان اقف في مكاني ، واستبعدت فكرة العودة الى بيتي حين لعل الطلق من ورائي ؛ وحلت المصادفة عقدة تردي حين اوقفني شاب بلبس الخاكي ، ومد عنقه نحوي وانا في السيارة ليتبين شخصي ، فعاجلته ،

بقولي : انا كمال السامرائي ؟ فسألني مستفهماً : دكتور كمال السامرائي ثم قال انا (علي) بن حسين جميل ، ولكن ماذا دفعك ان تخرج في هذه الساعة ، فقلت له .

— هو لداء وزارة الصحة ليلتحق الاطباء بمكانات وظائفهم .

— إذن يا عمي كن حذراً ، وسق ببطء شديد ، واستجب لأي طلب ممن هم في الشارع من الحرس القومي ، وسوف تعرفهم من الرباط الاخضر العريض الذي يشدون به ازرعهم ، وكلمة السر (عروية) ، لاتنس هذا الاسم . والحرس القومي في هذه المنطقة وحتى باب المعظم يعرفها ويحمل بها ، (عروية) لاتنسها ، وان الخطورة الكبيرة بين باب المعظم والمستشفى الجمهوري واخذت طريقي على مهل نحو باب المعظم ، وعند مدخل باب الشيخ و (تبة الكرد) تكثف اطلاق النار ، فاخترقته بسلام ولكن بخوف شديد . واوقفني جندي شاهر السلاح عند ساحة باب المعظم ، فذكرت له كلمة السر (عروية) ، فقال لي (هي) الآن وعلى طول شارع الرشيد (جهاد) وشارع المستشفى وارنأ يسألني عن وجهتي ، فلما اخبرته عن ضرورة وصولي الى المستشفى الجمهوري فقال لي ، انت (تنفور) موت ، تفضل موت . وكانت في طريقي نبابة ووراء مرقبها جندي متحفز للرمي واستأنفت سري نحو شارع المستشفى الجمهوري ، وكان مظلماً وفي هدوء مخيف الا من بعض طلقات نارية متتابعة بدت لي وكأنها اصوات مدافع اسمعها بين حين وحين . وكنت اسوق سيارتي ببطء شديد وانا في حمية بين ان افتح كامل اضوائها الامامية او اطفئها كلياً ، فاخترت الحالة الاخيرة ،

ووصلت الى مدخل المستشفى ، واذا هو بكل اطرافه في ظلام دامس ، واوقفت سيارتي قريباً من مدخل قسم النسائيات فيه ، وحين ولجت هذا القسم وكان مظلماً ايضاً الا من يصيص ينبعث من فتيل مغموس بالكحول مما نستعمله في مختبر هذا القسم . وتقدمت بحذر لادخل غرفتي المجاورة تماماً لمدخل القسم ، وبالرغم من الظلمة التي تعنها استطعت ان اعرف ان عدداً من الاشخاص كانوا يحتلون كراسيها ، وعدداً آخر ، يقعدون على ارض الغرفة او واقفين بين الكراسي . وياورتهم في الظلمة اقول :

— السلام عليكم .

وسمعت واحداً يرد لي التحية قائلاً :

— وعليكم السلام .

— أنا الدكتور كمال السامرائي .

وقال من رد الي التحية :

— نحن من ضباط حرس وزارة الدفاع .

وسألني :

— من اين جئت الى المستشفى ياكتور ؟

فاجبته :

— من منطقة المسبح .

— وماذا كان في طريقك الى المستشفى ؟

— ظلام دامس ، وطلقات نارية وخصوصاً في منطقة تبة الكرد .

ثم سألني :

— اهذا التلغون مباشر ام متصل ببداية المستشفى ؟

فاجبته :

اذا تريد تتصل بخارج المستشفى فادر رقم صفر ثم ادر الرقم الذي تريده .

وادار هذه الارقام وسمعته يسأل :

— دائرة الانضباط ؟ انا المقدم علوان .

—

— نحن عشرة ضباط من حرس وزارة الدفاع فابعثوا ضابط في شاحنة ليحملنا

اليكم ،

—

وسألني هذا الضابط المقدم :

— اين نحن الان من فضلك ؟

فاجبته :

— في قسم النصابات والولاية .

فردد لك ليسمعه من على الطرف الثاني من التلفون .

وعاد يتكلم في التلفون : ونحن في شعبة الولاية ، افهمت زين ؟ .

وبعد اقل من نصف ساعة وصلت سيارة عسكرية ضخمة غطاؤها من القماش السميك وانحدر عنها شخص لم اتبين رتبته في الظلام ووقف في مدخل غرفتي ، وبعد لحظات قال لمن كان فيها من حرس الدفاع .
— تفضلوا الى السيارة .

وخرجوا من غرفتي متخافلين نحو السيارة الضخمة التي عرفت من خلال لغطهم انها من دائرة الانضباط العسكري .

وكان تلك في ليلة يوم ١٩٦٣/٢/٩ . وفي هذه الليلة كان عبد الكريم قاسم قد ترك مخبأه في وزارة الدفاع الى قاعة فيصل الثاني من بابها الخلفي الذي ينفذ الى حديقة هذه القاعة ، وكانت تلك الليلة آخر ايامه في الحياة على ما علمت بعد ذلك .

موقف مع ممرضة /يوم ١٩٦٣/٣/٦

يتملكني الضجر احياناً من اعمالي المتلاحقة ، وحين فطنت الى نفسي بهذا الحال وجنتها كالها مشدونة الى عربة لزوماً علي ان اسحبها بما فيها من اتقال وهي تسير على ارض غير مستوية فتحطمت اجزاء من دواليبها ، وصعب دورانها . واني لاسمع من كثير من زملائي انهم مثلي مشغولون الى عجالات لا يستطيعون منها فكاكاً ولا بد ان يسحبوها ليلاً او نهاراً ، فلا راحة عندهم ولا استجمام ، وآخرون من فئة اخرى لا هم لهم الا جمع الطوايع مثلاً ، او السهر في الملاهي ، او اقتناء الاربطة ذات القيمة العالمية ، فلا يهتمون الا لمناسبة تخص هواياتهم المترفة ، ويفارقون الدنيا فلا يبقى لهم اثر محمود يفيد الناس ، وهؤلاء ايضاً يشكون وينتقدون ما لا يرضي انفسهم ، ومما لا يتوفر لهم الحصول عليه . كل يشكو من حياته ولكن على نسب وانواع بحق او بدون حق .. وفي حالات ضجري او تعبي من كثرة العمل ، او الاحداث المؤلمة فيه ، في هذه الحالات افقد احياناً السيطرة على تصرفاتي الشكلية او الموضوعية المهمة فيأسرني موقف لا يتفق مع السلوك المهني لإرضاء نفسية المريض او عقلية ، وحدث مثل ذلك صباح يوم ١٩٦٣/٣/٦ حين رن جرس تلفون بيتي في ساعة مبكرة فتناولته وانا بين النائم واليقظ ، واذا بصوت يقول :

— انا مستر (ن) .

وعرفتھا حالاً ، فقد كانت من بين الممرضات والقوابل اللاتي عملن معي سنوات طويلاً في ربة الولاية بالمستشفى الملكي ، وكانت تعارس التطريح الجنائي في دارها بعد ساعات النوام الحكومي ففصلت من الخدمة ، غير انها إستمرت تعارس عملها الاجرامي بجرأة وتحد ، وكنت ممن ينظر في الشكاوي عليها التي تحيلها الوزارة علي ، واثبات وقوع التطريح الجنائي ليس بالامر السهل ، فاكثرت ضحايا العملية يمتنعن من ذكر اسم الممرضة التي قامت بعملية الاسقاط ، واذا ذكرت المريضة اسم تلك الممرضة فمن السهل ان تدعي هذه الممرضة ان مريضتها قد استشارتها وهي في حالة نزف رحمي فنصحتها بمراجعة احد الاطباء الاختصاصيين ولم ترها بعد ذلك ، كما ان كثيرأمن مثل هذه الحالات هي من نوع الحمل غير الشرعي ، ومن البديهي في هذه الحالة ان لا تشكو المريضة امرها الى السلطات الطبية ، وتفضل الموت على إفشاء سرها ، وعلى هذا الاساس تعانت الممرضة (ن) في عمليات التطريح ، وصرت انظر اليها كقول يفتك بصحة النساء وسمعت الممرضة (ن) على التلفون تقول :

— اختي يادكتور كمال بحالة نزف رحمي شديد .

وفجأة خطر ببالي انها في ورطة تطريح ، وتريدني انقاذ موقفها ، فارت ان اتأكد من ذلك فسألتها :

— كم عمرها ؟ .

— فوق الخمسين ، وانت تعرفها .

فقلت لها بتهكم :

— متى رأيتها ، البارحة ؟ .

— لا قبل عام .

— منذ متى هي في حالة نزف ؟ .

— منذ اسبوع ، ارجوك دكتور استمع .

— اين هي الان ؟ .

— في مستشفى السامرائي .

وتذكرت المريضة حين دخلت الغرفة عليها ، كانت هي نفسها التي رأيتها قبل سنة او اكثر ، بدينة بافراط ، نبضها معتدل الضربات ، وضغطها بحدود ١٥٠ / ١٠٠ ملمم زئبق .

فقلت مخاطب / اختها (ن) : اريد ان اري الفوطه فاجابتني :

— ابتلتها قبل ساعة .

— ارهد ان اراها . وارى الفوط القديمة وجائتني بها فاذا الدم عليها لا يكاد يغطي من سطح الفوط إلا قليلاً . فقلت للمرضة (ن) .

— الحاحك لاجيء الى المستشفى بسرعة وفي هذا الوقت المبكر من صباح هذا اليوم جعلني اعتقد ان حالة المريضة في خطر ، فاجابتنى كمن يستطيع ان يحاجتنى بموضوعها :

— يكتور الدم يجي ويروح .

والمرضة (ن) عانس وقد فاتها قطار الزواج ، فصارت قلقة ومتهورة وعنيدة . فقلت لها :

— انت يا (ن) قلقة على اختك دون ميرد .

فقاطعتني تسال :

— والان ، ماذا ستعمل لها ؟ .

فاجبتها ببرود متعمد :

— لن اعمل لها شيئاً .

— افحصها .

— ولا افحصها في الوقت الحاضر .

فاستقرت ، وسالتني :

— ائن لماذا جئنا بها الى المستشفى ؟ .

فقلت لها :

— تستطيعون ان تاخذوها الان او تتركوها حين ذلك اكون انا المسؤول عنها

(واضفت) وقد علا صوتي .

— اسمعيني يا (ن) اتركي المريضة لذى ما نعمله لها والا لن اراها قط ، فهي

الان في المستشفى وأنا المسؤول عنها طالما هي في المستشفى وسكنت وغابت

المستشفى وهي حائقة وغابت اختها المستشفى وهي راضية .

عملية بولدون الوحيدة في مستشفى السامرائي يوم / ١٩٦٤/٦/٥

هذه هي الحالة الثامنة لإصطناع المهبل في مريضة تشكو من عدم وجوده خلقياً في جسمها . وكانت المريضات السبعة الاولى من الطبقة الفقيرة اللاتي يلجأن الى المستشفى الملكي المجاني ، اما هذه المريضة فمعلمة في مدرسة خائفتين الابتدائية .

— اسمك من فضلك ؟ .

—

— عمرك ؟ .

— عشرون سنة .

— مم تشكين يا إبنتي ؟ .

فاجابتني بحياء .

— تزوجت منذ ستة أشهر ، ولم يتم الزواج بيني وبين زوجي الى الآن .

— عجز في زوجك ؟ .

— لا ، فان السبب في .

— كيف عرفت السبب فيك ؟ .

— ستري بعد الفحص .

وعرفت حالاً من جوابها ان الشكوى تخص اعضاءها الانثوية ، فلا يستطيع زوجها الدخول فيها .

وفحصت هذه المريضة . كانت كاملة الانوثة في جسمها وجمالها إلا في عدم وجود مهبل فيها ، ففسرت الحالة للمريضة فقالت لي :

— اعرف ذلك ، وقد استشرت طبيبة في خانقين فنصحتني ان استشيرك في معالجتني .

فقلت لها :

— سيكون العلاج بعملية .

— عرفت ذلك من الطبيبة التي فحصتني في خانقين .

— وهل اخبرتك ان العملية لا تحقق الانجاب ، بل انها تجعلك صالحة للمعاشرة الزوجية فقط ، ولا بد ان يعرف زوجك ذلك .

فقالت :

— ان زوجي هو ابن عمي ، وهو لا يريد اكثر من نوام علاقتي معه (وازافت) وانا اريد العملية في هذا المستشفى لا في مستشفى الحكومة . ولانني احتاج في هذه العملية الى من يساعدني فيها وله المام بخطواتها ، كما انني لم اكن قد قمت بمثلها في مستشفى خصوصي ، فلذلك كله حاولت إقناعها باجراء العملية في المستشفى الجمهوري ، غير انها اصررت إلا ان تدخل مستشفى السامرائي ، فلم استطع رفض طلبها ، ولم يبق لاجراء العملية إلا ان اكلم زوجها عن طبيعة مرضها وما يجب ان عمله لمعالجتها . وكان باستطاعتي ان انفذ العملية دون إخباره ، غير ان إخباره من

الادب الطبي والاجتماعي . وحضر الزوج امامي ، وكان شاباً في مثل عمر زوجته ، وقد بدا لي من فرط اضطرابه كأنه هو الذي نستجري له العملية ، فسألني :
— هل العملية خطيرة ؟

فاجبته : ' .

— استطيع ان انفي احتمال الخطورة بها في الحالات الاعتيادية .
ثم سألني :

— هل سبق ان اجريت عملية مثلاً ؟
فاجبته :

— ستكون هذه العملية هي الثامنة في تجربتي بها .

ولم يطلق على جوابي ولا سألني سؤالاً آخر ، بل استدار وانصحب من امامي .
واجريت العملية بعد الفحوص المختبرية اللازمة . وكانت اصعب من اية عملية سبق ان اجريتها . وكانت الصعوبة من جانب الطبيب المقيم الذي ساعدني فيها وتوقعت ان لا ترضيني نتيجتها وعواقبها ، وغائرت المريضة المستشفى بعد خمسة ايام بحالة تبدو جيدة .

وطلبت منها ان تزورني بعد ستة اسابيع ، وانتظرت زيارتها ولكني لم ارها بعد ذلك .

وزير الصحة يشكو من اعمال قسم النسائيات في المستشفى الجمهوري

فوجئت بكتاب من وزارة الصحة محوّل اليّ بواسطة مدير المستشفى الجمهوري ، وفيما يأتي نص الكتاب
وزارة الصحة

المعد ١٢٦٨ / التاريخ ١٩٦٣/٣/٢٤

مدير المستشفى الجمهوري

معلوماتنا تفيد ان في شعبة الامراض النسائية والتوليد تماهل وتقصير في واجبات اعضاء الشعبة تجاه المواطنين ، فلا بد من الفات نظر المسؤول عن ذلك .
التوقيع / وزير الصحة

وقد رأيت في هذا الكتاب الجفاف والاعدام الاصول الحكومي ، كما ان فيه حكماً لا يستند على حقائق ، فرفعت الكتاب الاتي بواسطة مدير المستشفى الجمهوري الى

السيد وزير الصحة

بواسطة السيد مدير المستشفى الجمهوري

اشارة الى كتاب وزارة الصحة رقم ٥١ ذاتية وتاريخ ١٩٦٣/٤/٢٤
اننا نعتز ان في قسم الامراض النسائية والتوليد نقوصاً واضطراباً في السنوات
الاخيرة ، وذلك بسبب نقل اربعة طبيبات مرة واحدة من هذا القسم الى مستشفيات
اخرى بون تمويض ، وكانت من تلك الطبيبات الطبية القدي التي تركز عليها اكثر
الاعمال المهمة والمستعجلة ، ويدهي ان نقل هذ العدد من الطبيبات بون تمويض يؤثر
على العمل واتقانه في هذا القسم ، وكنت اعتقد ان هذا التأثير السلبي سيكون متوقفاً
من لدنكم مقدماً . ان المقيمة القدي ضرورية لاعمال التوليد في الليل ، اذ لا يصح
استدعاء الطبيب الاختصاصي الاقدم ليلاً لمعالجة بعض الحالات المرضية التي تحتاج
الى معالجة فورية ساعة دخولها المستشفى . ووجود المقيم الاقدم في هذا القسم
تنظيم قديم درجنا عليه منذ سنة ١٩٤٥ وحبذا لو اطلعتكم رئيس القسم على اوامركم
الادارية قبل اصدارها بالصيغة التي وصلتني .

اما تنظيم العمل في العيادة الخارجية ليشمل كافة اعضاء الشعبة فهو في
التطبيق ، واذا وصلتكم شكوى منه فإنها لم تصلني .

وأخيراً أرجو من سيادة الوزير ان تطلعوا الى ماياتي

(١) ان هذه الشعبة ليست للمستشفى الجمهوري وحده بل لمعوم مستشفيات
بغداد ، ولبعض المستشفيات من خارج بغداد ايضاً .

(٢) اكثر من ثلثي اعمال التوليد تحدث في الليل ، فلا بد من توفير الكادر الليلي .

(٣) الحالات النسائية الروتينية اكثر من اي حالات اخرى في اية شعبة من شعب
المستشفى .

(٤) لابد من مولدين (اثنين) قدامى لتنظيم العمل في هذا القسم

(٥) من الضروري تعيين طبيبة دائمية في العيادة الخارجية تساعد طبيبتان من
منتسبي هذا القسم بحسب جدول يضعه القسم . ويتاريخ ١٩٦٣/٣/٣١ رفع مدير
المستشفى كتابي الى وزارة الصحة وفيما ياتي نص ذلك الكتاب رقم ١٢٤٤٣

مديرية مستشفى الجمهوري
(الادارة والذاتية)

العدد ١٢٤٤٣

تاريخ / ٩ / ١٠ / ١٩٦٣

الى وزارة الصحة

م / تقرير عن دائرة الامراض النسائية والتوليد .

نرفق طياً التقرير الذي وضعه الاستاذ كمال السامرائي حول دائرة الامراض النسائية والتوليد مع مقترحاته لرفع مستوى هذه الدائرة راجين الاطلاع عليه . مع العلم ان هذه المديرية تود ان تعلق على المقترحات التي وردت في نهاية التقرير بالملاحظات التالية :

(١) نؤيد ضرورة وجود ممرضة ذات خبرة بالادارة لتكون مسؤولة عن القسم . وسبق لهذه المديرية ان طلبت من الاستاذ رئيس القسم مفاتيحة ممرضة بريطانية مقيمة في العراق ، وهي لاتعمل في اية مؤسسة حكومية او غير حكومية ، من اجل السعي لتعيينها في هذه الوظيفة ، وفي حالة عدم نجاح هذا المسمى فالدائرة تقترح ان تكون الممرضة الفنية نجمة داود والتي تعمل الآن كمساعدة لرئيسة الممرضات مسؤولة عن هذا القسم .

(٢) و (٣) لايمكن تحقيق هذين المقترحين إلا بزيادة عدد القوابل الموجودة في المستشفى ، ويمكن حل هذه المشكلة بابقاء عدد من طالبات ثورة القبالة الموجودات حالياً وخاصة انهن قد اكملن فترة التدريب .

(٤) عينت في جناح الامراض النسائية ممرضة فنية هي من خيرة ممرضات المستشفى ، ويمكن للقسم تدريبها على هذا النوع من الاعمال ، وسوف لن تقوم الادارة بنقلها من هذا القسم .

(٥) ان احداث دائرة رعاية الامومة والطفولة في هذا المستشفى من الاهمية بمكان ، إلا ان مايجول دون ذلك هو عدم وجود المرافق اللازمة من غرف وغيرها لمثل هذه العناية ، وكماحولة لمعالجة هذا المقترح اقترح احد اعضاء القسم ان تكون العناية الخارجية التدريسية كمركز رعاية للحوامل — يومين في الاسبوع ، وقد تكون مسؤولة عنها الدكتورة هائلة الخوجة باعتبارها اختصاصية في هذا الموضوع وسبق لها ان اشتغلت به لمدة طويلة

الدكتور فؤاد غالي

مدير المستشفى الجمهوري

وواضح جداً ان ليس في كتاب مديرية المستشفى الجمهوري ردّ على مضمون

كتاب الوزارة .

الولد يعرف كيف يحمل نعش ابيه / ١٩٦٤

في بيت صديقي الزميل جابر محسن ، ونحن نواسيه بهزل وجد على ولادة ابنته الثالثة . فقلنا له لن يكون في وقت قريب فرق كبير بين الولد والبنت بالنسبة للابوين ، وقلنا ليس هناك فرق حتى في الوقت الحاضر ، وقلنا قد تكون البنت اقل مشاكل من اخيها الولد في هذه الايام ، وقلنا غير ذلك في هذه المعاني وفي غيرها . وكان من بين الحاضرين في هذا الاجتماع ضيف كبير العمر عرفت من لهجة كلامه وثيابه انه من مدينة (عانة) التي ينتمي اليها صديقي الدكتور جابر .

قال هذا الرجل موجهاً كلامه نحوي

— لا يا اخي ، انت واهم . الفرق بين الولد واخته كبير وسيبقى كبيراً الى يوم الدين في

بلاد العرب والمسلمين على الاقل ، فقلت له :

— تعني الولد يحافظ على التسلسل العائلي واسم العائلة .

فقال لي :

— هذا فرق ، فالبنت اذا تزوجت لم تعد بعد ذلك من عائلة ابيها بل فرد من اسرة

زوجها ، واولادها من ابناء زوجها لا من ابناء ابيها . والفرق الآخر ان (الولد) هو

الوحيد الذي يعرف كيف يحمل نعش ابيه !

وسرحت افكر في معنى كلمة هذا الرجل ، وكل كلام يفسر بطروفيه الزمائية

والمكانية ، فاذا فيه كثير من الحقيقة الى الوقت الحاضر . والميل الى انجاب الذكور حس

بنفرد به الانسان حضرياً كان ام صحراوياً . مثقفاً او امياً ، وقد ذكرت فيما تقدم فرج

الابوين من الابريين الذين يدخلون مستشفى السامرائي حين يرزقون بولد وبمعكس

نلك اذا رزقوا ببنت فيتسللون هارين من المستشفى دون ان يودعوا احداً ممن

خمنهم .

في مطار المثني / آذار ١٩٦٤

في صباح يوم ١٩٦٤/٢/٤ بينما كنت أخذ نوري للحصول على تأشيرة الخروج
في مطار المثني للسفر الى بيروت ، تقدم مني شاب يرتدي سترة بنية اللون وسروالاً بلون
الرماد ، وسألني :

— دكتور كمال السامرائي ؟ .

فاجبته :

— نعم انا كمال السامرائي

فقال لي وفي فمه تكتحية تعني التصرف بسلطة .

— تعال معي .

وتبعته الى غرفة صغيرة تطل منافذها على ساحة المطار ، وبأدني بسؤال
انهلني .

— دكتور الموضوع بيبك ، فاجعله مختصراً ولا تراوغ .

— اي موضوع يا اخي ؟ .

— انت تعرفه ، فلوس ؟ رسائل مكتوبة ، شفوية ؟ ، لان عندي معلومات انت تحمل
رسائل وقلوب الى الارين .

وفي هذه اللحظات سمعت من يناديني بالمذيع لاتقدم فقلت لهذا الشاب :

— انهم ينادونني الى الطائرة .

فاجابني نون اكثرات .

— هذا موضوع يخصنا ، ولا بد ان اتحرى حقيقته ، واريد ان اعرف ما عندك من
الرسائل الى بيروت او الارين .

— حسن واذا لم تجد عندي ماتفتش عنه .

— تسافر بكرة ؟ .

وحملني في وجهي بمصيبة وطلب مني ان انهض قائماً ، ودار في تفكيري انه لو
صفعتني على وجهي فماذا يجب ان اعمله ، لن اضربه طبعاً ، هل اخنع ام احتج على
هذه المعاملة ؟ .

لم يضربني ، ولكنني رأيتُه غولاً يتحفز لاهانتني ، وامرني ان افرغ مالي جيوبي ،
فاخذها من يدي ونشرها على المنضدة الحديدية التي بيني وبينه وفرش اصابع كفيه
عليها ، وسألني :

— بعد .

— بعد ماذا ؟ .

- اخلع حذاءك وجوزيك ؟ .
- وفعلت لك طالعاً .
- وسألني :
- عندك رسالة شفوية الى الاربن ؟ .
- انا مسافر الى بيروت لا الى الاربن .
- انا اعرف انك مسافر الى بيروت ، ولا يصعب عليك السفر منها الى عمان ،
- لاتطوّلها وتعرضها ، عندك رسائل شفوية الى بيروت او الى عمان ؟ .
- فاضحكني سؤاله ، وشر البلية ما يضحك .
- فقال لي بغضب :
- تضحك !
- اضحك على موقفني ، هل اقول لك عن رسالة تسبب لي جرمًا ؟ .
- فقال بالانتصار :
- ان عندك رسالة ؟
- واريت ان اقول له :
- يا اخي انت امرك غريب .
- ولكنني لم اقل له ذلك .
- وسكت برهة ثم قال لي :
- لا بد ان افتشك .
- ولما انتهى من هذه المهمة سألني بوقاحة ؟ .
- كم عندك في بنوك الخارج ؟ ، بنوك بغداد ؟ .
- فاجبته هازلاً :
- عندي الكثير والحمد لله .
- واخذ ذلك ماخذ الجد وسألني :
- في اي بنك ؟ .
- فاجبته هازلاً ايضاً :
- في بنوك كثيرة (واضفت) ، ولكن يا اخي ماشأناك وما املك ؟ .
- فلم يجبني مكتفياً بضحكة مفتعلة قصد بها الالتجاء الى اداء وظيفته ، وكظمت
- غيظي وامسكت عن الرد على اسئلته وقلت له خذني الى مسؤول اعلى :
- طبعاً أخذك !

ونقلني بسيارته (الفيات) الى (الامن العامة) بمنطقة السمعون واوقفني في
بهو هذه الدائرة حيث يزعم كثير من الناس بصختلف الاعمار والطبقات والفئات . ومن
بعيد رأيت على باب غرفة يدخل الى هذا البهو شخصاً يطيل النظر اليّ ، ولم اتذكر انني
رأيت قبلاً ، وتقدم مني وقال لي :

— تفضل الدكتور استريح عندي في الغرفة .

غير ان شرطياً كان قريباً مني قال له :

— لايجوز ذلك بأمر المعاون (مثني) .

فلكت لذلك الشخص :

— انا اشكرك ، وسابقى واقفاً في مكاني .

وفي هذه اللحظات طلع علينا المعاون (مثني) وهو الذي حملني بسيارته من
المطار الى هذه الدائرة ، ولانني باسمي ان اتبعه ، فادخلني الى غرفة جانبية كان
وراء منضدة وسيدة تملا حيزاً كبيراً من الغرفة ، شاب انيق في نحو الثلاثين من عمره
خاطبه مثني يقول :

— سيدي هذا هو الدكتور كمال السامرائي الذي كلمتك عنه تلفونياً من مطار
المثني .

وعرفت بعد ذلك من مراجع دخل عرقته ان اسم هذا الرجل (صباح) فقال لي
صباح :

— تفضل استريح .

وفي هذه اللحظة دخل عليّ احد اساتذة كلية العلوم وتقدم من السيد صباح وأسر
في اننه شيئاً ، ثم أسر صباح في انن ذلك الاستاذ شيئاً ، وابتسم صباح وهو يقول لي :

— أسفين وتستطيع السفر بكرة صباحاً .

وغازرت مكتب السيد صباح وانا بحال نفسية يريث لها .

وعرفت بعد ذلك باشهر ان معاون الشرطة مثني وجد بين اوراق محفظتي وصفاً
بتلاثة آلاف ليرة لبنانية وهذه كانت سبب مأساتي .

اول جائزة تقديرية

مؤتمر اتحاد الاطباء العرب في الجزائر / ١٩٦٤

في اليوم العشرين من شهر تموز سنة ١٩٦٤ ينمقد مؤتمر الاطباء العرب في
الجزائر العاصمة ، فتهيات بشوق لأرى الجزائر الشقيقة التي صمدت وضخت بمليون
شهيد حتى نالت الاستقلال سنة ١٩٦٢ من فرنسا التي جثمت على صدرها زهاء

قرن وثلاث . وكان من الذين شاركوا في هذا المؤتمر الدكتور شامل السامرائي والدكتور عزت مصطفى والدكتور جابر محسن وآخرون من العراقيين ، وحطت الطائرة (اير فرانس) التي اقلتنا في مطار الجزائر العاصمة ، وتوقعنا بفرح ان نقابل من مواطني هذا القطر الشقيق بما هو بمستوى كفاحهم المبرر ضد فرنسا المستعمرة ، من شعور بالاخوة العربية ومعاملة سمحة من اهل هذا القطر ، بل توقعنا ان نقابل كما لو كنا من اهل هذا البلد خاصة ان (عبدالكريم قاسم) كان يمد الثوار الجزائريين بالمال والسلاح لمقاتلة فرنسا الجائرة . غير اننا فوجئنا بالخيبة التي لم نتوقعها قط ، فقد كان موظفو دائرة الوافدين الى القطر يتكلمون بلغة خليط من العربية والفرنسية ويلهجة غير مفهومة ، وطلبوا منا ان نملا استمارات الدخول الى المدينة فاذا هذه الاستمارات مكتوبة بحرف دقيق وباللغة الفرنسية ، واستعلمنا من موظفي هذه الدائرة عن بنود هذه الاستمارة ، فاذا اجوبتهم فظة ، وغير مفهومة ايضاً . وتهنا فيما يجب ان نفعله حتى قال احدها : لولا انني اعرف ان هؤلاء القوم يمرون بمرحلة إنتقالية الى الحياة العربية بعد حياتهم الطويلة مع الفرنسيين — لولا اني اعرف ذلك لياست ان يعونوا الى اصلهم العربي !

وعلمنا ان نقابة اطباء الجزائر قد حجزت لنا غرفة في فندق (البيتي) ، وهو اشهر وربما اكبر فنادق العاصمة ، مع ذلك فلم يكن مكيفاً باستثناء قاعة الطعام ، وكان الجو حاراً ورطباً فاضطرنا ذلك ان نجتمع في كثير من ساعات النهار في تلك القاعة ، وفي صباح اول يوم بعد وصولنا الى الجزائر العاصمة دخل القاعة شاب يرتدي لباساً بلون الخاكي فقام له الدكتور عزت واستقبله باسم (منذر الوندائي) وشرع هذا حين جلس الى جانب الدكتور عزت يسبب جمهورية الجزائر وسمعت الدكتور عزت يسأله : مالا امر يا منذر ؟ .

فاجابه منذر بهزه وحنق رفض ابن بلا رئيس الجمهورية ان يقابلني في هذا اليوم وعين لي موعداً ليقابلني بعد يوم غد ، فرفضت قبول مواعده ، وساعود الى بغداد باقرب يوم .

وفي صباح اول يوم بعد وصولنا الى الجزائر حدث ما عكس صفونا ، واثار نفورنا من اهل هذا القطر ، فقد خرج الدكتور جابر من غرفته الى بهو الفندق وهويشتم ويلعن المرأة الفرنسية المسؤولة عن جناح غرفته ، وسألناه السبب فقال : — لم يكن في الحمام (نوش) فطلبت منها بالاشارة اثناء لاغرف به الماء واصبه على جسمي ، فلم تفهم مني ما اريد فمسكتها من يديا وقدمتها الى داخل الحمام ومثلت لها ما اريد بالاشارة ايضاً ، فاذا هي تتور علي وتزعق بوجهي وتخرج من الغرفة

منمجة وتمود بعد لحظات ، وسألنا الدكتور جابر ، والسبب ؟ .

— يا مودين ، هي بكذامي .

ونقلنا الامر الى مدير الفندق ، وهو شاب جزائري ، فطلب تلك المرأة الى مكتبه .
وحين حضرت شرعت مجدداً تشتم الدكتور جابر بعصبية ، واخيراً فهما من مدير
الفندق انه حين قادها الى الحمام اعتقدت انه اراد منها ان تستحم معه ، ففاظها هذا
الطلب وتارت عليه .

وساعة انعقد المؤتمر في صباح اليوم التالي توسط وزير الصحة حلقة نقابة اطباء
الجزائر على المنصة ليرحب بالاعضاء الوافدين الى الجزائر ، ووقف خلف الوزير رجل
وهو يمد عنقه ويحنها الى جانب انده ويقرأ بصوت خفيض في اذن الوزير ورقة كانت
بيده ، ويردد الوزير ما يقرأه كلمة كلمة ، كان ذلك الرجل يقرأ باللغة العربية ويردد
الوزير ما يقرأه بلغة عربية مفككة ولهجة مضحكة ، فضحك بعض المؤتمرين بصوت
مسموع ، وضحك معهم الوزير نفسه .

وفي مساء ذلك اليوم اقيمت للمؤتمرين دعوة عشاء في دار المقيم الفرنسي حاكم
الجزائر قبل الاستقلال . وهذه الدار قصر منيف مبني على الطراز المغربي القديم الذي
لا تدخل فيه مادة الحديد او السمكت ، كما لم يكن يضاء بالكهرباء بل بالشموع
والفوانيس النفطية ، وموقعه خارج المدينة وتحيطه حديقة غناء واسعة .

وكان وزير الخارجية (بوتفليقة) ينتقل بين المدعوين ويتحدث اليهم عما فعله
الجزائريون ليتخلصوا من حكم فرنسا والتضحيات التي قدموها فداء لذلك . ومما
قاله : ان في الجزائر اليوم مليون يتيم ويتيمة ، واستعجل احدنا وقال له :

— حبذا لو نحصل على شرف تربية هؤلاء اليتامى في العراق .

فاسكته بوتفليقة بقوله :

— نريد ان ينشأ اولادنا في بلادنا وعلى ايدينا يا حكيم .



وبدأت الجلسات العلمية في اليوم التالي ، وكنت ممن شارك فيها ، وكان
موضوعي في جراحة الفم والوجه ، واصلاحه بعملية (سبيتلي) التي
طورتها بنفسي ، وقد نلت بهذا البحث جائزة المؤتمر ، فكانت اول جائزة تقديرية انالها
في حياتي الطبية ، فكان فرحي بها كبيراً غير انها لم تنسيني ثقل الجو الاجتماعي
والطبيعي في الجزائر فقررت العودة الى بغداد باقصى ما استطعت من السرعة . فقصت
مكتب خطوط (إيرفرانس) وفي طريقي اليها قابلني الدكتور شامل السامرائي عائداً
من هذا المكتب وكان مثلي يريد ان يعود الى بغداد فلم يحصل على مكان في اية طائرة الا

بعد يومين الآخرين ، وحين عرفت منه ذلك كنت اعود اراجي ، فخرجتني قررت ان اجرب حظي مع دائرة خطوط الايرفرانس وواصلت سبري الى هذا المكتب ، وبينما كنت اخطو اليه وقع نظري على فرنك فرنسي مرمي على الارض فتناولته وفركت التراب عنه وادخلته في جيب سترتي وانا اقول فيما بهلي وبين نفسي : هذا هو تعوينتي لاحصل بها على كرسي في طائرة الايرفرانس . وكانت السيدة التي قابلتني فرنسية بمدينة ، وينور حول رقبتها الممتلئة عقد من الكهرز بحبات كبيرة بلون قشر الجوز وكلمتها بالانكليزية ، ولم اكمل طلبتي منها حتى قالت لي :

— اذا استطعت ان تهني نفسك في خلال ساعة فانا استطع ان اضعك في قائمة المسافرين الى (نيس) بفرنسا ، ومنها تحوّل الى إحدى طائرات ايرفرانس ايضاً الى جنيف لتأخذ ساعة وصولك إحدى طائرات هذه الشركة ايضاً الى بغداد ، وسألتني :
— هل عندك سمة دخول الى فرنسا او سويسرا ؟ .

ثم استدركت تقول :

— لاجابة الى (فيزا) لالك لن تخرج من المطارين .

وعدت الى الفندق وحزمت حقائتي وحملتني بيدي الى مكتب ايرفرانس ، وبعد نصف ساعة تقريباً كنت في إحدى طائراتها الى نيس ، وفي الجو الى هذه المدينة مرقت الطائرة بمنظر لانساء . فقد مرت بين جبلين من الثلج (والوقت في تموز) فسببت سرعتها سقوط كتل ضخمة من تلك الثلج الى قاع لم ار غوره ، ومددت يدي الى جيبي افرك باصابعي الفرنك الفرنسي ليقيني الاقدار ، ومرت الطائرة دون خوف مني إلا بقدر يسير ، وبعد وقت لم يطل كثيراً حطت الطائرة على مطار نيس ، وترجّلت منها وانا احمل حقائتي بيدي وافرك باليد الاخرى الفرنك المعدني الذي في جيبي . وسألت المضيفة عن الطائرة التي ستقلع الى جنيف ونفحتها قبل ان تجيبني عنها قراءاً من الفرنكات .

فاجابتنني : هيا اسرع الى تلك الطائرة من الباب رقم (٤) وبعد دقائق صعدت سلم الطائرة الى داخلها ، وبعد نحو ثلاثة ارباع الساعة حطت الطائرة في مطار جنيف ، وترجّلت منها وسألت احد العاملين على ارضه عن الطائرة ايرفرانس التي ستقلع الى بغداد ، وفركت الفرنك الذي في جيب سترتي فقادني ذلك العامل الى الطائرة التي كانت تتأهب للاقلاع من ارض المطار فكننت في داخلها بعد دقائق وادخلت يدي في جيبي لافرك الفرنك باصابعي على ما جاد به لي من سهولة الحصول على الطائرة التي حملتني الى بغداد ووصلتها سالماً مرتاحاً والحمد لله .

ان كل ما استطيع ان اقله عن تأثير تلك التمويضة ، انني لمست مما حدث لي يوم حملها ما يدعوني الى الاعتقاد باحتمال تأثيرها في خلق الحالة التي اراحتني في العودة الى بغداد .

الاحدب الصغير في الجزائر / ١٩٦٤

استمعي نكر تفاصيل سفرتي الى الجزائر لحضور مؤتمر الاطباء العرب الذي انعقد في شهر تموز سنة ١٩٦٤ والذي مر نكره آنفاً في ذلك اليوم حملت حقيقتي اليهودية الى مطار جنيف بسويسرا لاستقل طائرة على خطوط (ايرفرانس) الجوية الى مدينة الجزائر العاصمة . وكان المطار غاصاً بالمسافرين من المغادرين والوافدين . وبعد ان اتممت معاملة السفر في بوابر المطار اخذت مكاني على كرسي في صالته ووضعت حقيقتي بين قدمي ، واخرجت علبة السكاير من جيبي واشعلت واحدة منها وانا اراقب حشد الناس يدخلون الصالة او يخرجون منها الى الطائرات الجاثمة على ارض المطار . وسمعت في هذا الصخب من قال باللغة العربية : ذاك هو (جورج ساند) . فأتار انتباهي هذا الاسم ، ثم تذكرت انني شاهدته في اكثر من فلم سينمائي ، فرأيت الناس يحتشون حول رجل طويل القامة ، منحني الظهر بيسر وهو يخطو بمهل بين زحام الخلق الكثير . ولما اقترب مني كان يقود الى جانبه طفلة ينحو العاشرة من عمرها ، وتذكرت ملامح هذا الرجل على شاشة التلفزيون فاذا هو جورج ساندريز بالتاكيد ، غمخ انه بان لي اكبر عمراً واثقل جسداً وابطأ حركة مما كنت اتصوره ، ولمعت (كمراة) الصحفيون وتحلقوا حوله وصاروا يلاحقونه باسئلتهم عن خصوصياته واعماله .

— هل لك مشروع سينمائي جديد ؟

— من هذه الصبية التي تقودها بيديك .

— هي ابنتي .

— من زوجتك الاولى ام من الثانية ؟

— ليس من احدهن ، هي ابنتي بالتبني .

ورأيت مجموعة اخرى من الناس تدخل صالة المطار ، فرفع جورج ساند في تلك اللحظة يده عالياً يهزها وهو ينادي على شخص بعيداً عنه ، والتفت الى الجانب الذي يشير اليه فاذا الممثل السينمائي (بول براينر) برأسه الحليق ، وقد بان لي اقصر قامته مما يظهر في الافلام السينمائية ولكنه هو بذاته كما برزت صورته في مخيلتي في فلم (الملك وانا) ، وتقابل الممثلان الطويل جورج ساند والقصير بول براينر ، وتحركا

الى باب الخروج الى الطائرة اثر سماعهما النداء للتوجه الى الطائرة التي ستقلع الى باريس ، وسمعت في هذه اللحظات من يتكلم بالعربية ، وكان يجلس على كرسي خلفي ، ومن يستطيع ان لا يدير اليه رأسه ليرى الوجه الذي يتكلم باللغة العربية في بلد لا يتكلم إلا بالفرنسية ؟ كانت لهجة هذا الذي يتكلم خلفي مغربية واضحة من الامالة التي يتكلم بها ، وكان هذا شاباً في منتصف العشرينات من عمره ، واستدلت من لباسه والحقيبة المنتفخة بالكتب المدرسية التي بيده انه لابد ان يكون طالباً في إحدى الجامعات الفرنسية ، كان زحام المسافرين شديداً فلم اكلف نفسي الانتقال الى جانبه خوف ان افقد الكرسي الذي اجلس عليه اثناء حركتي منه . وخرجت من الصالة مع من خرج منها في اتجاه الطائرة التي اعلن عن قرب اقلاعها الى الجزائر ، واتخذت مقعداً الى جانب شباك في الطائرة فرأيت ذلك الشاب يدخلها ، فاشرت اليه بيدي ليحتل المقعد الذي الى جانبي ، وقلت له :

— انا من العراق ، من بغداد .

فاجابني :

— وانا من فاس بالمغرب .

وتجانبنا اطراف الحديث ، فعرفت منه انه يدرس الطب في جامعة (جنيف)

بسويسرا ، وحينذاك قلت له :

— وانا طبيب في جامعة بغداد وانا في طريقي لحضور المؤتمر الطبي العربي في

الجزائر .

ثم تحول حديثنا الى ما عمله الجزائريون في ثورتهم ضد فرنسا التي احتلت قطرهم ، فاثبتت على صبرهم وجلدهم لنيل الاستقلال ببلاهم . وقصّ عليّ ذلك الشاب حدثاً من جملة ما ابلى به الجزائريون . في نضالهم البطولي ، وقال انه واقفي من اوله الى آخره ، فسجلته بطريقتي الآتية .

في إحدى حارات الجزائر العاصمة بيت متداعي الجدران ، وليس فيه ما يدل على السكن الا بابه الذي انخلعت اكثر الواحه بسبب القمم والاهمال ، فاذا طلع الصبح ينفتح هذا الباب ويخرج منه عجوز في الستين من عمره لياخذ طريقه الى السوق ثم يعود حاملاً بيده قليلاً من الخبز والجبن . ويدخل الى بيته ويرد الباب وراءه بهدوء ، ويتجه صامتاً الى حجرة صغيرة تتكىء على احد جدرانها طاولة خشبية عتيقة وعلى جانبها المتقابلين كرسيان صغيران ، وعلى جدار الجانب الآخر من الحجرة مناصب ورفوف مملوءة من الطين والجص صفت عليها ابوات الطبخ القليلة ، ويضع هذا

العجوز قليلاً من الشاي في ماء الابريق الذي تركه على موقد قبل ان يغادر البيت ، ثم يرفع كوبين من الرف ويضعهما على المائدة ويضع بينهما قطعاً من الخبز والجبن ثم بعد ذلك يقعد على كرسي في هذه الحجرة ويظل صامتاً ساهماً حتى يحين وقت الافطار ، فينادي على ولده الذي ينام معه في الحجرة الوحيدة في هذا البيت ، وينابه مرة اخرى وثالثة فينهض ولده بتكاسل الى المائدة ، فاذا اتما تناول فطورهما تناول الاب حقيية يده الصغيرة المتهرلة وولى الى مكان عمله في نوائر الامن الفرنسية .

هذا العجوز اسمه (نايل) واسم ولده (منذور) وهما كل عائلة هذا البيت الوضع . اما ام الولد فقد توفاه الله بمرض السل ولم يكن ابنها منذور قد بلغ الثالثة من عمره بعد ، فتولى ابوه رعايته فحنا عليه بابوة صابقة . ثم مرض منذور من العوز وسوء التغذية بمثل المرض الذي توفيت به امه ، وخلف في ظهره حذبة وفي رجله قصراً فجعلت هذه من جسمه شكلاً مشوهاً ، واذا نهض انطوى ظهره على بطنه ، واذا مشى عرج ، فعرفه سكان حارته باسم الاحدب الصغير وطفى هذا اللقب عليه حتى نسي الناس اسمه ، وشب منذور حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره ، وهو عديم الحول على العمل ليساعد ابيه في سبيل العيش ، فاعزل في بيته الا في اوقات غير منتظمة كان يجلس فيها مع اترابه من اولاد الجيران على عتبة داره يتحدثون ويلعبون ، ويستذكرون بفخر نضال الثائرين في الجبال ، حتى اذا حل المساء عاد ابوه نايل من عمله في نوائر الامن الفرنسية فيتناولان عشاءهما البسيط ثم يسمران قليلاً ثم ينامان ، وحين اشتدت ثورة احرار الجزائر على الفرنسيين الدخلاء في بلادهم وتمسكهم في ادارة شؤون المواطنين فيها نظمت الطلائع المحاربة وفرق المقاومة السرية والتي تعمل في الجبال ، واشترك في هذه الثورة كل صغير وكبير من الرجال والنساء كل بحدود اختصاصه وامكاناته الا الاحدب الصغير وابوه نايل الذي ظل يعمل في نوائر الامن الفرنسية ، وطبيعي ان تصبح اخبار هذه الحركة الوطنية حديث الاولاد اتراب منذور حين يجتمعون به على عتبة داره . وذات يوم حين حمى الوبليس واتسع نطاق الاعتقالات غمز احد اصديقاء منذور قائلاً : ان اباه يعمل لحساب فرنسا في نوايرها بالجزائر ، فاستشاط منذور غضباً لهذا التعريض ، ولكم بيده الموقوفة الصبي الذي شاكسه ، وتضارب الاتقان وانتهى الامر بانسحاب منذور مقورم الوجه منمى وهو يجرد رجله الكسيحة الى عقر بيته حيث بكى وبكى على طول مابقي من النهار . ولما عاد ابوه فزع مما رآه على وجه ابنه منذور ، فسأله بهلع :

— ما هذا يا ولدي ؟

فاجابه :

— ليس شيئاً مهماً يا أبي .

— ولكن عيناك متورمتان ، وهذه الدماء على وجهك ؟ .

فاجابه :

— ضربني صبي في الطريق .

— ضريك صبي ؟ ولماذا ضريك يا ولدي ؟ .

فاجابه مننور :

— انا الذي بدأت بضربه يا أبي .

وصمت الاب قليلاً وهو يفكر : كم كانت حالة ابنه يائسة حتى رفع يده ليضرب بها ذلك الصبي ، فسأله :

— ولماذا ضربته يا مننور ؟

— لقد عابني ، فكان عليّ ان اضربه .

فتوجع ابوه في داخله اي وجع ، لقد ظن ان الذي ضربه قد اعايه على خلقته المشوهة ، فقال له :

— انه صبي شرير يا ولدي ، فليس في الخلقة ما يعاب .

فاجابه مننور بجزع :

— ما كان يغيضني لو انه عابني على خلقتي .

— إنن بماذا أثارك حتى ضربته ؟ .

فسكت مننور ، وادار وجهه عن ابيه ، ثماد ابوه يسأله :

— تكلم يا ولدي وقل لي ما الذي اثارك لتضرب الصبي ؟ .

فادار مننور وجهه الى ابيه وقال له :

— قال انك تعمل مع الفرنسيين !

وجفل الاب المجوز ، ولكنه تدارك موقفه وقال :

— انا ؟ نعم انا اعمل مع الفرنسيين ، وما الميب في ذلك وكثيرون مثلي يشتغلون في

بوائهم لكسب لقمة العيش .

— ان ذلك الصبي لم يعن ذلك يا أبي .

— ماذا كان يعني إنن يا ولدي ؟ .

— قال انك تعمل لحسابهم ضد احرار الجزائر ، وانك وشيت بالمقاومين الاحرار .

فقال له ابوه بشيء من الارتباك .

— وهل تصدق ذلك يا ولدي ؟

— انا لم اصدقك ولذلك ضربته .

وارتمى منصور على صدر ابيه وهو يقول له والمعبرة تعاني الخروج من صدره .

— انت يا ابي خير الرجال واصدقهم في حب الجزائر .

فقال ابوه :

— انا لا اعمل الا لصالح الجزائر يا ولدي فاطمئن .

وتكررت مضايقات الاولاد للاعب الصفيح . وتكرر الخصام والتضارب ، فضايق منصور بهذا الحال وصار لا يفكر إلا بالكشف عن حقيقة ابيه في الدوائر الفرنسية . ويناقش منصور الموضوع مع نفسه (ان ابي لا يمكن ان يخون الجزائر ، فان الابوة التي المسها فيه لا يجوز إلا ان تكون من صفات الاباء البررة والرجال المخلصين لوطنهم) وانا اعرف ذلك يقيناً ، غير ان ما اعتقده بابي لا يعترف به اصديقي ، فلاعمل شيئاً لاثبت لهم اني وابي نخلص للجزائر ونفتديها بكل غال وعزيز ، ولا نعمل إلا لمصلحة الجزائر الحبيبة فطلب الانتماء الى المقاومة السرية ، غير ان ادارة هذه الحركة رتبته (اليس هو ابن منصور الذي يعمل في الدوائر الفرنسية ؟ والولد على سر ابيه وهذا يكفي ان لا يعتمد عليه) فتألم من ذلك واهلقت الدنيا في عينيه ، وشعر لأول مرة في حياته انه مخلوق لانفع منه ، وانه ايضاً عالة على ابيه وعلى الجزائريين عامة . فهم ان يحسم موقفه مع ابيه ، فانتظر عودته الى البيت بلا صبر ، وابتدعه . — يا ابي اني في حال لا اطيع احتمالاً ، فالكمل يقولون انك تعمل لحساب الفرنسيين في الجزائر .

فرد عليه ابوه بجزع :

— قلت لك انني لا اعمل الا في سبيل الجزائر يا ولدي :

— هل اصدقك يا ابي ؟ فلست ابغي اكثر من ذلك . اريدك فقط ان لاتنسى حق

الجزائر علينا ، وان لاتعمل إلا لمصلحتها .

— تك بي يا منصور .

— انا اتك بك يا ابي .

ثم سكث منصور قليلاً ليقول .

— وانا يا ابي إلا يتوجب علي ان اعمل شيئاً ما مثل غيبي في سبيل الجزائر ؟

فاجابه ابوه :

— انظم الى المقاومة السرية .

فاجابه منصور بحمسة .

- لقد رفضوني يا أبي .
- هل رفضوك بصبيبي ؟
- لا اعرف لذلك سبباً آخر .

فتكلم ابوه لهذا الجواب القاسي ، وسأل نفسه : كيف اساعد مندور ليكون مثل غيره ممن يدفع ضريبة المواطنة ، فلا بد ان احقق له امنيته ان ينضم الى جموع العمل السري ، وصمم على امر كتفه عن ولده ، وهو الكتوم والصبور في سبيل الوصول الى الغاية . وفي اليوم الثاني اعتقلت السلطات الفرنسية مندور بتهمة العمل في المقاومة السرية ، وضرب وعذب في حبسه ، ضرب على رجله الكسيرة وعلى خديقه ظهره ، فأي عذاب نفسي قاساه الاب وهو الذي وشى افتراء بابنه ليجعله في عداد الوطنيين في نظر اولاد حارته ! واطلقت السلطات الفرنسية سراح مندور بعد اسبوع من التعذيب ، فخرج بروح لا تنقص من فضيلتها عيوب الجسم . ويبدو ان اعتقاله من قبل السلطات الفرنسية غير رأي اصحابه فيه ، فضموه الى منظماتهم السرية ، غير ان اصحابه لم ينسوا اباه الذي اخلوه في قائمة خونة الوطن ، فالابن يعمل لنفسه لا ليمحو سيئات ابيه ، وكل ينال ما عليه من ثواب او عقاب ، فقالوا يوماً لصاحبهم مندور .

— أه لو ان اباك لا يعمل الى الفرنسيين .

فاجابهم مندور بامتعاض :

— انه لا يعمل للفرنسيين وانا واثق من ذلك .

فقالوا :

— انه هو الذي وشى برفاقنا الذين اعتقلوا قبل اسبوع .

— يا اخواني لقد كنت احبهم فكيف يشيء بي ، وانا اعرف كم هو يحبني !

— هذا ما لانعرفه .

— ماذا تعرفون إذن ؟

— ان (خليفة) شاهد اباك مع الجلاوزة الذين عذبوا الدفعة الثانية التي اتهمتها

المباحث الفرنسية بحادث سيارة الكولونيل ميشيل .

— خليفة كذاب ، وانا لا اصدق هذا الكذاب .

— لم يعد في الجزائر كذاب يامندور .

وحين أوى نائل وابنه مندور الى فراشيهما في مساء تلك اليوم ، تعلل مندور

وابار مضجعه نحو ابيه وسأله :

— هل نمت يا أبي ؟

— لا ياولدي ليس الى الان .

وكان الاب نابل متعباً في ذلك اليوم فخرج انه ما كان احب اليه من التحدث الى ولده الا ان (يديش) معه وحدهم مقدماً انه سيعيد عليه تساولاته عن طبيعة عمله في الدوائر الفرنسية ، فهل اسهل على هذا الاب ان يدرك ما يدور في رأس ابنه من افكار وهو اجس ؟ إذ ان قلبيهما ينبضان سوية بحب الوطن وافتدائه ، فلم ينفر من التحدث اليه ، ولا مسخط عليه على تكرار اسئلته عن نوع عمله في الدوائر الفرنسية بل زها في سره بقلعة كبده الذي لا ينفك يفكر بما يريح ضميره ويبريء اياه من التهمة التي العلقها اصحابه به . وتمتم مع نفسه بلا صوت : (ان ابني والحمد لله بار بي ويوطنه) ومع ذلك خشي ان ما سيقوله قد لا يقنع ابنه ، فقال له :

— نتحدث في الصباح يا مندور .

— بل الان يا أبي ، ارجوك ، لان اصحابي يقولون ان اباهم رأوك بين الجلاوزة الذين يعذبون المعتقلين ، فهل هذا صحيح يا أبي ؟ .

فاجابه ابوه ، بتخائل :

— نعم كنت معهم كموظف مكلف للتأكد من تطبيق العقوبة .
فساله ابنه :

— هذا كل ما في الامر يا أبي ؟ اريد ان اعرف الحقيقة .

ولم يجد ابوه جواباً ، فقال ابنه مندور :

— إنن ما يقال عنك صحيح يا أبي !

— سامحك الله يا ابني ، فانا بريء مما يتقولونه عني ، وحاشا ان اخون وطني

واهلي ، ففترك الحديث عن ذلك الى الصباح ، فانا متعب الان .

وأرق مندور على وسادته التي بللها بدموعه ، كما أرق ابوه بصمته .

واستيقظ مندور على صراخ ابيه وهو فريسة كابوس ، ثم عادا ينامان ، فلما

استيقظ مندور في الصباح لم يجد اياه على مائدة الافطار كما لم يجد ما يدل على انه

أكل شيئاً مما عليها فقال في سره والحزن يعصر قلبه .

— لقد هرب ابي من قول الحقيقة ، وانه إنن لخائن ، وان اولاد الحارة لصادقون .

فلن أكل من مائدته هذا اليوم ولا في اي يوم ، ولن يؤلمني خواء بطني من الجوع اكثر

مما في قلبي من حزن وأسى ، وغيري من احرار الجزائر ينامون اياماً على الطوى ،

ويموتون من الجوع والجراح . وانتظر مندور في بيته حتى عاد ابوه ، فاستقبله حانقاً .

— انت تعمل في سبيل فرنسا .

— سامحك الله ياولدي .

— ولن يسامحك الله يا رجل .

وانعقد لسان أبيه ، وجهد حتى قال :

— يا ولدي ..

فقاطعه ابنه قائلاً :

— لاتخاطبني بهذه الصفة ، فان هذه هي عاري ، ولن اكون ابك بعد اليوم .

— انك تمنبني يا ابني فلا تقس عليّ

فقال له مندور

— ان عذابي بسببك اشد ولاطيق البقاء معك .

وغادر مندور بيت أبيه وهو يهيم ، على غير هدى حتى قادتته الدروب الى الجبال حيث يقاتل احرار الجزائر ، وشاهد ما يكابدونه من ويلات ومطاردة وجراح . وقد كتم سر أبيه عن هؤلاء الرجال ، ولكن هذا السر بقي يعمل في رأسه وقلبه كمنقاب ، وبلا هواة . ويقول لنفسه مسلماً (مانبغي ان كنت ابنه ، فانا لم اختر ان يكون ابي) والتصمت في رأسه فكرة ان يقتل اياه لينقذ المواطنين والجزائر من وشاياته وخيائنه الدنيئة ، واقسم باسم الجزائر ان ينفذ وعيده ، فان ذلك هو الكفارة عليه وعقاب الله له . (فلا بد ان اقتله ، وانني لاشعر الآن اني لم اخلق إلا لهذه المهمة ، وقد اكون قد شوهت بحكمته تعالى لاعمل زاحفاً لقتل الفارين الذين في متناول يدي بعد ان صرت عاجزاً عن حمل السلاح الثقيل والكر والفر في مياسين القتال) .. (ساقوم ايها الاب الفاسد باخماد انفاسك لاتتيح لابطال الجزائر ان يعملوا بعيداً عن ترصد جواسيسك بامان) وفي ليلة مظلمة انسل مندور من كهوف الاحرار واخذ طريقه الى مدينة الجزائر ، حتى اذا وصل مداخلها تخلص الى بيته حيث ينام ابوه ، وحين دخله شد قامته وخطا يهدوه وحذر الى مخدع أبيه . وفكر الا يوقظه قبل ان يطعمه بالسكين التي بيده ، ثم عدل عن هذه الفكرة (لا بد ان اوقظه اذا وجدته نائماً) بل اتصنى ان اوقظ المدينة كلها لتشهد مصرع الخائن بيدي انتقاماً لاحرار الجزائر .. وخطا بون تردد او وجل الى سرير أبيه في الحجرة الصغيرة التي كان الظلام يغمرها بتقل ، ومد يده ليتحسس موضع أبيه في السرير ، فاذا هو في سريريه ، وهره ليوقضه ، ولكن ابوه لم يستيقظ ، ثم لكزه بسكينه ، ولكنه لم يتحرك ايضاً ، ونادى باسمه :

— استيقظ يا نائل ، انا مندور .

فلم يستجب نائل لنداء ابنه . ماغرب المفاجأة ، طاش لها لبّه ، وكاد يفقد رباطة جاشه ، فقد وجد اياه غارقاً في نمانه ، وتمالك نفسه ، وظل برهة في مكانه

يفكر ، وقال :

— لقد سبقني الاحرار الى قتله ، واهلهم كانوا من شباب الحارة ، وحسناً فعلوا .
لقد قتلوه في ظلام الليل فاذا جاء الصباح فستكشف السلطات الفرنسية مقتله وتبدأ
باعتقال الشباب بلا تمييز بتهمة قتل هذا الخائن . ولكن الم اجيء انا لاقتله ، فلا بد
ان اكون انا القاتل دون غيره ، فالطبيعة التي خلقتني لاحارب على الجبال لاتضمن
عليّ ان اعمل في قمر الدور ، فلاخدم بلدي من هذا الحيز ، وهذه دائرتي ، واختصاصي
انا (الاحدب الصغير) . ثم لا بد ان اكون انا القاتل والا فستعتقل السلطات
الفرنسية عدداً كبيراً ممن ليس لهم يد في مقتل ابي . والقى نظرة اخيرة على ابيه
المسجي على فراشه المنضوح بالدماء ، واندفع يمرج خارقاً الى الشارع ، الى دائرة
الامن الفرنسية . وطلب مواجهة احد المسؤولين فيها ، فبارق قائلاً .

— لقد قتلت ابي وها انا بين يديك .

واستغرب المسؤول الفرنسي من دعوى هذا الصبي المشوه فسأله :

— ماذا تقول يا صبي ؟

— قتلت ابي بهذه السكين .

ونظر المسؤول اليه . باحتقار ، إذ كيف يستطيع هذا الصبي المشوه الذي يشبه
نوبة القز ان يقتل مخلوقاً ؟

وقال له :

— انت معتوه يا ولد !

— بل انا بكامل ابراهيمي .

وسأله :

— ما اسمك ؟

— اسمي منور بن نائل وابي موظف في دائرتكم .

— تقصد نائل بن مصطفى ؟

فاجابه منور بجرأة واعتداد :

— انه هو نفسه .

فاستشاط المسؤول غضباً حين سمع ان القاتل الذي ذكر اسمه منور هو افضل
موظفي دائرته .

وسأله :

— واين قتلتك يا حقي ؟

— قتلتك في داره وهو الان ميت في فراشه بداري .

— ولماذا قتلته ٩ .

فاجابه يتشطب .

— لانه ينقل اليكم حركات احرار الجزائر .

فازداد المسؤول غضباً لصراحة مندور وانتشر الخبر الى كل مكان في الجزائر (لقد قتل الاحدب الصغير اباه الموظف بدائرة الامن الفرنسية . ووجفت قلوب الشباب خوفاً من الاعتقالات العشوائية) ثم ورد في الخبر بعد ذلك (ان الاحدب الصغير اعترف بقتل ابيه) وقد سلم نفسه للسلطات الفرنسية ، فارتاح لهذا الخبر بعض الشباب ، اما الاحرار في الجبال حيث يقاتلون الفرنسيين ويقتلون فقد نزل عليهم الخبر نزول الصاعقة على الرؤوس الحاسرة إذ كان نابل المجوز من انشط الرجال الذين يعملون بسرية في خطوط العدو الفرنسي ودوائره الامنية لتزويد الثوار بالمعلومات العسكرية التي يخططها الفرنسيون لمطاردتهم وضربهم . وقد وشى ببعض الشباب من الجزائريين ومن بينهم ابنه مندور عن أمور تافهة تمويهاً على اعماله السرية الخطيرة التي ينقلها الى احرار الجزائر المقاتلين على جبالها الشم .
رحم الله نابل وعفى الله عن ابنه مندور ، فكلاهما بطل وعمل كل منهما بطريقته لتحرير بلده الجزائر .

الامتحانات في كلية طب الموصل / ١٩٦٤

في شهر حزيران ١٩٦٤ طلبت كلية طب بغداد انتداب طبيبين في كل من الامراض الباطنية والامراض الجراحية والامراض النسائية والتوليد للمشاركة في امتحانات الصف المنتهي بكلية طب الموصل ، فكنت انا والدكتور اسماعيل رشدي في امتحان الطلاب بالامراض النسائية والتوليد ، وفرحان باقر ومحمود الجليلي في الامراض الباطنية ، والدكتور (كلي) في الامراض الجراحية واستقر رأينا ان نساfer بالقطار ، وكنت اول من وصل الى محطة قطار الموصل بجانب الكرخ ، وهذه اول مرة ادخل فيها هذه المحطة . وكان منظرها الخارجي ، الذي لا يخلو من لمسات من العمارة الاسلامية ، يجتنبني في كل مرة امر بها لادخلها لارى كيف وفق مهندسها (الكرنل ورد) ان يحتفظ بتصميم فضاءاتها ومداريها بالطابعين الاوربي والاسلامي ، فاذا هو نجح في ذلك غاية النجاح ، غير ان التغيرات المرتجلة التي ادخلت عليها قد شوهت روعتها اي تشويه ، وهكذا عملت ايدي قلبي الخبرة والنوق

في كثير من الممارات الجميلة التي استحدثت سني بغداد في شتى الثلاثينات .
وكننت اول من وصل الى هذه المحطة ، ثم توارد زملائي وهم يحملون بايديهم
الحقائب الصغيرة ، ويتطلع كل واحد منهم ليرى من وصل من زملائه الى المحطة ،
وبسهولة حصلنا على تذاكر السفر من (الشبابيك) التي تحيط باحتها الوسيمة
المرصوفة بالرخام . ولما التم شملنا توجهنا الى عربات القطار ، وصعدنا الى مقصورة
واحدة ، وصرنا نتحدث في كل شيء . وغريب كيف ينبسط الاطباء حين ينزلون الى
بعضهم ، فترتفع المحاملات والكلفة فيما بينهم ، فينقد بعضهم بعضاً بلا حرج ولا
تقيد ، وكان من بيننا اعزب واحد ، فالح زميل منا في التحدث عن العزوبة والعزب
والزواج والمتزوجين ، وشارك آخرون يغمزون ويلمزون الزميل الاعزب وكان في العربة
الملاصقة للعربة التي استقليناها ثلاثة اوانس من طالبات كلية طب بغداد وقد تعرفنا
عليهن في محطة القطار ببغداد . فسأل احدنا زميلنا العزب :

— ماذا تفعل لو كننت في عربة الاوانس الثلاث اللاتي في العربة الاخرى ؟
وساله آخر :

— ماذا تفعل للخادمة التي تفتح لك باب البيت حين تعود اليه متأخراً في الليل ،
والاهل نيام ؟

ولم يجبه زميلنا الاعزب ، غير ان السخط بدا على وجهه ثم قال بعد لحظة :

— عيب .

فقال له ذلك الزميل المرح :

— موعيب ، ياما انا سويتها ويا الخادمة

فاجابه الزميل العزب بسرعة وذكاء ولباقة :

— عندي خادم بالبيت مالك عيشة عندي .

وضحكنا جميعاً .

وقبيل وصولنا الى الموصل تراعت لنا ماذنة جامع الموصل وهو يلوح على تل
واطىء ، كما تراعت لنا الى جانبها البيوت وما يفصلها من المزارع . الزاهية ، ثم المثقنة
المائلة .

ولممت في تلك الليلة في فندق المحطة نوماً عميقاً ، فلا نداء تلفوني ولا واجبات
مدرسية لطلاب الكلية وفي الصباح اجتمعنا حول مائدة طويلة لتناول فطورنا من
(القشقة) اللذيذة وتوابعها من الشاي والقهوة ، وكانت قاعة الطعام انكليزية
الطراز ، وكننت قد رأيتها لأول مرة في سنة ١٩٤١ حين كانت مزينة (ببار) مصنوع
من الحجارة والغصان شجر البلوط . والتفتت يميناً ويساراً لاتأكد من انني كننت يوماً ما

بهذه القاعة بالتاكيد ، فوثقت من ذلك بالرغم من عدم وجود البار ، او الباب المتحرك .
ولما تذكرت ذلك لزملائي نفى هؤلاء وجودها قبلاً . وفجأة طلع من باب جانبي نابل
قصير القامة ، كبير العمر ، بحذبة يسيرة في ظهره ، وهو يحمل القوارير والاكواب
والصحون وشرع يصفها على مائدتنا ، فسألته :

— كم سنة وانت تعمل في هذه الصالة ؟

فاجابني :

— منذ بناء هذا الفندق تقريباً .

وسأله احد زملائي :

— هل كان في مكان ذلك الباب باب متحرك ؟

فاجابه النابل :

— نعم ، واسم إستعماله فتكثرت به قوارير واكواب فرغ . ونظر اليّ ذلك الزميل

ليوتن لي صلق ذاكرتي .

وكان على المائدة رئيس جامعة بغداد الدكتور عبدالعزيز الدوري ، وهو جم
الانب ، ومجامل كعائته ، وكانت كلية طب الموصل يومئذ احدى الكليات التابعة
لجامعة بغداد فجاء الدكتور الدوري الى طب الموصل بهذه المناسبة ، وعلى مائدة
الافطار تطرق الدكتور الدوري في حديثه الى (الدوائر) والى دراسة الطب بخص
سنوات ، دون حماس يذكر .

وانكر في مشاركتنا بهذه الامتحانات ان احد زملائي تصرف اثناء تصفية درجات
الطلاب — مع استاذ الجراحة (كلى) كما لو ان ذلك الزميل هو صاحب الولاية على
موضوع الجراحة في بلدته الموصل . غير ان الاستاذ كلى تصرف بايب فلم يفتح مع ذلك
الزميل اللوح باب الجدل العقيم ، كما اذكر ان ذلك الزميل وقف ضد طالب اسمه
(عجيب) دون مبرر وحاول ان لا يدخله في قائمة الناجحين ، وكان هذا الطالب من
انكى طلاب صفه في الامراض النسائية والتوليد وكذلك في موضوع الجراحة . فلما
عدت الى بغداد رفعت الى رئيس الجراحة مقترحاً للاستفادة من الطالب عجيب
بايفاده الى انكلترا لدراسة عليا في احد مواضيع الطب ليتاهل فيه الى ملاك التدريس
في كلية طب الموصل ، وقد علمت ان رئيس الجامعة قد عمل بهذا المقترح ، وبأي حال
فان الطالب عجيب هو اليوم في مرتبة تعليمية عالمية بكلية طب الموصل .

توليت بطلب من الاستاذ فتح الله عقراوي رعاية زوجته السيدة نزهت اثناء حملها الثاني ، وكانت قد فقدت ولداً ذكراً في بيروت قبل عامين تقريباً ، ولذلك كانت هي وزوجها الدكتور عقراوي في اشد حالات التوقع واللهفة في ان يرزقا ولداً تعويضاً عن بكرهما الذي فقدها اثناء الولادة ، وكان الدكتور عقراوي لا ينفك يسألني : عما تحمله زوجته ، ذكراً ام انثى ، في هذا الحبل ، فانني له علمي بذلك ، ثم ذكر لي وهو يضحك ان القابلة نديمة مشهورة بتوليد البنات والقابلة كاترين تولد الذكور ، والقابلتان موظفتان بدار التمريض الخاص ، ويوم احسنت زوجته بالطلق . قال لي :

— اريد ان انفي ما يمتقنه الناس ، فارجو ان تكلف نديمة لتوليد زوجتي ، فقد يكون نورها في هذه المرة ان يكون الوليد ذكراً خلافاً لما اشتهرت به في توليد الاناث وكلفت نديمة ان تقوم بتوليد زوجته نزهت فوضعت بنتاً وهي التي سماها ابوها ميسون بعد ذلك . وقابلني عقراوي بوجه ليس فيه من المعاني الا الاعتراف بسخافة معتقدات الناس بجنس الجنين الذي تتحكم به القابلة اثناء الولادة .

وبعد عام ونصف تقريباً حملت السيدة نزهت ، واكتشفت انها حامل بتوأمين . / ولاحظت ان زوجها الدكتور عقراوي قد انقطع عن اسئلته عما تحمله زوجته في داخل بطنها كما كان يفعل بتكرار في حملها السابق ، وبدأ لي انه خضع لحكايات الناس في ان للقابلة علاقة بجنس الجنين ، فطلب مني ان تشرف على زوجته القابلة كاترين المشهورة بتوليد الذكور وجاء يوم المخاض فوضعت نزهت توأمين كلتاهما انثى ، ولا انس ما طاف على وجه ابيهما لحظة انباته القابلة كاترين بذلك .

وقصة الدكتور عقراوي تذكرني بحكاية السيد ابراهيم كمال وهو وزير سابق وأب لبنتين ، وقد سألني ذات يوم عن طريقة تحقق الحبل بذكر ، فنظيت له امكانية ذلك . وعلمت بعد ذلك انه سافر الى اوربا ثم الى امريكا ينشد اطباء القارتين لتحقيق ما يريد في حمل زوجته المقبل .. وعاد من سفرته الى بغداد ، وصرت اشرف على حالة زوجته اثناء حملها وهو يؤكد لي طيلة ايام حملها انه سيكون اباً لولد من هذا الحمل . وجاء يوم الوضع فولدت زوجته توأمين كلتاهما انثى فصار عنده اربع بنات ، ورأيت يومئذ في كريدور دار التمريض الخاص وهو قائم لزيارة زوجته في هذا المستشفى ، وقال لي بوجه متجهم تملوه الحسرة .

— لو اننا يا دكتور اكتفينا بابنتينا ولم نستشر الاطباء لكان ذلك افضل لنا ببنتين لا بأربع بنات .

ان معرفة جنس الجنين والتحكم في جعله ذكراً ام انثى امر عجز عن تحقيقه

الطب ، واذكر يوماً وأنا طالب في السنة الرابعة بكلية الطب ، سألت استاذ الاشعة الدكتور ملز بعد الانتهاء من محاضراته في تصوير الجنين في رحمه عما اذا كان باستطاعته ان يعرف (جنسه) بالتصوير الشعاعي فنفى لي ذلك الا في حالات نادرة جداً ولما قلت له ان ذلك وارد في القرآن الكريم ، ففتح عينه بما يشبه الاستفراب وقال لي مستفهما :

— هل تذكر النص ٩ .

فوعدته ان انقل اليه النص في السورة والآية وحين اعطيتها له طلب مني ترجمتها الحرفية ، وفعلت ذلك كما اراد .

والملاحظ ان ثمة عوائل معروفة بانجاب الذكور فقط ، واخرى معروفة بانجاب الاناث فقط ، او على الاكثر يكثر في بعض العوائل عدد الذكور بنسبة كبيرة على عدد الاناث وفي عوائل اخرى عكس ذلك وفي يوم من الايام الماضية انتشرت نظرية (داوسن) في تحديد جنس الجنين وملخصها ان الطبيعة تسعى يوماً ان تعادل بين عدد الذكور وعدد الاناث ، وبما ان الاجنة الذكور عند خلقها في الرحم اكثر من الاناث كما ان اكثر البكور ذكور لذلك حسب نظرية داوسن فان سقوط الاجنة الذكور اكثر من سقوط الاجنة الاناث ، وهذا قد لا يكفي فصارت الولادات المسرة وموت الاجنة الذكور في اثنائها اكثر مما في ولادة الاناث . ويستمر داوسن في تدوين ملاحظاته فيقول : وتظل الطبيعة تلاحق عدد الذكور في الحياة فتقتل منهم اثناء الحروب واثناء العمل الصناعي بما يجعلهم يقرّبون عدداً من الاناث وتعطف (داوسن) في نظريته حين قال (ان المبيض الايمن يختص بانتاج البويضات لحمل الذكور من الاجنة ، والمبيض الايسر لانتاج الاناث ، ثم قال مدافعاً عن هذه النظرية : ان المبيض الايمن له خاصية في اجتذاب الكروموسوم الصغير ليكون من اتحاده مع البويضة ولداً .. على ان الوقائع لا تؤكد ذلك .

ومذ اقدم التواريخ يفضل الانسان الذكور على الاناث ليكون له قوة ونزرة واسعة ، وحاول طرقات عديدة لتحقيق ذلك لا يخلو نكرها من طرافة ، فقد اعتقد ان الزوجة اذا مسكت خصية زوجها اليمنى اثناء الجماع فسيكون الوليد ذكراً ، وفي الوقت الراهن لا في العراق وحده بل حتى في البلاد الراقية يفضلون الذكور على الاناث ، وخصوصاً في الولادات البكر ، وفي مستشفى السامرائي حين تلد الحامل ذكراً تم الفرحة الاسرة كلها .

وهذا ينطبق على الامهات الاجنبيات كالالمانيات والانكليزيات فاذا رزقن بذكر وزع الزوج هدايا لكل العاملين في المستشفى اما اذا رزق بانثى فلا يحظى احد ممن في

المستشفى إلا بالشكر العاجل حين تغادر النفساء المستشفى .

صديقي الدكتور (ن) ١٩٦٤

ليس من عادة (ن) ان يجيء الى بغداد اكثر من مرة في الاسبوع ، فاذا هو امامي الان ، وقد كان امامي قبل ايام معدودات ، وزارني قبل خمسة عشر يوماً ايضاً .
دخل (ن) عيادتي في مستشفى السامرائي وتقدم مني وعانقني كما يفعل في كل مرة يزورني ، غير انه في هذه المرة اطال عناقته لي وفي انفاسه ريح من الحزن والقلق .
— غريبة يا (ن) جئت في هذا الشهر اكثر من اربع مرات ، خير ان شاء الله ؟
اشوفك غير مرتاح ، تعبان ؟ .

فقال لي بصجلة :

— انتظرك في غرفة السكرتيرة حتى تنتهي من مرضاك .

— طيب ، ولكن ما الامر ؟ شكوى اخرى عليك ؟ .

— لا ، لا ابداً ، انتظرك في غرفة السكرتيرة .

وغادر غرفة عيادتي .

وعدت استقبال مرضاي ، وأنا ابحت فيما يمكن ان يجعل صديقي (ن) كئيماً وقلقاً بهذه الدرجة . وحين انتهيت من عملي لم اجد في غرفة السكرتيرة ، فسألته عنه فاجابني :

— خرج رأساً الى الحديقة ، وقد رأيته يلزع الحديقة طولاً وعرضاً .

وخرجت اليه وبادرني يسأل بلهفة :

— اين ذهب هذه الامة ؟ .

— الى حيث تريد .

— الى المكان نفسه .

وفي السيارة وهو الى جانبي ، سأله :

— ما هناك يا (ن) انت تقلقني ؟ .

ولم يجبني ، غير انني حدثت بسهولة انه في اشد حالات الاضطراب ، ويحاجة شديدة الى من يهون عليه امره او يقدم له نصيحة ، فقلت له وكانني وقفت على مالي افكاره من قلق .

— لكل مشكلة حل ، تكلم وشرح لي مصيبتك :

ولم يتكلم .

ودخلنا حديقة مطعم دجلة بشارع ابي نواس الذي اعتدنا ان نتلاقى فيه اذا جاء الى بغداد ، كان الطريق فيما بين منخل هذا المطعم والطاولة التي قصدنا (ن) غير مستو ، وضياء الحديقة غير كاف للتأكد من مواضع اقدامنا ، كما كانت مصابيح الحديقة بلون ازرق غامق ، فتعثرنا حتى وصلنا الى الطاولة التي قصدنا (ن) واسرع لياخذ كرسيّاً عليها ، ويسط نراعيه على سطحها ، وحرك قدحاً فارغاً كان موجوداً عليها ، ثم اعاده الى مكانه ، ثم دفعه الى وسط الطاولة كما كان . ورفع رأسه يطيل النظر الى ، فاحسست بروحه لايوجوده ونظراته يوماً نفاذة ، وكأنها في هذه المرة قد نفلت الى اعماقي ، ثم شرع يقول :

— اسمعني ياكمال ، مّشّاب في احدى اسواق بغداد فاستوقفه رجل يعمل بتقطيع الزجاج وكان بضربة واحدة يقطع الزجاج كما يريد لها عمله ، طويلة او قصيرة ، مستقيمة او مستقيمة ، فاستغرب من الدقة التي يتحلّى بها هذا الرجل ، واعجبته مهارته الخارقة في عمله ، وعاد الشاب الى اهله وقصّ على ابيه ما رآه من مهارة ذلك الرجل في تقطيع الزجاج ، فقال له ابوه : هذا من صفاء البال وارتياحه ياولدي ، واذا اردت ان تتأكد من ذلك ، فاتبع ذلك الرجل لتعرف مكان بيته ، واشتر في اليوم الثاني لحماً وبامية وطماطة واحملها الى بيته وبق بابيه فاذا طلعت عليك زوجته فقل لها : ان استادي ارسل معي هذا (المسواك) . وستقول لك استاك بعث المسواك قبل ساعة وفيه يانديجان الذي اشتهاه لغداء هذا اليوم لا بامية ، وانصرف عنها ، وعد في اليوم الثاني الى مكان ذلك الرجل الذي اعجبك في تقطيع الزجاج ، وفعل الشاب ما طلب منه ابوه ، وشد ماكان استغرابه حين رأى ذلك الرجل اذا ماضرب الزجاج بمطرقة تكسرت قطعاً قطعاً ، واخذ زجاجة اخرى وحاول ان يقطعها بالشكل الذي يريده الا انه فشل ، وعاد الشاب الى ابيه واخبره يعجب ما آل اليه ذلك الرجل . فقال ابو الشاب يفسر له ما غمضت عليه معرفته .

— حين عاد الرجل الى بيته قدمت له زوجته غدائه من البامية فاستغرب من ذلك وقال لها انه بعث يانديجان لغدائه اليوم . فقالت له زوجته ، جاء (صانعك) ومعه بامية واخبرني انك تريد غداء اليوم من البامية ، وطاش رأس الرجل وصار يضرب اخماساً لاسداس ، عمن يكون ذلك الرجل الذي تجاسر وبعث الى زوجته مسواك اليوم !! لايد ان ثمة رجل يراود زوجته وقد يكون إتصل بها في امور اخرى وانتهى (ن) من هذه الحكاية وسألني :

— فهمت صفوى الحكاية ؟

— تقريباً .

— نعم عليّ شكاية أخرى بسبب خطأ لا يقع فيه حتى المبتديء في الطب . انتهى
ياكمال ، والمشتكى في هذه المرة هو مدير شرطة اللواء ، وهو لا يحبني ولا أحبه ، والله
سيقتسو عليّ في شكواه .

— هون عليك ياعزيزي .

— وبماذا أهون على نفسي ، وأنا أعرف أنني سأقع في مشكلة أخرى ... لا بد أن
تفهمني ياكمال إذا أنت فهمت الحكاية التي سمعتها مني ، وتوقع مني سلسلة
الخطأ لاتنقطع ففهمت حينذاك ماذا قصد بتلك الحكاية ، ولكنني اشفتت عليه أن
أخبره بما جال بخاطري .

وكان يترع كاسه (بالعرق) بفتح . وفجأة قال لي :

— لاتحتقرني ياكمال ، فمدي طفلة وليس عندي من يوعاها من أهلي أو اقاربي ،
ثم كيف أعيش وحدي ، ومن يتزوجني وأنا مطلق ، ولا أظنني أستطيع أن أربي
الزوجة . ويكي صديقي الدكتور (ن) بصمت وهو يندحني على الطاولة ويقبض بكتفا
يده على الكاس التي أفرغها توأ في جوفه ثم رفع رأسه وقال كمن يخاطب نفسه :
— لن يتالم على وفاتي إلا اختي (س) (واستترك يقول) وأنت أيضاً ياكمال .
فقلت له :

— أنت تضخم الأمور وتبالغ في تفاصيلها .

فقال لي :

— بل أن أموري عندي لي وهي تلح لي تحطيمي ياكمال .

وخابرنا المطعم بعد ساعتين وأنا أحمل هم هذا الصديق العزيز ، ولزم الصمت
وأنا أسوق سيارتي وأخيراً قال لي وهو يترجل عنها .

— قد لاتراني بعد اليوم ياكمال .

فقلت له :

— ماذا تعني ؟

فلمس مني ظلوني السيئة بما قاله فقال بعد صمت قليل :

— الأفضل أن لأجىء الى بغداد بعد اليوم .

مرض هريس زوستر / ١٩٦٤

أصبحت حين كنت في لندن في صيف ١٩٦٤ بمرض يسمى (هريس زوستر) ،
وحكايته معي تستحق الذكر لأسباب منها شخصية كما هي درس في ممارسة الطب ،

كنت اسكن في (رولاند هاوس) بلندن من ايام شهر تموز ١٩٦٤ ، وقد استيقظت على وخز في جنبي الايسر بناحية الورك او فوقه قليلاً ، وتحملت الالم طيلة النهار غير انه كان يشتد شيئاً فشيئاً وما حل المساء حتى ازداد وانتشر الى امام جسمي والى خلفه من منطقة محزمي ، فاضطرت الى تناول اخف المسكنات وهو الاسبرين وهو من الالوية التي استطيع شراؤها من الصيدليات بلندن من غير وصفة طبية ، واشتد الالم في مساء ذلك اليوم حتى صرت احس به ينفذ الى نخاع عظام الورك ، وانتظرت الصباح على مضض ، واعرف ان الاستشارة الطبية لانتيسر في لندن الا بموعد سابق ، وشكواي مفاجئة وحاولت ان اجد طبيباً يستقبلني عن طريق مدير رولاند هاوس السيد يوسف شملوب وهو عراقي وفحصني هذا الطبيب باهتمام ، ونظر في عيني وهو يفرج فمه عن ابتسامة تعني التطمين ، وقال :

— لم اجد ما يدل على وجود ما يسبب الالم ، ولا بأس ان تستمر تناول اي مسكن للالم تحصل عليه .

وشكرته وانا لست مقتنعاً برأيه ، فالشكوى من الالم لا يستطيع كشفها الطبيب الفاحص في كل الحالات ، والمريض نفسه هو الوحيد الذي يقرر اي ألم يقاسيه ، وكان المي من هذه الشاكلة ، وخرجت من عيادة ذلك الطبيب وكان فحصه قد حرك ساكناً في جسمي اثار الماء في محزمي مما لا اتحمله وخصوصاً اذا حاولت ان اثني جذعي او الويه . وقد اصبت يوماً بمرض في انني كما اصبت يوماً بمرض في ضربي ، وكان الالم من كليهما شديداً مبرحاً إلا انه لم يكن من نوع ولا درجة هذا الالم الذي اقايسه في محزمي ، انه اشبه بمكواة حارة ملتصقة بجلدي تنفذ حرارتها كما تنفذ المسامير المعماة في لحمي وعظمي . وتناولت في تلك الليلة عدداً من جرعات الكوداين والمسكنات الاخرى دون حذر من مضاعفاتها التي تكون احياناً خطرة ، املاً بكسب الراحة بها ، ونمت قليلاً من الارهاق والالم لامن فعل المسكنات ، واستيقظت على ألم حاد في الجانب الايسر كانه من لسع الزنابير او الكي بالنار ، ونهضت من فراشي اداري حالتي بالمضي بين سريري ونافذة الغرفة ، وفي الصباح توجهت الى صديقي الاستاذ فكريكور في مستشفى همرسمث لينقلني مما انا فيه من الالام وعياني حمراوان من السهاد ، واهتم هذا الصديق بامري وتناول التلفون واتصل بشخص ما وهو يقول لي :

— هذه هي (الرجسترار) مس جونسون المسؤولة في العيادة الخارجية هذا اليوم ، كما سمعته يقول لها :

— معي الان زميل واستاذ بجامعة بغداد ، وقد حاضر في العام الماضي في هذه المستشفى عن الحالات الولادية في العراق ثم سكنت يستمع الى من يتكلم معه .

فقال :

— ولكن حالته طارئة وهو متالم .

وانهى حديثه في التلفون ، وطلب من ممرضة سوداء شعر رأسها صوفي متكبر
ان تقويني الى من سماها (مس جونسون) في العيادة الخارجية ، وهو يقول لي
اطمئن ستكون بايد امينة وسوف ترتاح منها .

وصرت من خلال كريستوفر متعرج لاقف امام سيدة يون الاربعين من العمر بشر
كستنائي كثيف ، ونشاط ملحوظ في عينيها ونطقها وحركاتها ، وعرضت عليها شكواي
قبل ان تسألني عنها ، وطلبت مني خلع ملابسني وطلبت من ممرضة تقف الى جاس
سرير الفحص الذي اجتمعت عليه ان تساعدني على ذلك ، وشرعت انا يون ان اكلها
بخلع سترتي ورباط عنقي ، وقميصي ، واعتقدت ان ذلك كاف لفحصي ، غير انها قالت
الفانيليا ايضاً والسروال .

ثم طلبت مني ان انهض واقف معتدلاً ، وصدت اصابعها وانزلت حزام سروالي
حتى اتضح شيء في هذه المنطقة ، ثم طلبت مني ان ابور نفسي ، وصمت بخفة محزنة
جسمي الذي تتأجج فيه نيران الامي ، ورأيتها تفرج شفثيها لتبتسم وقالت :
— هريس زوستر ، وهذه هي الفقاقيع التي بدأت تظهر على سطح الجلد وشرحت لي
ببساطة شكلها واعراض هذا المرض وسببه . وتناولت التلفون وكلمت صديقي الاستاذ
ماك ريكر وذكرت له اسم هذا المرض ، وانها وصفت لي نواء استعمله موضعياً على
الفقاقيع التي تبرز على سطح الجلد .

— هذا العلاج يخفف الالم اما بورة المرض فتأخذ مجراها وقد تطول شهراً او اكثر
وفي خلال ذلك تخف الالام لتتوقف اخيراً .
والتفتت المس جونسون تسألني :

— سمعت ما ذكرته للاستاذ ماك كريكور ؟ . ان الالام تخف يوماً بعد يوم ، ولا حاجة
لفحصك مرة اخرى .

وشكرتها وغادرت عيادتها وأنا شديد الامتنان منها ، وقد خف الالم على انه لم
يخف نهائياً إلا بعد اكثر من شهر . وفي آخر اسبوع من هذا الشهر كنت في بيروت في
طريقي الى بغداد . وقد بدأت اشعر بالام في ظهري لانتشبه نلك الالم الذي كان يحتمل
محزومي غير اني ظننته مضاعفة غير نادرة في مرض الهريس زوستر فاضطرت ان
استعمل العصا لاريح ظهري عندما امشي . ولاحظتني سيدة من اهل بجمون التقى

بها في كل سنة اكون فيها في هذه القرية ، واستغربت ان استعمل العصا ، فلما اخبرتها
الداعي الى ذلك وسببه ، قالت بأسف .
- الله في عونك ، هذا المرض نسميه في لبنان (إنطاق النار) ، اي حزام النار ، وقد
اصبت به يوماً ولن انسى ايامه التي نغضت حياتي ليلاً ونهاراً .. الله يكون في عونك .
ولعمري فان اللبنانيين قد اجادوا في تسمية هذا المرض ، وهو نطاق من النار كما
يشبهونه .

شيوعية متفكرة في مستشفى السامرائي / ١٩٦٤

في ظهر يوم ١٨ / ٤ / ١٩٦٤ اتصل بي تلفونياً مدير الامن العام السيد انور تامر
يقول : في مستشفى شيوعية نشطة اسمها (... الوسواس) ولايد من القبض
عليها ، فقلت له : ساستقصي وجودها في المستشفى واتصل بك . ونفت رئيسة
المرضات وجود مريضة في المستشفى بهذا الاسم . وبعد اقل من نصف ساعة دخل
غرفتي شخص بملابس مدنية وقال لي انه المعاون (خ) وانه مكلف بتفتيش غرف
المستشفى عن مريضة اسمها (... الوسواس) فاجبته ان ذلك لن يكون برضاي ،
وليس في المستشفى مريضة بهذا الاسم . وكان هذا الشخص مؤبداً فقال لي برجاء ان
اتصل بالمدير العام ، واتصلت بالمدير انور تامر فاذا هو يقول لي :
- لدينا معلومات مؤكدة ان المرأة التي نفتش عنها هي في مستشفى السامرائي
وسيصلك من يتعرف عليها ، اذا كانت قد انتحلت اسماً غير اسمها . (واصلت)
وهي شيوعية مراوغة فلا تكاد نقف على اثر لها حتى تختفي مستعينة بصبح شعرها
وانتحال اسم غير اسمها . وجاءني شخص ليتعرف على الشيوعية التي يفتش عنها .
- هل تعرفها اذا رأيتها ؟

فاجابني :

- كما اعرف نفسي في المرأة .

وارتأى ان يتلصص لرؤيتها من خلال نافذة الغرفة التي تقابل سريرها فشخصها
حالا ، وسحب نفسه عن الشباك وهو يقول بتعجب :

- ما اعظم قنبرتها على تغيير هيئتها !

وعاد الى غرفتي واخذ التلفون وكلم مدير الامن العام ، وبعد ان انصت قليلاً الى
المدير العام ، قنم الي ساعة التلفون ، وهو يقول لي :

- السيد المدير العام يكلمك :

— دكتور ، لابد من اخذ هذه المرأة للاستجواب .

— ولكنها في اليوم الثاني بعد العملية التي اجريت عليها فلننتظر يومين اخرين رجاء . على انه لامانع عندي ، ان تقام عليها حراسة من قبلكم ان رأيتم ذلك ، وبعد ثلاثة ايام اخذت هذه المريضة بسيارة شرطة الى مكان لأعرفه ، وقبل ان تتحرك السيارة لوحث لي هذه المرأة بيدها علامة الامتنان والتوديع .

وفي صيف السنة نفسها بينما كنت اتسكع في شارع اكسفورد بلندن واذا بزوجها الدكتور (شريف ...) امامي وجهاً لوجه ، وحياني بترحيب حار وهو يشكرني على موقعي مع زوجته حين كانت في مستشفى السامرائي ، فقلت له بتواضع : هذا هو السلوك المهني ولم اعمل اكثر من ذلك ودعاني بالحاح الى تناول الغداء معه فاستجبت له مجاملة .

على ظهر الباخرة ازونيا / ١٩٦٤

هذه الباخرة من اجمل البواخر الايطالية التي تمخر البحر بين بيروت وفرنسيا ، ففيها كل مايربح المسافرين في تلك حوض سباحة وسينما ، والسفر عليها بدرجتين ، وحين علمت ان الفرق بينهما من حيث سعة (القماير) والخدمات الاخرى غير كبير بالنسبة الى اجر الدرجتين ، لذلك سافرت مع زوجتي وينثي ولدي عليها في الدرجة الثانية ، وكان المسافرون عليها والمودعون على رصيف الميناء جمع غفير ، وحين اقلعت عن رصيف الميناء بدت لي ، وكأنها جزء اقتطع من الارض الواسعة التي انفصلت عنها ، وصار من على ظهرها يتجمعون على حافة سطحها ليلقوا نظراتهم الاخيرة على المودعين المزدحمين بلا نظام على ارض الميناء ، ولما ابتعدت الباخرة في البحر انفرط عقد المسافرين وصاروا يتحركون في كل اتجاه وكانهم ملزمون باداء هذه الحركة . وسطح الباخرة ميدان فسيح ينطلق اليه المسافرون على مدار ساعات النهار وخصوصاً في الساعات التي تسبق تناول الغداء ، ويستلقي بعضهم على كراسي طويلة وطيئة وعيونهم مغمضة او نصف مغمضة ، او يقرأون الكتب بينما الاطفال يلعبون بنشاط بالكرات المطاطية الملونة ، وآخرون يهربون من قبضة نوبيهم فتهرع الامهات وراهم وقد اجتذب انتباهي في يوم اقلاع الباخرة شاب يدعى عيديه بمويذات داكنة وهو يفتح كتاباً بين يديه وقد استلقى بتراخ على كرسي طويل ، ولا أظنه كان يقرأ في كتابه بتركيز ، واكثر الاحتمال ان هذا الشاب كان اعزياً ، فعيناه تلاحقان كل النساء اللاتي يعبرن نون اهتمام ، كما لم ار معه امرأة طوال ساعات ذلك اليوم وعلى مقربة من هذا الشاب شيخ وامرأة في مثل عمره ، وفي يد كل منهما كتاب يقرأ فيه بتركيز ، وكانهما في

ماتم ، هذان زوج وزوجة بالتأكيد وقد يكونا في عيد زواجهما الستين ، وعدت بلا ارادة مني انظر الى ذلك الشاب الذي يغطي عينيه بالعوينات الداكنة . وكان يرتدي قميصاً من حرير منقوشاً بالوان متضاربة مضرب تدس ومفتاح كبير من طراز قديم ، وارقام ، وحروف لاتينية لم ار فيما بين جميعها رابطة . كما كان شعره طويلاً يصل الى اعلى كتفه .

ومرت من امامي سيدة في العقد الثالث من عمرها ، تغطي بعض صدرها وردفها (بمايو) سباحة بلون البحر ، وتضع على عينيها عوينات داكنة ، وسحبت كرسياً واستلقت عليه ، وبسطلت منشفتها التي تنضح بالماء على طرف كرسيتها العالي ، وهزت رأسها مرتين او ثلاثاً لتنتثر ما بين شعرها من ماء لابد انه كان من ماء مسبح السفينة الذي كانت فيه . ثم اخرجت من حقيبة يدها علبة بلاستيكية فتحتها وغمست فيها اطراف اناملها واخرجتها ملطخة بزيت تخين وشرعت تدهن جسمها باناة واهتمام ، واعادت العلبة الى داخل حقيبتها التي وضعتها على سطح الباخرة قريباً من متناول يدها . ورأيتها تقراخى بتنهيد وهي تبسط رجليها على امتداد كرسيتها الطويل ، وترفع يديها وتمدها الى اعلى وتعقددهما فوق شعر رأسها . وفي هذه اللحظات ظهر امامي ذلك الشاب وقد لف حول رقبتة شالاً عنابي اللون ، ثم خطا امام تلك الشابة وتعداها ثم عاد ومَرَّ امامها مرة اخرى ثم غاب عن ناصري ، بينما كانت الشابة ما زالت على كرسيتها وهي تتطلع الى البحر حين تقدمت منها امرأة بدينة في نحو الاربعين من العمر . فانتهبت الشابة اليها وادارت رأسها نحوها ، وتبادلت معها بضع كلمات بغير اللغة العربية ، واخرجت من حقيبتها شيئاً فتناولته المرأة البدينة وغادرت الى داخل الباخرة . ورأيت ذلك الشاب المتأنق يتقدم من الشابة ويديه قدح من البيرة ، وابطأ حين صار حذاءها وسمعته يسألها بالانكليزية .

— هل سبحت ؟

فادارت رأسها اليه بشيء من الاستغراب والامتعاض ، فبدأ لي ان ليس بينهما تعارف سابق ، ولم تجبه على سؤاله ، وعادت تتطلع الى البحر وهي تتجاهل موقفه منها . وسألها الشاب وهو يشير بالقدح الذي بيده .

— تشربين ؟

فاجابته بملل واقتضاب :

— لاشكراً .

وسألها مرة اخرى :

— الى فرنسا ؟

ولم تجبه . وقد تكون عدت سؤاله سخفاً فالباخرة لاترسو إلا في فنسيا ، وهي محطتها الأخيرة .

وسألها :

— ايطالية ؟

— لاعربية .

— وانا ايضاً عربي من الكويت (ثم استطرد) هذا موسم المعارض في فنسيا ومن الصعب الحصول على غرفة في اي فندق مالم تكوني قد حجزت عليها مسبقاً .
— زوجي ينتظرنى في المرفأ .

وكان جوابها هذا لطمة على الخد ، ومع ذلك ظل هذا الشاب اللحوح واقفاً في مكانه لحظات ، وفجأة قذف كأسه في البحر بفضب ولم يكن قد اتى على آخرها . وانسحب الى داخل الباخرة . اما هذه الشابة فبقيت على كرسيها وكأنها لم تسمع سفاهة هذا الشاب الوقح .

•• •• ••

وفي لحظات تالية سمعت خطوات بطيئة وصريير عربة خافت ، كان ثمة رجل في العقد الرابع من العمر ، يدفع امامه عربة تملأ مقعدها فتاة في مطلع الصبا وهي تخفض رأسها حتى ليمش ذقنها اعلى صدرها ، كما كانت تترك يديها متدليتين الى جانب العربة وكانهما قد ربطتا الى كتفيتها بخيط ، وكان الرجل يكلمها باللغة الانكليزية ثم رأيت الرجل يتوقف في مكانه ليمسح اللعاب الذي تساقط من زاويتي فمها الى حنكها وصدرها ، ثم عاد يدفع العربة برفق . وتحاول الصبية ان ترفع ساقيها الملفوفتين بجورب من جلد فتمجز فتسقط الساقان على عتبة العربة . وتوقف الرجل قريباً مني ، ومدّ يمينه ورفع حنك الصبية وهو يقول لها شيئاً بحنان وصيوعة . وفكرت اتسائل : هذا الرجل هو باحتمال كبير ابوها ، فاين امها ؟ في المقصورة او متوفاة او مطلقة ؟ . وعاد هذا الرجل يدفع عربة الصبية حتى صارت بحذاء الشابة فصارتا موضع مقارنة غلبتني عن تجاهلها : شابة تتمتع بكل ما وهبها الله من نظارة الشباب ومتع الحياة ، وطفلة حرمت من ابسط مقومات الحياة وهي النطق والحركة . وفجأة تذكرت تلك الشاب المتأنق وغير المؤتب وهو يملك خير ماوهب الله للانسان من ثراء وصحة انه لم يستغلها إلا لأطاييه وملذاته . وانتبهت الى ضريات الطبل تعلن للمسافرين على الباخرة ساعة وجبة الفداء . ويظهر ان تلك الصبية كانت تانس لتلك الضريات فخرج من فمها صوت ليس فيه معنى ولا نفماً مع شيء من تعبير غير واضح على وجهها ، فطرب لطربها ذلك الاب الحنون ياألهي انها حكمتك .

وقمت الى صالة الطعام كما فعل كل من كان على ظهر الباخرة سوى الرجل وصبيته الموقفة .



في مرفأ بيروت وقبل اقلاع الباخرة الى عرض البحر تعرفت بشكل سريع على شاب ألماني اسمه هيرمن يعمل في مطابع (مجلة العربي) ، واجتذب نظري ايهام يده اليسرى المقطوعة ولم اسأله عما حدث لابهامه ، انما وهو في حديثه عن مآكث الطباعة الألمانية المتطورة التي يعمل فيها في الكويت اشار الى دقة تلك المآكث وسرعتها واحتمال الاخطار من عدم الاحتياط منها ما يمكن ان تؤدي الى نتائج وخيمة على حياة من يعمل بها ، وازداد وهو يشير الى ابهامه : راقلها هذا الذي تراه في يدي ، واصبع الابهام في عملي هو نصف اليد بكاملها .

وحين دخلنا صالة الطعام كان ذلك الشاب الغرق يجلس الى جانب ذلك الرجل الألماني وهما يتبسطان بالحديث . فقررت ان اسأله في فرصة قادمة عن ذلك الشاب بدافع حب الاستطلاع لا غير ، وبينما كنت في مساء ذلك اليوم اتكئ على حاجز الباخرة تقفم مني الرجل الألماني (هرمن) ، وعاجلته بسؤال عن ذلك الشاب لذي كان الى جانبه في المطعم .

— تعرفه ؟ .

— اذرفه ، هو من البهبهانين في الكويت ، مثير كبير عن طريق كثير من الاعمال التجارية ووكالات المعامل الألمانية واليابانية .

ولم اذكر لهرمن تصرفات ذلك الشاب مع السيدة العربية ، غير اني قلت له .

— لم يبد لي رجل اعمال ناجح !!

فاجابني :

— على العكس ، هو من انشط تجار الكويت في اتصالاته مع التجار الاجانب (ثم

اضاف) هو صديقي وانا اعرفه جيداً ، وسأعرفك عليه ، وقلت له :

— لم ار معه عائلة .

فاجابني هازئاً باستنكار :

— متزوج ولكنه لا يسافر إلا وحده .

وقلت له باستغراب :

— متزوج ؟

— مزواج مطلق ولا اعرف بزواجه إلا حين يطلق .

وصلنا فينيسيا عصراً ، وكان الوقت شديد المطر ، ولم اكن قد حجزت لنا مأوى

فيها ، وبمحض المصادفة مررت وأنا اسوق سيارتي بمكتب سياحة ، فاوقفتها قريباً منه ، وبعد مخاطبة تلفونية واحدة وجد لنا صاحب المكتب غرفتين بفندق متواضع نصل اليه بالجنودول ، اما سيارتي فكان علي ان اقودها الى كراج عبر مسلك ملتو لاصل الى الطابق الرابع في بناية سامقة في العلو ، ولم ار قبل ذلك اليوم (كراجاً) بهذه الهندسة ، وسقت سيارتي بحذر شديد صاعداً الى ذلك الطابق حيث اوقفتها الى جانب عدد غير قليل من السيارات كانت لوحات تسجيلها وتبعتها الى مدن غير ايطالية فعرفت انها لسياح جاؤوا الى هذه المدينة ، ثم انحدرت بواسطة (مصعد) الى ارض الكراج . وتقدمت من حانوت صغير الى جانب هذا الكراج لاشترى علبة سكاير وكان صاحب هذا الحانوت شيخاً طاعناً في السن ، وحين قدم لي علبة السكاير التي طلبتها اخرجت له من جيبي ورقة مالية بفئة المائتين لير ايطالي ، وعلبة السكاير بمائة وخمسين ليراً ، فقال لي بانكليزية ركيكة .

— ليس عندي (فئة) .

فقلت له :

— وأنا ايضاً ليس عندي اصغر من هذه الفئة .

فقال لي :

— اشتر شيئاً آخر مني لنسوي المعاملة .

وكانت بيني وبينه خزانة عرض فيها شتى انواع المبيعات كسكين صغيرة ، ومبسم سكاره ، وخاتم وما الى ذلك ، فاخترت منها خاتماً من معدن وسخ وحجر يحتمل ان يكون العقيق الرخيص ، ووضعته حالاً في بنصر يدي اليسرى ، واخذت علبة السكاير وسلكت طريقي الى سوق المدينة ، وما تلى من حكاية هذا الخاتم امر غريب وربما يكون مضحكاً . إذ لم اصل الى بغداد والخاتم باصبعي إلا وصار ابيض ناصع البياض ، فقد يكون من الفضة او من معدن آخر غير ذي قيمة عالية . وفي بغداد اريت ان اعرف نوع الحجر الذي في هذا الخاتم ، فطلبت من مربية اولادي ان تاخذ الخاتم الى سوق الصاغة لتقيمه فقالوا لها انه من العقيق الرخيص وقيمه ليست اكثر من نصف دينار . وذات يوم زارني الجوهري (سيكال) الروسي اليهودي ، وكان الخاتم باصبعي فاريت ان اعرف منه قيمة الحجر الذي فيه ، فاجابني انه من نوع حجر (عين النمر) وسألته وكم تساوي قيمته فاجابني خمسون ديناراً بالاقل ، وهكذا كان الخاتم باصبع المربية بقيمة نصف دينار وباصبعي بخمسين ديناراً ولاعد الآن الى مدينة فينيسيا ، وهي اشهر مدن ايطاليا بعد العاصمة روما ،

وهي مدينة عريقة في القدم بالنسبة لتاريخ ايطاليا ، وعماراتها وبيوتها الخالصة في البحر ، وليس فيها شارع بري ، بل جميع شوارعها قنوات بحرية ، والتنقل فيها بالجنول ، وهو قارب طويل له خصوصياته الفريدة التي لا يقاربها اي قارب نموذجي إلا (المشحوف) المعروف في أهوار جنوب العراق وفي الجبايش بشكل خاص ، والفروق النوقية والفنية بين هذين القارين كبيرة وكثيرة .

وساحة (سانت ماركوس) في فينيسيا وما يطوف حولها من قصر النوق والكنيسة والخوانيت والمقاهي ، والعناصر الأخرى ، هي أبرز معالم هذه المدينة ، وحين يضرب المملوكان المعدنيان ناقوس الساحة الكبيرة التي تعلو سطح الكنيسة ترتفع رؤوس من في الساحة لترى السواعد المتينة تعلن بضرباتها مسيرة الزمن وقوة الانسان والحديد ، كما تطفئ ضرباتها على الموسيقى الناعمة التي لا تتوقف صادحة من جميع أركان الساحة التي تزدهم بروادها من السواح وهم يتناولون المبردات والخمر وكما تسرح في هذه الساعة طيور الحمام وهي منهكة في التقاط حبوب الذرة من أيدي السياح وما سقط منها على الأرض .

وكان القمر ليلة وصلنا فينيسيا بدرًا كاملاً ، ومد البحر في أعلاه ، وتمر الجندولات من تحت القناطر وعلى ظهورها عشاق المناظر الجميلة ، وهم يتضاحكون بملء صدورهم واشداقهم ، وفي وسط الساحة حين توقف المطر إيطالي أو غجري وهو يدلع قميصه ويضرب على كيتار ربطه إلى عنقه ، ويغني بايطالية لم أعجز عن فهم ما فيها من اللوعة والتودد . وكنت على قنطرة حين مرّ من بحبها حندول يجلس على فراشه الوثير النظيف فتى وفتاة متخاصران بتلاحم وكانهما شخص واحد ، وقلت لنفسي هذا هو الحب الحريء الصانع ، وتابعت مسيري حتى انتهيت إلى ساحل البحر بعد أن عبرت في طريقي إلى هذا المكان قنطرتين ، وكان قريباً من الأخيرة ثمة بائع فاكهة يعرض على عربته صنوف الأجاص والكمثرى والخوخ ، فتذكرت بائع الفاكهة الفرنسي بباريس الذي إتهمته بالتحايل في ماباعه لنا وكان أجدي أن يتهم هذا الفاكهاني الإيطالي لذلك الفرنسي - العربي .

وعدت إراجي إلى ساحة سانت ماركوس ، ومرت في هذه الساحة بامرأة في الأربعين أو أكثر وهي تنادي بأعلى صوتها .

— ميشيل ، ميشيل ولم أعرف على من كانت تنادي ، وظننت من الاسم أنها وراء طفل أو شاب بهذا الاسم ، ودفعني حب الاستطلاع إلى أن أعرف ذلك ، ثم رأيته تحت الخطى حتى إقتربت من فتى وفتاة كانا يتخاطران ويمشيان بتؤدة ، وكانت الفتاة طويلة القامة منكوشة الشعر ، أما الفتى فكان على الضد منها قصير القامة مملوء

البدن وشعر رأسه يطول حتى يضرب أعلى كتفيه ، وحين وصلت المرأة اليهما رفعت يدها ولطمت قفا الفتاة ، ويبدو ان هذه الفتاة كانت سائرة في حديث مع فتاة فلم تسمع من كان يناديها ، فادارت وجهها لترى من لطمها ، واذا بالمرأة تبصق في وجهها ، فلم تنبس الفتاة بكلمة او حركة ، ولا امالت وجهها لتتفادى ضربات المرأة ، واستدارت هذه المرأة بعد ذلك راجعة ابراجها ، ولم تستدر هذه المرأة لتتولى الفتاة إلا بعد ان وصلت الى كرسي في مقهى على حافة ساحة سانت ماركوس . اما الفتاة فقد تبعت هذه المرأة بخطوات بطيئة وعلى وجهها علامات الخجل والتذمر ، اما الفتى فظل في مكانه واقفاً وكل ما فعله ان لمس يديه في جيبي سرواله وهو يرنو باهتاً الى فتاته وهي تخطو وراء المرأة . وحسبت ان هذه المرأة هي ام تلك الفتاة التي بصقت في وجهها ، وان ذلك الفتى هو صديق الفتاة على غير رضى امها . واخيراً نبذت التفكير فيما حصل بين المرأة والفتاة ، ولكني بدأت اركز على هيئة الفتى بون ارادة مني ، فكان شاباً لايفري اي فتاة بالزلل ، وكان ملبسه باللوان متنافرة وكان حذاؤه قديراً ، ووجهه كوجه الحصان ، اما هي فكانت باي حال افضل منه قيافة وهنداماً ، وقلت لنفسي قد تكون هذه الفتاة في زلتها الاولى ، وعمرها المبكر فريسة لاغراء هذا الشاب الوقح .



وزرت قصر الدوق في فينيسيا والسجن المشهور الذي قضى فيه الشاعر الانكليزي (بايرون) ليلة بطولها ليستوحي منها مايقاسيه مساجين هذا المحبس الرهيب ، وتطلعت من خلال الفتحة الصغيرة التي يقف عندها السجين في طريقه الى المصقلة فيلقي منها آخر نظرة على الحياة قبل ان يفارقها لقطع رقبته .

وطفت باسواق فينيسيا وجميعها تنفذ الى ساحة سانت ماركوس وقطعت سوقها الطويل حيث تباع الاعمال الخزفية والزجاجية وما الى ذلك من الاعمال اليدوية ، وقد رأيت بعضها تستحق الاقتناء . وعند إحدى القناطر الذي يقاطعها ذلك السوق يجلس رجل متقدم في العمر على كرسي صغير بلا متكأ والى جانبه قطع من الخشب الابيض ، وبين قدميه مجموعة من الصور ، وكان وقتئذ يعمل في خشبة ليصنع منها تمثال حصان جامع على صورة له بسطها على ركبتيه اليسرى ، وقد اوقفتني ضربات هذا الرجل بسكينة في الخشب فلا يخطئ في ابراز مايريد عليها ، وفهمت بون ان اسأله انه يعيش على ممارسة هذه الصناعة ، وصناعته راجعة بين السياح ، وخصوصاً الامريكان منهم ، وانا شخصياً احب اقتناء التماثيل الخشبية واحسبها لا تزال حية كما كانت ساعة اقتطعت من شجرتها المورقة ، على عكس نظرتي للتماثيل البرونزية او المرمية التي اراها جامدة بلا حياة ، وسمح لي هذا الرجل ان اطلع على مجموعة

الصور التي يعمل عليها تماثيله الخشبية ، قاخترت واحدة منها كانت تمثل صياداً يقرب طريقه بين الاشجار الكثيفة ، وهو يتكىء على ماسورة بندقيته ورجله اليسرى مرفوعة على صخرة الى جانبه . والى الجانب الايمن من هذا الصياد كلبه وهو يتخذ موقف سيده الصياد نفسه ، ويمزid من اليقظة ليسمع طلق ناره والهدف الذي تصله القذيفة .

وقد اعجبني ايما اعجاب التوافق التام بين نظرة الرجل ونظرة كلبه بتركيز الى امام ، وسألت الرجل ان كان في وسعه ان ينحت لهذه الصورة تماثلاً من اخشابيه ، وربما حسب انني اتحداه بهذا الطلب لما في الصورة من دقيق اللمسات التي صنعها المصور فاجابني باعتداد وهو يستعين باصابعه و ببعض الكلمات الانكليزية .
— اليوم جمعة ، غداً السبت ، يوم الاحد في الساعة العاشرة صباحاً يكون التمثال الذي تريده جاهزاً .

ولما قلت له : يوم الاحد عطلة ، قال لي وهو يبتسم ليؤكد لي انه لم يخطيء قال :
— يوم الاحد يكون التمثال جاهزاً وسألته وانا افرك ابهامي وسبابتي امام عينيه .
— بكم ؟

فاخذ من الارض خشبة بيضاء وكتب عليها رقم ٢٥٠٠ ، وعرفت انه يقصد ٢٥٠٠ لير ايطالي ، وحسبت هذا المبلغ بالعملة الانكليزية فاذا هو اكثر قليلاً من ستة باونات اما أرخصه ودفعت له هذا المبلغ ، وجئت اليه في ظهر يوم الاحد فاذا التمثال الى جانبه على الارض ، وهذا التمثال منذ وصلت بغداد حتى هذا اليوم يزين مكتبتي ولم اشبع من النظر اليه بعد .
ويعد يومين في فينيسيا غادرتها الى سويسرا .

بين ايطاليا وسويسرا / ١٩٦٤

في يوم ١٤/٨/١٩٦٤ غادرت ايطاليا الى سويسرا ، وكانت فاتحة هذا الطريق مرتفع جبلي عالٍ ، فتحركت بافكاري ذكرى ما اصابني يوم عبرت الطريق الى وادي شعيب بالاردن .. ولكل مرتفع في الطرق ينخفض مثله او اكثر في العمق ، وكلاهما يخيفانني . والطريق الذي سلكته الى سويسرا يصل الى علو ٢٠٤٩ قدماً . وعرفت من الخارطة ان معبر (اندرمان) الذي قصدته لاصل الى قرية اندرمان هو من المعابر الجبلية الشهيرة في اوروبا الوسطى . وبدأ الطريق يرتفع ويتلوّى ، وعبرت جسوراً وانفاقاً ، ثم مرّ الطريق محاذياً لحافة جبل يحد قاعدته سياج وقائي ، ومن جانبه

الآخر واد سحيق لا يستبان قمرة بسبب الضباب الكثيف الذي يكسوه . ومن بين فتحات في هذا الضباب تظهر ثم تختفي عني بعض الاكواخ التي تحيط ببعض (لوكانو) وكان نلك كأنه لوحة مرسومة على جدار مائل ، غير أن خولي من السياحة على هذا الطريق كان يحرمني من التمتع بالنظر الى جمال حافات تلك البحيرة . على ان منظر تلك الاكواخ يستوفها القرميدية قد اكسبني بعض الطمأنينة لما فيها من معنى الاقتراب من قاع الوادي حيث يستقيم الطريق . ثم انمطف الطريق على عكر اتجاهه الى منحدر اوطن . فرأيت حينذاك عقد السيارات الطويل يدب امامي على مهل وحذر كأنه سرب من النمل ، وفوجئت بمنحدر بين تلتين عاليتين تغطي سفحيهما الثلوج التي أخذت الى حد ما لون السماء حتى كاد يندم الفاصل بين اللونين في اعالي كتل الثلوج التي تغطي التلول . ثم عبرت منعطفاً حاداً فاذا انا على مشارف (اندرمان) .

كانت السيارات على الطريق تشبه خيطاً من النمل المحافظ على استقامه مسيرته ، ومررت بسطوحية تقف عليها بضع سيارات ، فاغراني موقفها بان استريح فيها قليلاً ، ولم اجد احداً من راكبيه من يرغب بالتحدث الي . لقد كنا آنذ جميعاً متمبين ولا يريحنا الا الوصول الى (اندرمان) القابعة على خد هذا الجبل العالي الذي نسبح عليه . وتابعت مسيرتي لانحدر الى منخفض بين تلتين تغطيهما الاشجار المكللة بكتل الثلوج . التي امتصت لون السماء فصارت بلون خفيف من الزرقة . ثم جابهني منعطف حاد كان لحسن حظي قليل الانحدار ظهرت في آخره معالم (اندرمان) وما فيها من الاكواخ القرميدية السقوف . وهذه المدينة محطة للصانحين يرتاحون فيها قليلاً او كثيراً من الوقت بعد العناء الثقيل من عبور الطريق الطويل اليها ، وتحفرت للوقوف في هذه المدينة لاربع اعصابي المشدولة . فواقفت سيارتي في ساحة كانت فيها بعض السيارات وقد غطت سقوفها الثلوج ، كانت الطرقات وسطوح بيوت هذه المدينة ، وقبعات واكتاف السابلة في طرقاتها تغطيها الثلوج ايضاً ، علماً باننا كنا وقتئذ في منتصف شهر آب ، اللهب كما يدعى في العراق ، توجلنا من السيارة واسرعنا الخطى الى مقهى قريب من باحة السيارات .

وكان عدد مدخل المقهى بقالة تدبرها سيدة طاعنة في العمر ، كما كان في حالتها وفوف وضعت عليها انواع الحلوى والسكريات والحاجيات البيتية ، ودخلنا المقهى فاذا هو صليح ليس فيه اكثر من بضع مناخذ ، وعند مدخله تكف شابة وراء منضدة رفيعة طويلة ، وعلى طرفها الايمن آلة حساب ، وخلف هذه المنضدة بضمة وفوف عليها

مختلف القناني تشف عن محتوياتها ذات الالوان المختلفة ، كما كان على جانبها الآخر كؤوس واكواب . وعلى الطرف البعيد من هذا الجانب ألتان ضخمتان عرفت انهما لتحضير القهوة والشاي . وكانت جدران المقهى مغلقة بالخشب الذي لعبت به يد الفنان فظهرت عروقه بذوق وتناسق ، كما ثبتت على هذه الجدران انواع من رؤوس الطرائد التي تصطاد من غابات هذه المنطقة ، وكانت الفرلان هي الغالبة من رؤوس هذه الطرائد المحدثه . واخذنا مكاناً في هذا المقهى يشرف على غابة يقل ارتفاع اشجارها شيئاً فشيئاً حتى ينتهي بوابٍ سحيق . كان داخل المقهى دافئاً ، اما خارجه فقد كان شديد البرودة قارساً ، وما ارتحت في مكاني الهائي النظر الى صورة زيتية كبيرة تزين جانباً كبيراً من جدار المقهى ، فاطلت النظر ابرس الوانها والتوافق فيما حوته من الجو السويسري البهيج ، كانت هذه الصورة تمثل عربة يجرها جوادان جامحان ، فرزعت لهما ثلاثة ابقار كانت تقطع تلاً من الثلج الى جانب طريق العربة ، فخرجت احد البقرات عن طريق اخواتها ودخلت الطريق المعبد الذي تسير عليه العربة ، فرلفت اطرافها الامامية وكبت خائفة على الارض فيما تقدمت البقرتان الاخريتان في مسيرتهما وهما تزلوان بعيونهما الواسعة الى بنت جنسها وهي البقرة الشاردة . لقد نجح المصور في ابراز الحس الغريزي عند هذه الحيوانات البهيمة ، في الفزع الذي ركب الشاردة منها والتعاطف من اختيها عليها ، ولما اكتفيت من النظر الى هذه اللوحة البديعة تلفت لاعرف مكان المرافق الصحية في هذا المقهى فعرفتها بسهولة من اللافة الصغيرة المرفوعة على بابها . فقامت اليها وغسلت يدي ووجهي بالماء الدافئ المنعش الذي بدا لي شديد الحرارة لما احسست به من البرد قبل ان ادخل المقهى . وتقدمت من طاولتنا صبية باسمة باكواب القهوة باللبن والبخار يتصاعد منها ، والتفتت وهي مازالت في مكانها ، ومدت يدها ورفعت عن طاولة قريبة منها سلة عامرة بالمعجنات وهي تقول لنا : تفضلوا ، قالت تلك بالفرنسية وكان ميسوراً ان افهمها بلغتي العربية . وأنا اسال نفسي : ترى من الذي اخترع اول مقهى ؟ من الذي كان اول من فكر ان يستحدث مكاناً يجتمع فيه الناس بعد الانتهاء من اعمالهم ليتباحثوا في امور حياتهم وما بينهم من شؤون وعلاقات ، ويتباثروا باللطائف ليريحوا انفسهم ويستمدوا هواهم الى اعمالهم من جديد . وقطعت تفكيري لاسال الانسة الحساب من فضلك يا آنسة ؟ . ونقدتها ماطلبتة مني ، واحببت ان انفع هذه الصبية زهاء نصف مانقدته لها زيادة على ماطلبتة مني ، وما كدنا ننهض لنفابر مكاننا حتى قالت لي :

— الخدمة ياسيدي ؟ .

وسألتها :

— كم الخدمة يا أنستي ؟

فاجابتنني ،

— عشرة بالمائة ياسيدي .

وسالتهن وكم حساب هذه النسبة ؟

فاجابتنني

— خمسة فرنكات .

ونقدتهن ما طلبته مني ، وكنت كما قلت قد وضعت امامها على طاولتنا اكثر من هذا المبلغ ، ولكن يبدو ان اجر الخدمة فريضة ، اما ما تبرعت به فكرم ، وهما امران في نظر الانسة مختلفان وبدا لي هذا الامر خلواً من الرقة ولا يتناسب مع شكل هذه الصبية ، وقد يكون اكثر تناسباً لو كان موظف الحساب رجلاً لا صبية إنن لكان ذلك اكثر تناسباً مع طلب المزيد على ما صنعت .

وعدت الى سيارتي ، وكان الثلج قد غطى زجاجها الامامي وسقفها ، ثم ابرن ماكنتها فذاب الثلج عن زجاجها بعد دقيقة ، وقدتها لترتقي الطريق ، وقطع اهتمامي بسياسة السيارة التفكير في المقهى الصغير الذي تناولنا فيه القهوة ، وما كان فيه ومن كان فيه بالمقارنة الى ما عندنا في العراق من المقاهي . وبعد بضعة كيلو مترات مررت عند منعطف الطريق الى اليمين حطام سيارة رفعت عليها لافتة كتب عليها بالانكليزية والالمانية والفرنسية عبارة (الحذر ثم الحذر ولا فهذه هي النتيجة) وقد تكون هذه الطريقة ناجحة لتنبه سائقي السيارات اثناء صعود المعابر العالية او النزول عنها ، ولكنها كانت لي مخيفة اشد الخوف ، طالما انها توحي لي باحتمال هذه النتيجة لكل سائق ، ومنهم انا القليل الخبرة في السيادة في هذه البلاد الجبلية ، وسرعان ما تبخر عني هذا التفكير المخيف لحظة شاهدت سيدة طاعنة في السن الى جانب رجل مثلها او اكبر منها وهي تسوق سيارتها بسرعة فاقت السرعة التي اسوق بها سيارتي ويكثر من الثقة والاطمئنان ، بينما كنت انا امسك بمقود سيارتي بيدي الدبقتين ، وباعصاب مشدودة ، وصدري ملدفع الى امام لاستجيب بلوحة مفاتيح السيارة لدفع عني الخوف والمخاطر .

بدأت السيارة ترتفع وترتفع ، وقابلتنني سيارة او سيارتان تفتحان ضوءاهما الواطئان ان ، فعلمت ان ذلك اشارة الي لافتح ضياء سيارتي الواطيء خوفا ان لا تراها السيارات التي تعبرني على الطريق . ووصلت الى قمة الجبل لا قطعته الى الجانب الاخر منه لياخذني منحدر الى مدينة (لوكانو) . ولم ار على ارض تلك القمة شجراً او صخراً اذ كانت جميعها مكسوة بالثلج الكثيفة ، كل شيء كان مغطى بالثلج إلا

م ساحل بوالهب السيارات فقد بدت حالكة السواد على الطريق المعبدة بالاسفلت .
وسالت نفسي ان هذا الطريق يغطى بالتلج اثناء الليل فكيف بأول سيارة تقتحم هذا
الطريق صاعدة او نازلة ؟ وفجأة جالني الجواب حين لاحظت جرّافة ضخمة تقف على
سطحية بجانب الطريق . وفجأة رأيتني اشرف على (لوكانو) ذات الموقع الخلاب
على الضفة الغربية لبحيرة لوكانو التي تشترك في حدودها كل من ايطالية وسويسرا ،
وكان اول فندق مررنا به بإسم (بوريتاج) اي الغربوس بالعربية ، فحططنا رحالنا
فيه ، وكانت غرفتي تطل على البحيرة التي تمتج بالقوارب البخارية والشراعية بالوانها
البهيجة ، وبالسائحين في مائها الصافي الرقراق ، من الرجال والنساء ، فيبدو الواحد
منهم يتلوى كما تتلوى السمكة حتى لا يسقط الى القاع ، كان هذا المكان فريوساً فعلاً ،
وكان من يصير ايامه فيه ليس له هم ولاغم ولاعمل ولامسؤولية إلا التمتع بمصعليات
هذه الطبيعة السخية ، ومز ناظري حين طلعت الى فرندة غرفتي بشاب نو قيافة
حسنة وهندام لائق ، والى جانبه كتفاً الى كتف شابة بمثل عمره ليسا اكثر من
العشرين سنة ، وكانا يتهامسان ورأساهما يرتطمان الواحد بالآخر بتناسق مع
خطواتهما الراقصة ، ونزاعه يلف نزعها ، واصابعهما متشابكة . وجلب انتباهي هذا
الشاب ، وقلت لنفسى : انا اعرف هذا الشاب . انا متأكد اني اعرفه ، واني رأيت قبل
وقت قصير ولكن اين ؟ ومن هو ؟ ، وتابعته هذا الشاب بناظري حتى ابتعد هو ورفيقته
الشابة واختفيا بين الصابلة فنقلت ناظري الى حافة البحيرة القريب من فرندة
الفندق ، ومن هذا المكان رأيت رجلاً يتكا على سياج البحيرة ويبدو عصا طويلة مربوط
بآخرها خيط إنفمس طرفه الاخر في لجة البحيرة ، ولا بد ان هذا الخيط كان مربوطاً الى
(شص) لصيد السمك . ثم رأيت سيدة بمثل عمره تتقدم منه وقالت له شيئاً ، وردّ
عليها بون ان يلتفت اليها إذ انه قد بدأ يسحب خيطه من اعماق ماء البحيرة وظهرت
في نهايته سمكة تتخبط ففكها من الشص ورماها في سلة من الاعواد كانت الى جانبه ،
وعاد يهيم باعتناء شصه لصيد جديد . وفي هذه اللحظات ظهر لك الشاب ورفيقته
عائدين بمرح وتراخ ، وعدت اقول لنفسى : (أنا اعرف هذا الشاب بالتأكيد او اذا كنت
انا قد نسيت فهو سينكرني باحتمال كبير لو رأني ، وقد يكلمني ويرحب بي بحرارة لو
كانت معرفتي به قديمة ، وفجأة) انقطع حبل تفكيري بهذا الشاب حين ظهر على
مرح شاطيء البحيرة التي ارقبها رجل مسن رث الثياب . خلق الحذاء ، وبلحية
مهملة غطت معظم وجهه ، وجلس على مصطبة قريبة من الشاب الصياد ، ونضا عن
منكبه حقيبة من قماش باهت اللون ، واخرج منها لفة من الورق ظهرت من بين طياتها
بعض اوراق وزهور البنفسج ، ووضع هذه اللفة الى جانبه على المصطبة ، ثم اخرج من

الحقيقية لغة اخرى اكبر من اللغة الاولى ووضعها على ركبتيه وصار يفك طلايتها واحرج منها قطعة من الخبز واخرى من الجبن ، ثم اخرج من جيبه سكيناً صغيرة صار يقطع بها الجبن ، وشرع يضع من هذا الجبن في قطعة من الخبز ويدفعها الى ثمة ، ويلوكها بشهية ونهم . وعدت انظر الى السابلة فاذا انقطع سبيلهم عدت انظر الى الشاب المنهمك في صيد السمك ، وقد تقدمت منه في هذه الاثناء السيدة التي في مثل عمره ، فبدأ الشاب يلف خيوطه ويطوي عصاة صيده ، وحانت منه التفاتة الى المعجوز الذي كان يتناول غداءه من الخبز والجبن على المصطبة ، فادخل يده في السلة واخرج السمكة التي اصطادها لتوه من البحيرة ، وتقدم من تلك الشيخ ومد يده بالسمكة اليه وتباطأ المعجوز قبل ان ياخذها من يده ، ثم رأبته بعد ذلك ياخذها من يده وعلى فمه ابتسامة امتنان عميق . وادخل السمكة في حقيبته وفي عجلة افرد حزمة صغيرة من البنفسج التي كانت الى جانبه فوق المصطبة وتقدم من الشابة التي كانت ترقب الشاب حين اعطى السمكة الى المعجوز ، وقدم هذا المعجوز الباقية اليها بابتسامة خفيفة ، فتناولتها منه بوجه باس وتبادلا حديثاً قصيراً كان لا بد فيه شكر وامتنان متبادل بين الطرفين ، واظنني كنت غفوت بعد ذلك ثم صاحوت على نداء زوجتي لتناول الغداء ، وما ان جلست الى الطاولة التي خصصت لنا إلا وتقدم منا ذلك الشاب الذي شغل بالي حتى في الغفوة التي داهمتني على عجل حين كنت على كرسي طويل مريح اراقب منه ماعلى البحيرة وما على شاطئها من الناس ، وحملت في وجه ذلك الشاب الذي شرع يخدمنا على مائدة الغداء فاذا هو الشاب الذي كان مع تلك الشابة وكلاهما بهيئة غير ما كان عليها في هذه اللحظات .

إنكم يتغير الانسان بحسب ملبسه ؟
وبعد ثلاثة ايام اخذنا طريقنا الى النمسا .

في مدينة انزيورك

وصلنا هذه المدينة حين غابت الشمس وتكاثف الضباب في تلك الساعة ، فلم يتبين لي إلا الطريق الضيق الذي اسلكه بحذر . وكان همي ان اصل الى انزيورك لاعتذر باسرع وقت على فندق ناوي اليه ودخلت (فندق نيون) فاستقبلني شاب يقف وراء منضدة الاستعلامات الطويلة ، حنطلي البشرة ويأسرني يقول :

— تفضل ياسيدي !

قال باللغة الالمانية ، فاجبته بالانكليزية قائلاً :

— ارجو ان تساعدني ، ومعي أهلي واطفالي ، ولا اعرف مكاناً ابيت فيه هذه الليلة ، فاجبني بالانكليزية .

— آسف فليس في هذا الفندق الآن سرير شاغر .

وقطع حديثه معي ، والتفت الى رجل اعتقده امريكياً كان يعلق على كتفه آلة تصوير واعطى الشاب الذي وراء طاولة الاستعلامات مفتاح غرفة لذلك الرجل فاحصست كانه اعطاه الراحة والامان وتخيلت ان تلك الامريكي سيدخل حماماً ساخناً ثم فراشاً وثيراً . فقد كنت متعباً وتدور الارض تحت قدمي جراء سياقة سيارتي في طريق جبلي طويل زهاء ثماني ساعات متواصلة ، ولما انتهى تلك الشاب من تلك الامريكي اخذ يدير رقماً في قرص تلفون ، ويكلم احداً بالالمانية ، ثم سمعته يقول بالالمانية ايضاً شكراً ، وهي من الكلمات القليلة التي اعرفها من هذه اللغة ، وعاد يدير رقماً آخر في قرص التلفون ، وهكذا فعل ثلاث مرات اخرى ليجد لي غرفة لاوي اليها في هذه الليلة ، وكان أهلي لا يزالون في السيارة التي اوقفتها قرب باب هذا الفندق ، فلما استبطاوا عويتي اليهم ، جاء اليّ ابني محمد وسألني (طبياً بالعربية) فيما اذا كنت وجدت لهم غرفة في هذا الفندق ، فالتفت الي الشاب وسألني بالعربية بلهفة وتمجب . — انت عربي ؟ . فاجبته فرحاً :

— نعم انا عربي من العراق ، واسمي دكتور كمال السامرائي .

ومذّ يده من فوق طاولة الاستعلامات وصافحني وهو يقول :

— انا من الاردن ، من عمان واسمى (ملاذ المراغي) ، طالب جامعي فقلت له جذلاً :

— انت ملاذي يا اخي العربي .

وعاد الى التلفون يحاول ايجاد فندق لنا ، واخيراً توفق في ايجاد غرفة في (دار الطلبة) واخذ ورقة صفحية وكتب عليها عنوان هذه الدار وقال لي .

— الافضل ان تستاجر سيارة لتحملكم الى الدار ، فليس من السهل الوصول اليها في هذا الوقت (ثم اربف يسألني) عندك عملة نمساوية ؟ فاخرجت من جيبي (صكوك مسافرين) ، وصرف لي قدرأ منها من صندوق الفندق ، وعاد الى التلفون وطلب لي سيارة اجرة ، ولما وصلت السيارة الى الفندق اعطاه عنوان دار الطلبة ، والتفت نحوي وقال لي ساجينكم في صباح غد لآخذكم بسيارتي لتشاهدوا معالم المدينة . ودار الطلبة التي بخلتها بسبعة طوابق بادارة جامعة انزيرك كما تستعمل كذلك للسياح في فصل الصيف . وعمارة هذه الدار حسنة البناء وفي منتهى النظافة .

وكانها معمولة من العاج . بهو المدخل ، والمسالك والغرف والحمامات ، جميعها بمستوى عال وجاءني ملاذ في تمام الساعة العاشرة صباحاً وقال لي وهو يعتذر عن مشاركتنا في تناول القهوة ، سأخذكم الى مطعم على قمة جبل يشرف على كل انزويروك وما يحيط بها .

واخذنا بسيارته (الفولكس فاكن) يصعد طريقاً يتلوي ويتلوي حتى انتهى بقمة في اعلى هذا الجبل حيث اقيم عليها برج لدراسة الاحوال الجوية في المنطقة . وبدا لي نهر (الان) الذي يقسم المدينة الى قسمين شرقي وغربي ، مبسوطاً تحت انظارنا كما لو انه خط على صفحة خريطة ، قال لي ملاذ :

— ارتطمت احدى الطائرات الانكليزية في يوم غائم من شتاء السنة الماضية بقمة هذا الجبل وقتل جميع من كان فيها وعددهم اربعة وثمانون ، (واضاف) وقبل اربعة اشهر فقط استخلصت آخر جثة منهم من كتل الجليد التي انجمت فيها . ورأيت وأنا التفت يمينا وشمالاً جسراً بعيداً عنا يربط بين قمتي جبلين عاليتين ، فسألت ملاذاً عن ذلك الجسر مستوضحاً :

— ان ذلك الجسر عالي جداً !

فسألني باستغراب :

— الم تعبروا ذلك الجسر في طريقكم الى انزويروغ ؟

فلما نفيت ذلك قال :

— إنن انتم جئتم على الطريق القديم ، وهو طريق طويل متعب وخطر لكثرة مافيه من التعرجات ، والصعود والانحدارات (واضاف) ان اقامة هذا الجسر من مفاخر الهندسة النمساوية ومن اعظم مشيداتها . وقد استغرقت اقامته خمسة عشر عاماً ، وقتل اثناء تشييده خمسة عشر عاملاً ومهندساً واحداً . اما الحادث الذي وقع بعد استعمال الجسر فقد حدث قبل اشهر قليلة حيث قفز منه شاب الماني ، وقد وجد في جيب سترته ورقة كتب فيها (انه سلم الحياة بفضل التخلص منها بهذه الطريقة) . وحدث انظر الى ذلك الجسر مرة اخرى ، وركزت على طوله وارتفاعه فقلت للملاذ :

— انه شيء مخيف ان اسوق عليه سيارتي .

فاجابني :

— ولكنك حين تكون عليه لا ترى شيئاً مما حولك ولا ترى الارض ايضاً بسبب

الصهاج التي يحدد عرضه من الجانبين .

ونظرت الى ماتحت الجسر فلم يتوضح لي إلا رؤس الاشجار الباسقة التي تحاول

ان تصل الى مستوى الجسر غير انها تبقى بميدة عنه .

وكان موقع المطعم الذي قصدناه مختاراً بدقة ودراسة وهو في الحقيقة ليس على قمة الجبل بل منحدرأً عالياً من جهة الجنوب ليحتمي بها من ربح الشمال الباردة . اما ضلعا المطعم فيشرفان على جهات ثلاث يبدو ما فيها رائعاً لما فيها من الخضرة وحمرة قرميد سقوف البيوت ، وهذا هو البترول النمساوي النذ للبترول الالماني . واعجبني ان اسأل ملاذاً عن مستوى الممشية في هذا البلد الجميل فاجابني :
— بالنسبة الى جاراتها من سويسرا والمانيا وايطاليا هي رخيصة . وايطاليا بالذات في انهيار اقتصادي مخيف يقلق الحكومة النمساوية لما بينهما من علاقات تجارية (ثم اضاف) وانا اشارك في نشر بحث بهذا الموضوع ، وستكون الاطروحة لنيل شهادة البكالوريوس في الاقتصاد السياسي (ثم قال مستدركاً) كنت اميل ان اكون طبيباً لا اقتصادياً

فسألته :

— لماذا لم تدخل كلية الطب ؟

فاجابني :

— دخلت كلية الطب ثم فصلت منها في السنة الثانية .

وقدرت مع نفسي انه فصل بسبب رسوبه ، ولكنه قال :

— ان عميد كلية الطب كاثوليكي متمصب ، وحصل بينه وبين زملائي النمساويين

والاربيين خلاف عقائدي فاتهموني بالشيوعية .

كان ملاذ حلو التحدث لولا انه مهذار لايفتا يتكلم ويتكلم بون ان يترك لاحد

مجالاً للكلام ، كما كان يخلط موضوعاً بموضوع بون إعتبار ما بينهما من القباعد ،

ولكنه بشكل عام لم يكن مملاً . ثم فجأة سألتني :

— هل صحيح ان الحكومة العراقية امنت اكثر مشاريع القطاع الخاص ؟

فاجبت :

— انها امنت البنوك ، ومعامل السمنت ، والفزل والنسيج والسكرير .

فقال :

— في النمسا لاتوجد مؤسسة حكومية غير القطارات والكهرباء ورجال الاقتصاد

لها لا يؤمنون بالقطاع العام ، كما ان الثراء الالماني مبني على الثراء الفردي .

فتساءلت مع نفسي كيف يكون ملاذ شيوعياً وهو يذكر الاقتصاد الفردي بما

يشبه الثناء عليه ، فارتيت ان افهم الشيوعية ، فقد قرأت كتاب رأس المال لكارل

ماركس وعلى قدر ما فهمت منه انه كتاب فلسفي اكثر مما هو تطبيقي ، واذا ما بقيت في

نطاقه وهدفه فلن اجد فيه ما يناقض المنطق لحل كثير من مشاكل المجتمع المعاشية .

اما اذا تحللت من القيد اليه فسأتعثر في التفكير والتطبيق . فكثير من اصديقي الشيوعيين في العراق يقدمون لي سلسلة من البراهين على صلاحية المبادئ الشيوعية للتطبيق وهم يعتمدون في سردها على اقوال كارل ماركس ولينين وكأنها متون غير قابلة للنقص . وكثير من هذه الفئة حين تجد من يستمع اليها تبدأ حديثها بضرورة العدالة الاجتماعية ، وهذا ما تؤمن به كافة طبقات الشعب ثم يتباكون على حال الفقير وينقدون شرف الموسرين ، ومن هؤلاء الشيوعيين من هم في حال التخمة من الفنى الموروث والمكتسب ، ولم أجد احداً من هؤلاء من تقدم لنصرة الفقير ، او من يرحم مخدميه ولو بزيادة ضئيلة في مرتبة ، واذا تجرأت وذكرت لبعضهم ذلك قال : هي الفولة التي يجب ان تساعد الفقير ولاسبيل لمساعدته إلا بقرمطة مايملكه الفنى ليتساوى حاله بحال الفقير : كنت استذكر كل ذلك مع نفسي وانا انظر الى ملاذ ومع ذلك لم يفتني فهمه مما إستمر يتحدث به وغادرنا المطعم ، وكان سير السيارة على منحدرات الطريق المتعرج قد اخافني اكثر من سيرها صعوداً الى اعلى الجبل ، بينما كان ملاذ يقودها بمهارة وثقة استجذبت انتباهي ، فعبرت له عن اعجابي بسياقته ، وقد قلت ذلك بعد ان وصلنا شارع المدينة لاقبل ذلك .

واصر ملاذ ان يودعنا حين ازمعنا السفر الى (نيوشاتل) وكنت استعرت منه كتاباً في جغرافية النمسا ، وحين اعدت اليه الكتاب عند مفارقة انزبروك ، قال لي : — احتفظ بالكتاب وقد جئت به هدية اليك وعندي نسخة منه ، خذ فقد تدخل انزبروك عند عودتك ، ولا بد ان تتصل بي حينذاك ، واصر ان استبقي الكتاب معي ، ولما الحجت باخذه ، اخذه من يدي ولف به الى داخل سيارتي . لقد احبط ملاذ ما اريت ان اقدمه له كمربون تكريم اكثر مما هو مساعدة مالية ، وتناولت الكتيب من داخل السيارة واخرجت من بين صفحاته الشللات التي ودعتها فيما بينها وطويتها على بعضها ودسستها في جيب سترته ، فاذا هو يزعق ويرفض ياباء ورجولة وهو يقول :

— شكراً ، والعمل بالنيات ، ولنبقى اصدقاء يادكتور واخرج من جيبي بطاقته الشخصية وقدمها لي . وتعانقنا وتبادلنا عبارات التوديع واسرعت اقود سيارتي الى نيوشاتل ولحكاية ملاذ معي ، ذيل او نهاية فني (درعة) بالارن حين عدنا في طريقنا الى العراق ، كان موظف الكمارك بهذه القرية لطيفاً معي ومع اولادي ، فتجاذبنا اطراف الكلام ، ورأيت وفاء اورداً للجميل الذي اولاني به ملاذ ان اثنى عليه امام هذا الموظف ، فاذا هو ينتبه باهتمام حين ذكرت اسم ملاذ ، وقال :

— هو ابن عمي ، وكان طالباً ذكياً متفوقاً على اترابه في المدرسة فبعثته الملك حسين على حساب القصر ليدرس الطب في النمسا غير انه مع الاسف الشديد جرفه التيار الشيوعي فطردته المدرسة كما تخلى الملك عن مساعدته بتأثير كتاب كلية الطب الذي ارسلته الكلية الى الديوان الملكي بعمان . ولما قلت له انه الان في كلية الاقتصاد بنفس الجامعة ، نفى ذلك ، وقال بل انه يعمل في الدعاية لعدة شركات ومعامل وحالته المالية لا بأس بها .

الى نيو شاتل ويودري في سويسرا

وغابت انزيروك قاصداً نيو شاتل الواقعة على ساحل بحيرة نيو شاتل من جانبها الشرقي .. وسألت السابلة عن فندق ناوي اليه ، وبدأ الليل يسيل ظلامه ونحن نبحث عن ماوى ، واكثر من سألناهم او جميعهم يجيبوننا بمعنى واحد في غاية الاقتضاب — خارج هذه المدينة .

ولي هذه البلاد وبخاصة في البيوت التي على طرق السفر كثيراً ما ترفع على واجهاتها لافتة يكتب عليها كلمة (زمر) وهي دلالة على وجود غرفة يستأجرها السياح ليلة واحدة ثم يستأنفون مسيرتهم عند الصباح ، والبيوت في هذه المنطقة جميلة ونظيفة ، وذات طابع عائلي واجتماعي مريح ، ويترك السائح باب من رفع عليها كلمة (زمر) ، فيجد فيها غرفة مزودة بفراش مريح وحمام دافئ ، ويتناول في الصباح فطوره على مائدة شهية من البيض والزبد الطازج ، وحين يغادر الغرفة عند الصباح يقدم له صاحب البيت فاتورة اقل كثيراً مما يكلف الفندق المعتدل في المدن الكبيرة وفي نحو التاسعة ليلاً وصلنا الى قرية (بودري) ولم يتبين لي من هذه القرية في تلك الساعة من الليل إلا موقعها على حافة جبل الى يسارها ، وشاطئ البحيرة الى يمينها .

وطرقت باب احد تلك البيوتات التي ترفع على ناصيتها كلمة (زمر) وانفتح الباب عن شابة وكأنها على موعد معنا في تلك الساعة فاخذت من يدي الحقيقية التي احملها وقادتنا من خلال سلم لولبي الى الطابق الاعلى من بيتها ، ووضعت الحقيقية عند باب وهي تسألني : عشاء ؟ ، وكنت متعباً فشكرتها وانا اقول لها : افضل النوم على تناول العشاء ودفعت مفتاحاً اخرجته من حقيية يدها وانفرج الباب عن بهو صغير يطل على ما كان فيه من النوى في اثاثه البسيط على صغر مساحته . ثم اتجهت الى باب جانبي وفركت مقبضه ، وقالت وما تزال تمسك بمقبض الباب وتحيد بجسمها عنا لتحفظ الباب مفتوحاً لدخولنا وقالت وهي تبتسم :

— هذه حجرة (توم) ولدي ، وهو متعاون معنا لنستفيد منها في مثل هذه المناسبات .

وعلى يمين باب هذه الحجرة باب صغير فتحتته وهي تقول لنا :
— هذا هو الحمام ، بماء حار وماء بارد ، وفوط ومناشف دافئة .

كانت هذه الشابة تكلمنا باللغة الفرنسية ومع ذلك فهمنا ماكانت تريد ان تقول لنا ، وخصوصاً حين ارابت ان تعبر عن اسفها لما في الحجرة من قوضى ، وشكرناها بحرارة لابلغة الفرنسية بل بالإشارة ، وفي بعض الكلمات الانكليزية ، وقد بدت لنا انها فهمتنا . وسألتنا وهي تقف على عتبة الحجرة :

— من مصر ؟

— من بغداد ، العراق .

— أه بغداد ، عراق

— نعم من بغداد العراق

— اهلاً ومرحباً بكم

ودخلت انا وزوجتي هذه الغرفة ، سرير واحد صغير ، وسريران حشرا فيما بينهما وبين خزانة وضع عليها انواع واشكال من لعب الاطفال وبدا لي ان احد السريرين قد نقل مؤقتاً من غرفة اخرى الى هذه الغرفة ، كما ان اغطية السريرين مازالت تحتفظ بطياتها المنشأة وكأنها قد كويت لتوها ، ونمت تلك الليلة نوماً مريحاً هادئاً عميقاً واستيقظت في باكر الصباح على لفظ قريب من باب الحجرة ، كان اللفظ جدلاً بين سيدة هي الشابة صاحبة البيت وبين طفل قدرته بحدود الرابعة او الخامسة من عمره ، كانت هذه الشابة تكلم طفلها بدلال وتعلق ، وخف حديثهما شيئاً فشيئاً حتى انقطع ، وحاولت ان انام مرة اخرى فانقلبت على ظهري وفتحت عيني لا ارادياً فاذا انا ارى لعباً وكرة ارضية تتدلى من السقف كالتي يضعها اصحاب العمال على مكاتبهم الواسعة ، كما رأيت في ركن من الغرفة : تمثالاً لناب كبير وخلفه ثلاثة دبية اصفر منه . كان على واحد منها امارات المشاكسة فيما كان الاخران نؤي وداعة ومسالمة وعاد اللفظ بين الام وابنها يصلني ، واستهواني إصرار الطفل على ان تستمع امه لاسئلته ، وصرت اتخيل ان الام تدبر ظهره عن باب غرفتي ولكنه يدور ليواجه الباب مرة اخرى ، ويأبى ان يغير مكانه إلا بعد ان يعرف من احتل غرفته ، وامه تكلمه بهدوء وبصوت خافت ، وربما كانت تقول له :

— في الغرفة ضيوف ياعزيزي .

ويسألها :

— انها غرفتني .

— انها غرفتك بالتأكيد وسوف يهابونها هذا اليوم .

ويسألها :

— ومن هم هؤلاء الضيوف ؟

وتجيبه :

— من بلاد بعيدة جداً ، جداً

ويمود يسألها :

— ولماذا جاؤوا اليك ؟

— ويلج في الاسئلة بتكرار

— ومتى جاء هؤلاء الضيوف ؟

— كنت نائماً حين جاؤوا يا عزيزي

— وهل عندهم اولاد صفار مثلي ؟

وتطلب الام ان يخفض صوته فيقول لها :

— اجيبي أولاً ، هل عندهم اولاد صفار مثلي ؟

— عندهم اولاد صفار ولكنهم لايتأخرون عن الذهاب الى مدارسهم كما تفعل انت

الآن .

— هل لصفارهم لعب مثل ما عندي ؟

— بالتأكيد ، عندهم لعب مثلك عندك .

ويسألها بلهفة اريد ان اراهم يا أمي ؟

وتجيبه :

— ستراهم بعد عودتك من المدرسة .

وتابعت حديث الطفل مع امه حتى خفت ثم انقطع حين سمعت خطاه وخطى امه قد وصلت نهاية درجات السلم من مدخل البيت .. ونهضت من فراشي بتكاسل وتوجهت نحو النافذة الكبيرة التي تطل على حديقة خلفية صغيرة ، وكان النهار مشمساً رائعاً ، واوراق الاشجار وسقوف البيوت القرميدية مثلاً حياً في جمالها وتناسقها الطبيعي ، وانحدثت لانظر الى حديقة البيت فلم ار احداً فيها وقدرت ان الشابة صاحبة البيت لم تعد بعد من المدرسة التي اخذت ابنها اليها ، اما حديقة البيت الملاصقة فرأيت فيها سيدة انيقة ترفع كعبي قدميها وتمط قامتها وفي يديها قميص مبتل لتنشره على حبل الغسيل ، وعلى الارض قريباً منها طشت ملء بالملابس

المبجلة . وقد بانث لي هذه السيدة قصبة القامة لولا انني فطنت الى انني انظر اليها من علي ، ثم صارت تبدو اطول حين ابتعدت نحو جانب الحديقة المقابل .. وبفكرة طارئة طفت حول هذه العائلة التي اسكنها ، لم أر الزوجة بعد كما لو كنت اراها الان في وضح النهار ، ولم ار الزوج وقررت انه في مثل عمرها وقد غادر البيت مبكراً الى عمله ، ولا بد ان عمله يدوي لافكري إذ انني لم ار في البيت ما يمكن ان يسمى مكتبة ، ولا رأيت كتاباً واحداً على رفوف البهو الصغير الذي يفضي الى الغرفتين اللتين استأجرناهما ، فما هي ثقافته ؟ وهواياته ؟ هكذا تساملت مع نفسي وانا ارقب حركات المارة وفي هذه اللحظات انصق باب البيت وبخلت مضيفتنا الشابة وما لبثت ان خرجت الى الحديقة لتنتثر العلف لدجاجها على طرف من الحديقة . كانت تلبس ثوباً فضفاضاً بلون الزهر ، محلى بانواع الورد وتنتعل حذاءً من الخشب ، وتحزم شعرها الذهبي بمنديل ابيض ، فقلت للنفس : هذه هي هواية زوجها وثقافته ومكتبته وهما دون ريب سعيدان طالما ينهمك كل منهما بعمله ، ويوفر كل منهما الراحة للآخر .

وبعد ان تناولنا فطورنا حزمنا امتعتنا وتعاوننا على حملها الى السيارة ، وسالت مضيفتنا عن فاتورة حسابنا فهرعت الى داخل بيتها وخرجت وهي تحمل الفاتورة بيد وباقة صفحية من ورد البنفسج بيد . وهي تتمنى لنا سفرة مريحة .

الى جنوه بايطاليا

بعد ظهر يوم ١٩٦٤/٨/٥ وصلت جنوه ، ولو انني غادرتها في اليوم التالي فقد التصقت في مخيلتي اقبج صورة لهذه المدينة ، ذلك لانني في يوم وصولي اليها قادني الطريق الى يروب ملتوية سرعان ما صارت تضيق حتى لتصعب سياقة السيارة فيها بون حذر وتقيد ، كما كانت تتراكم على جوانبها نفايات البيوت والمياه الاسنة ، وفي كل منعطف ماخو تفرح منه روائح الخمور الرديلة ، وتصيح منه العريضة ، وفجأة أشرفت على ساحل البحر ، والغرائي مقهى بان اتوقف عنده ، فتقدم مني شاب ويده راديو صغير ، وادار مفتاحه ليسمعني صوته فعرفت انه يعرضه علي لاشتريه فدفعته عني بتبرم وانتهى بي المطاف الى سوق قديم ترتفع سقفه المطوقة على اعمدة متوجة بزخارف ترقى الى تاريخ قديم ومجد غابر .

وكان بين الاعمدة حوانيت تنبعث منها روائح ثقيلة هي خليط من السمك المقلّي واللحوم المقددة والخمور المتيقة . ووقوفتي سيارتي عند حانوت لبيع السكاير ، وانحدرت اليه من خلال سلم بثلاث درجات ، وكان يقعد في هذا الدكان شيخ تفضن

خداه وغاصاً نحو جوف فمه ، فلم أجد عنده السيكرة التي أريدها فاشتريت منه بعض اللبان والحلوى لأجد طريقي فيهما الى مساعدته لي ليبلني الى مركز المدينة حيث تتوفر الفنادق الجيدة ، فخرج من حانوته الى حيث اوقفت سيارتي وبدأ يشرح لي الطريق الذي يجب ان اسلكه ، لاصل الى مركز المدينة وسألني :
- هل ترى تلك الطاق الكبير الذي يمر تحته الطريق ؟ .

وقد فهمت سؤاله بالرغم من اني لاعرف اللغة الايطالية التي كلمني بها ، غير ان الاشارات من يده واصابعه سهلت علي معرفة ما يقوله ، فقلت له :
- نعم أراه .

ثم بدأ يلّم اصابع يده الخمسة ثم يفتحها ثم يلمها ثم يفتحها ليشير الى اشارة (الضوء) عند تقاطع الطريق ، ثم قال وهو يشير بيده اليسرى الى يده اليمنى مرتين للتأكيد على انه يقصد ان اسير عند تقاطع الطريق باتجاه اليمين . وأخذت طريقي كما اشار عليّ هذا المعجوز حتى صرت عند مدخل ساحة (لردى) ، وقد مرّ هذا الاسم في كلام الرجل المعجوز ولكنني لم اعرف لحظتها معنى هذه الكلمة ، اسماً كان ام فعلاً ام غير ذلك .

كانت هذه الساحة غير ما مررت عليه قبل ذلك والبشر فيها غير البشر الذي رأيته قبل ان ادخلها ، وعلى جانب من جوانب هذه الساحة حيث ينبثق ماء يتدفق عالياً ليكون نافورة يعود الماء منها الى حوض تحتها ، ورأيت الناس يتجمعون حوله ، وتقدمت من الحوض كما يفعل كثير من هؤلاء الناس ، وانحنيت لأرى قاعها ، كان في ذلك القاع اكوام من العملات المعدنية من مختلف الاقطار والفئات يرمي بها السالكون تيمناً وفألأ بالموتة الى هذا المكان .

وكنت اسمع ان مقبرة جنوة اشهر مقبرة في العالم ، فعزمت على مشاهدتها ، فقائمتي لافتة باسم هذه المقبرة الى ممر واسع على جانبيه تماثيل وزخارف مرمرية انتهى ببوابة واسعة عالية ، ومنها دخلنا بين صفي من الحوانيت التي تباع الشموع الملونة والقوانيس الانيقة ولافتات رخامية مزخرفة تحوي صورة المسيح (ع) او صورة مريم العذراء ، مصايفة لاحظت ان الناس في هذا الممر لا يدخلون السيكرة وهم في طريقهم الى القبور ولا شاهدت اعقاب السكاير على الارض ، وكانت في فمي سيكرة ، فطرحتها على الارض وسحققتها بقدمي . ولما اجتزت هذا الممر كان عليّ ان ادخل رواقاً طويلاً ، وعلى جانبي هذا الرواق انقضتني التماثيل والنحوت المرمرية كان اولها تمثال لرجل ملتح في الستين من عمره او يزيد ، وقد اتكا على صرح رخامي حفر عليه بوابة موصدة ، ويمسك بقبعته بيده اليسرى وهو يخفيها وراء ظهره فيما يلي خصره ، وغطى

أكثر وجهه بأصابع يده اليمنى ليخفي لموعه المتحدرة على لحيته . لقد كان هذا المنظر مؤثراً يحرق القلب . كان هذا الشيخ يبكي زوجته التي غادرت إلى وراء هذا الباب المرمرى ، وتركته وحيداً بلا رفيق في هذه الدنيا .

وفي تمثال آخر رأيت سيدة ساهمة وبمعة تترقق حبيسة في عينيها وراء الم عميق وهي تنظر إلى زقاق شراعي بعيد تتقاذفه الأمواج بينما يحاول شاب في ربيع عمره مقاومتها لانقاذ حياته ، لقد أجاد النحات في اظهار التوافق بين عيني السيدة ، وفزعها من عتو البحر ، ورذاذ الماء الذي يحاول الشاب أن يبعده عن عينيها ، وجميع هذه منحوتة في قطعة واحدة من الرخام . هذه الأم قد فقدت وحيدها بينما كان يمارس رياضة الأبحار فداهمه أعصار أودعه أعماق اليم ، لقد انهلتنى هذه اللوحة وغيرها من اللوحات وجميعها بمستوى عال من الفن والاتقان ، على أنها لم تكن كثيرة في هذا الرواق مما دعاني لذلك أن أعتقد أن الذين صنعوها هم أصحاب المصيبة على فراق زوجاتهم وأبنائهم فأودع كل مقدرته الفنية في تلك اللوحات . وانتهيت من هذا الرواق إلى ساحة ترتفع عليها مئات الشواهد وهي موضوعة ضمن حدود تيسر لمن يريد سهولة التنقل فيما بينها ، وعلى كل قبر شخص أو أكثر يعنى بنظافة القبر ، وقد استرعى انتباهي قبر على رأسه امرأة منهكة بمسح شاهده المرمرى بأسفنجة تبلها بمحلول الصابون ، وترفع الزهور اليابسة من مزهرية أمام الشاهد ، لتضع مكانها زهوراً طرية . ثم انحنت تمسح على أرقام على أسفل الشاهد فيها هذه الأرقام ١٨٦٧ - ١٩٦٤ وقترت أن هذا هو سنة مولد المتولى وسنة وفاته . وكانت السيدة في مثل هذا العمر . وتقدم من هذه المرأة رجل في نهاية العقد الثالث من عمره ، وكلم السيدة ، وأخذ من يدها الأسفنجة وتابع ما كانت تفعله ثم ما لبثت أن نهضت وهي تعتل من قامتها لكثرة ما انحنت في عملها في تنظيف القبر .

ثم أخذت حقيبتها التي كانت تضعها على العشب وفتحتها وأخرجت منها شمعة حمراء ، وأوقدتها بعد أن ثبتتها في كوة صغيرة على النصب ، بينما كان ذلك الرجل مستمراً يعمل بالأسفنجة في تنظيف المرمر . لقد تخيلت أن هذه السيدة كانت تعمل كما كانت في كل وقت من حياتها مع فقيدتها ما يحتاجه في بيته من راحة ودلال . أن التماثيل الرخامية توحى لي يوماً بالموت ، أو على الأقل بالمقابر ، أما الذي رأيته في هذه المقبرة فقد خفف من وطأة الحس الثقيل للأجساد البالية تحت التراب . وجعلتني أوهم نفسي أن الموتى فيها يحسون ويدركون ويرتقبون مجيء زائريهم يوماً بعد يوم .

وفي اليوم التالي غادرت جنوه الى فرنسا لاجل الباخرة ازونيا الى بيروت .
وعند توقف السفينة في الاسكندرية سمح لنا ريان السفينة ان نتجول في هذه
المدينة ليلة كاملة بعد ان استبقى معه جوازات سفرنا ، فكنت انا وزوجتي واولادي
الثلاثة من اوائل الذين غادروا السفينة الى البر المصري .

فرقة رضا في الاسكندرية ١٩٦٤/٨/١٢

شاهدت هذه الفرقة على مسرح بالقاهرة في نيسان ١٩٦٣ ، وشاهدتها في هذه
المرّة عندما رست الباخرة التي كنت انا وعائلتي على ظهرها من فيلديسيا الى بيروت ،
وفي ميناء الاسكندرية سمحت لنا السلطات ان نمضي ليلة واحدة في هذه المدينة .
فاخذنا سيارة تاكسي من الميناء لنمضي ساعة لهو في احد مساح الاسكندرية ،
وسالت سائق السيارة ان يحملنا الى مقهى او ملهى ارتاح فيه من نوار البحر الذي
اصابني من نون عائلتي ، فقال على الفور :
— فرقة رضا ، (ودي حاجة كويسة) .

وسرحت حالاً في افكاري فتذكرت احدى راقصات هذه الفرقة التي لم ارها ترتاح
حين تستدير برقصها على المسرح مالم ترفع ساقها الطويلتين الرشيقتين مرة او مرتين
ليرى المشاهدون ملابسها الداخلية القصيرة الحمراء حين ينتشر ثوبها الطويل من فوق
جسمها حتى ليصل الى محزمها الدقيق . تذكرت ذلك ، وتذكرت ايضاً من قال لي حين
خرجنا من المسرح ان هذه الفنانة هي ابنة احد اساتذة جامعة القاهرة ، وما العيب في
ذلك في نظر المصريين فإبنة رئيس الولايات المتحدة ترومان مغنية في ماخورا !
وعدت الى السائق اقول له :

— الى فرقة رضا ياريس .

وحلا لي ان اتحدث الى هذا السائق فقلت له :

— التاكسيات هنا في مصر قديمة .

— هو فيه هنا مكسب للجدد العربية يابيك .

— وحركة السياحة ؟ بطالة والا ايه ؟ .

— قالت الحكومة ان السياحة ستنتعش في هذا الصيف ، وهم بيقولوا هذا في كل

عام ، ولم نر انتعاشها حتى اليوم .

— ولكن (العربية) اذا حرمت من يد الاصلاح ينتهي امرها .

— ما انا عارفها ، وهي بتعالج انت شايفها اهو .

- طيب ، صلحها .
- فاجابني بمرارة وتذمر :
- اصلحها منين ؟ والعسكري بالمرصاد .
- والعسكري مالو ؟ .
- مايرصده علينا من المخالفات يكلفنا اكثر مما يكلف اصلاح السيارة .
- لا تخالفوا يا أخي .
- دي حجج ، اذا لم اقم سيكارة للعسكري يسجل علينا مخالفة بالعافية .
- كنه ؟ .
- ايوه كنه .
- طيب قم له سيكارة وادفع بالتقي هي احسن .
- هي السيكارة (مثل) ياسيادة البيك .
- وأوصلني السائق الى المسرح الصيفي على الكورنيش ، وتقدمت من عداد السيارة
- لاقرأ مقدار الاجرة ، وانا امد له يدي بورقة من فئة الخمسين قرشاً ، فتناولها من يدي
- وتحوّل الى سيارته ، فناديته :
- يا رئيس .
- نعم يا بيك .
- الاجرة في المذار عشرون قرشاً
- ولوى رقبتة بذل وهو يقول :
- اصله ، العداد غير صالح يا بيك .
- معلش نسال الشرطي عن الاجرة من الميناء الى هنا فقال وعلى وجهه سمات
- التوسل .
- بلاش عسكري ، خذها وسييني يا بيك ، والرزق على الله .
- فاجبته باصرار .
- لا ، خذ عشرين وهذا حقك ، وخمسة قروش زيادة مني .
- وهذه هي المخالفات التي يريد هذا السائق ان لا يحاسب عليها .
- وتقدمت من شباك تذاكر فرقة رضا ، وخفضت هامتي لأكلم بائمة التذاكر .
- خمسة تذاكر من فضلك يا آنسة ، اريدها في الدرجة الاولى وبدمت مع نفسها :
- خمسة في ٦٥ قرش ، تبقى ٣٢٥ قرشاً
- وتحولت اليّ تقول :
- ٣٢٥ قرشاً ، تم تطلعت على لوحة امامها رسم عليها مخطط كراسي المسرح .

وقد رأيت على هذا المخطط وانا في مكاني كثيراً من الكراسي الشاغرة فقلت لها
برجاء :

— يا آنسة ، انا من العراق ، ضيفك واريد كراسي امامية تون النظر الى اثمانها .

فاجابتنني بتبرم

— كلها محجوزة ا

— ولكنني ارى بعضها في هذا المخطط شاغرة :

— هل تريد ورق ام مطرح ؟ .

وكان شاباً يلبس الجلباب الخشن قد حاذاني في تسلسل الرواد الى المسرح فقال
لها باقتضاب وكبرياء :

— اديه مطارح امامية يا آنسة .

ولم تكلف هذه الانسة نفسها بالاجابة ، واصرت ان تدفع لي بطاقات في الدرجة
الثانية فاخذتها مضطراً وقد بدت لي هذه الفتاة نزقة ولها طباع القطة الشرسة ، فبترت
حديثي اليها والتفتت الى ذلك الشاب ذي الجلباب الخشن ، وشكرته على مسمع من
فتاة الشباك ، ولا اظنها ابركت الفرق بين من له ادب ومن عدمه ورأيت ان الوقت لم
يحن بعد لدخول المسرح ، فتقدمت من عربة عليها بعض المرطبات ، ويدفعها شاب في
العقد الثالث من عمره فاتجهت نحوها لاشترى منه مما في عريته من العصائر
المبرية ، وانا في سفري خارج القطر اتلذذ في التحدث الى من اتعامل معه باي شكل ،
وارى في ذلك فائدة وممتعة اكثر مما ياخذه من جيوبي ووقتي ، وتهيات لاتحدث اليه الا
انه سبقني يسأل حين سمعني اتحدث مع اولادي .

— من العراق ؟ .

— من بغداد .

— ما احلى المصادفة انا ذاهب الى بغداد في الاسبوع القادم لاعمل في جامعة بغداد .

(واريف قائلاً) انا ماجستير في الكيمياء .

وسحب درجاً في عريته واخرج منه جملة من الاوراق ملها ورقة فتح طبائتها

امامي وهو يقول :

— هذا عقد مع وزارة التربية لاعلم في كلية الصيدلة بجامعة بغداد .

فانهضني ان يبيع المبردات وهو يحمل شهادة الماجستير . فقلت له :

— ابارك فيك هذا الكفاح في العمل ، تباع الكازوزا وتحمل شهادة الماجستير !

وتوجهنا بعد ذلك الى مسرح فرقة رضا ، وقادنا حارس باب المسرح الى مقاعدنا

بحسب ما هو مسجل في بطاقة الدخول .

وكانت هذه المقاعد بعيدة عن المسرح ، ولما بدأت فعاليات الفرقة استغرقت حين رأيت أكثر من ثلث كراسي الدرجة الاولى ما زالت غير مشغولة ، ولما رأيت كثيراً ممن في الدرجة الثانية ، ينتقلون الى كراسي في الدرجة الاولى ، عملت مثلما عملوا ، وانتقلنا الى كراسي في الدرجة الاولى ، ولا معارض .

وكان من برنامج السهرة واحداً في (مولد الحسين) ، ولما ارتفعت الستارة بعد نقات الطلبة التقليدية قرأت على ناحية المسرح عبارة (الصلاة على سيد المرسلين محمد) وانساب الى المسرح ثلاثة شيوخ بلحي طويلة وثياب خضر قصيرة ، وتبع هؤلاء على المسرح ثلاثة حوريات يرتدين ثياباً بيضاً وهن ينقرن على طبقات في ايديهن المثقلة بالاساور ، وفتشت بنظري عن تلك الراقصة ذات الملابس الداخلية الحمراء فكانت ابرز عضو في هذه التمثيلية غير ان الخط لم يواتها لترفع ساقيها عالياً بما يكفي لتظهر تلك الملابس !

ماكنت اتوقع هذه التمثيلية فليس في الدين ما شاهدته من هز الارداق والبطون والاكثاف ، ولا فيه رجال دين يهزون رؤسهم على نقر الدفوف ، ولم استسغ ذلك وهممت ان اغادر (الملهى) لولا ان هذه الفرقة قد انسحبت من على المسرح . وقفزت عليه شابة انيقة كانت بالتأكيد اوروبية وتبهما رجل وطلب منها ان تنحدر من المسرح فابت الا ان تصيح (عبدالمطلب) يغني ، وفجأة ظهر هذا المطرب من وراء الستارة وشرع يغني وهو يهز رقبتة كما اعتاد ان يفعل دائماً في مثل هذه المواقف .

كان هذا المشهد تمثيلية بالغة السخف ، ولا اظنها انطلقت على المشاهدين . واخيراً عدنا الى الباخرة ، ولم نض إلا بضع ساعات حتى اقلعت في اتجاه بيروت . وسرعان ما صارت تصل وتتمايل فأصاب أكثر ركبها نوار البحر . واقترح عليهم طبيب الباخرة تناول حبوب (الدرامامين) وجاء بها ، غير ان هذه الحبوب لم تنفع لحالة نوار البحر . وقالت سيدة اين فائدة هذه الحبوب انن ، فقالت سيدة اخرى : اني لا اعتقد ان لها فائدة وهذا ما جربته بنفسي في سفرتي على هذه الباخرة ، والتفتت هذه السيدة الى رجل البار الذي كان قريباً منها وسالته : ماذا ينصح لحالة النوار على الباخرة ، فاجابها ببرود :

— الفراه ،

والتفتت تلك السيدة الى اصحابها وقالت :

— هل سمعتم ؟

فاجابت احدهن :

— ولكن مكتوب على علبة الدرامامين انها تقطع القيء . واخيراً توجه اكثرنا الى

الفراش وكنت من بينهم ، ولم استيقظ (على غير عانتني) حتى اقتربت الباخرة من
بحروت فاذا البحر هادي ، والشمس يلعب نورها البحر الهادي ، واذا الدنيا غير تلك
الدنيا التي مررنا بها ، قبل ساعات .

حالات حمل خارج الرحم / ١٩٦٥

دخلت الربعة النسائية في هذا الشهر (تشرين الاول ١٩٦٥) ثلاث حالات
حمل خارج الرحم ، على ان ذلك لا يدل على ان لهذه الحالة المرضية نوبات تخضع
لفصول السنة . وكان الاستاذ ابراهيم يقول في معرض كلامه عن توقيت فتح البطن في
الحالات الجراحية المستعجلة ، انه مژ بدور في حياته الطبية ركز فيه باهتمام على
تجارب في استئطباب فتح بطون المرضى ، ويذكر من تلك الحالات (الحمل خارج
الرحم) وانسداد الامعاء ، اما الاستاذ كندي ، وهو اكثر اختصاصاً بالامراض
النسائية من الاستاذ بريهام فيقول عن بعض حالات الحمل خارج الرحم ، ان من
صفات السيرية ان ليس لبعضها صفة محددة ، ويذكر حكاية بهذا الصدد مفادها ان
تشخيص الحمل خارج الرحم يفوت أي جراح ذي خبرة واسعة بينما يشخصها احياناً
من ليس له معرفة بالطب النسوي باي قدر عملي . ويروي عن استانه (كمن باركلي)
الجراح النسوي المشهور ان سيدة حررها الله من الانجاب فأمنت بالقدر المحتوم
واستسلمت لقضائه ، وفي ليلة كانت هي وزوجها يستمعان الى حديث تنقيضي في
الراديو عن الحمل خارج الرحم ، واسبابه وعلاماته . وقد ورد في هذا الحديث ان حالة
الحمل خارج الرحم يكثر في من لم يحبلن قبلاً بعد طول زواج ، وانه قد يحدث بعد طول
زواج ، وانه قد يحدث بعد انحداريم الحيض مباشرة ، وانه يبدأ بالآلام خفيفة في اسفل
البطن ، ثم تزداد شيئاً فشيئاً عقب اندجار الانبوب الذي يحمل الجنين ، وان علاج
هذه الحالة بعملية مستعجلة لايقاف النزف الداخلي ، وانتهى المتحدث في الراديو من
حديثه عن الحمل خارج الرحم وما ان قفلت الزوجة مفتاح الراديو ، واستلقت في
فراشها لتنام حتى صارت تفكر فيما ورد بهديث ذلك المحاضر في الراديو ، ثم اخذها
السبات فنامت . وفي حوالي منتصف الليل استيقظت فزعة من ألم في اسفل بطنها .
فايقظت زوجها وهي تقول له بون مقدمات :

— هيا خذني الى المستشفى ، فكل ما ذكره المتحدث عن الحمل خارج الرحم ينطبق
على حالتي ، فانا الان احمل جنيناً خارج الرحم .
وطلب منها الزوج ان تهدأ وتنام ، فذلك من فعل المحاضرة التي سمعتها من
الراديو .

وحاولت الزوجة ان تنام ، فلم تستطع ذلك خوفاً من احتمال هذه الحالة المرضية ، وفيما هي تفكر عاودتها نوبة اخرى من الالم اشد من الاولى ، والحت على زوجها ان يحملها الى المستشفى فاذعن الزوج لها ، وبعد أقل من نصف ساعة كانت ترقد في احد اسرة مستشفى بارتليمو بلندن . وفحصها الطبيب المقيم فلم يكتشف فيها إلا شيئاً من الانتفاخ في بطنها السفلى ، فعزا ذلك الى اضطرابات معوية ومعدية وعالجها بمحلول مهضم وطارد للارياح وحقنة مسكنة للاوجاع . فلما اصبحت عاد يشد الالم في بطنها السفلى فاستدعى الطبيب المقيم استاذ قسمه في المستشفى فايد تشخيص الحالة بكونها غازات لا تثبت ان تزول .. وبعد ساعتين لم تتحمل المريضة الالم ، وبهت لونها ، واسرع لبضها ، وانخفض ضغط دمها فاستدعى لفحصها استاذ القسم مرة اخرى ، فاضطر هذا ان يفتح بطنها فاذا هي مصابة بانفجار الانبوب الرحمي الايسر بسبب حبل في طرفه الوحشي ، واذا المريضة نفسها قد شخصت حالتها بينما فشل في تشخيصها الطبيب المقيم واستاذ في هذا الاختصاص .

قال لي كندي ، هذه قصة يجب ان يعرفها كل من يختص بالامراض النسائية .. فان الانتفاخ النسبي في البطن السفلي يجب ان لا يستبعد ان يكون احد علامات الحبل خارج الرحم ، او يكون على الاقل علامة يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار في تشخيص هذه الحالة المرضية .

والمؤلفات في الطب النسوي تذكر من علامات الحبل خارج الرحم العقم ، بينما نشاهد هذه الحالة بعد اول علاقة زواجية ، وخصوصاً في الاتصالات غير المشروعة ، وكما تذكر الاورام الرحمية التي تمت بحجمها اتبواب الرحم ، وكذلك تذكر انقطاع العادة الشهرية غير انه يحدث ايضاً دون انقطاعها ، وقد تكون استطالة العادة من علامات الحبل خارج الرحم ايضاً ، غير ان تلك المؤلفات لا تذكر الالام الخفيفة المتقطعة التي تنتاب المريضة بعد تأخير ظهور العادة .

وقاعدتي في كل اجهاض مبكر ، ان اثبت قبل كل شيء ان المريضة حامل ، وان افكر باحتمال الحبل خارج الرحم في حالات الاجهاض بعلامات غير واضحة وبخاصة اذا كان من شكوى المريضة المأ باي قدر وفي اي مكان من البطن السفلى المنتفخة .

عن التدخين / آب ١٩٦٥

اعتدت حين اكون في لبنان ان استعير كتاباً من مكتبة (خوري) ببحمون لاثراء فاذا وجدت فيه فائدة لمكتبتي ببغداد دفعت ثمنه وابقيته عندي لآخذه معي الى

بغداد ، وان لم اجده جديراً بالاحتفاظ به اعدته الى المكتبة ، وكان السيد الياس خوري صاحب المكتبة متساهلاً معي ومحباً لافانتي فينبهني الى بعض الكتب الجديدة التي في مكتبته . وكان من بين الكتب التي اشتريتها كتاب ضخمة مترجم عن اللغة الصينية لفيلسوف صيني واسم الكتاب بالعربية (كيف يعيش الانسان) . وهو يبحث في كل ما له علاقة بحياة الانسان من مآكل ومشرب ، وثقافة ، وزواج ، وسفر ، وتربية الحيوانات والازهار ، وتعاطي البيع والشراء ، والتخخين وتناول الخمور وغير ذلك مما يالغها الانسان في مسلسل عمره . واخذت الكتاب معي الى مقهى (الارلكان) المشهور بجمدون واخترت لقضاء الوقت فيه بقراءة ما في هذا الكتاب عن التخخين ، وكنت يومئذ اكثر من هذه العادة حتى غدت تضر بصحتي واتمنى لو استطيع الاقلاع عنها . وفيما انا اقرأ في الكتاب بهذا الموضوع تقدم مني الاستاذ عبد الرحمن البراز وهو من الشخصيات العلمية والقانونية في بغداد في تلك الحقبة ، ويأمرني قائلاً : — اراك منغمراً في قراءة هذا الكتاب ا

فاجبته :

— انه كتاب لفيلسوف صيني ، وهذه ترجمته الخامسة الى العربية ويبدو لي ان ان هذا المؤلف يهدف بهذا الكتاب ان يثبت ان الحضارة الامريكية مدنية لا فكرية . هذه هي فكرتي الاولى عن مواضيع هذا الكتاب ولو انني لم اقرأ فيه حتى الآن ما يكفي لاثبات هذه الفكرة . غير ان الذي استطيع ان اقله بثقة بعد ان قرأت ما كتبه عن (التخخين) ان في افكار هذا المؤلف خروج عن المألوف وفي قراءة كتابه فائدة وممتعة . (واضفت) وقد قرأت حتى الآن موضوع التخخين وهو يحاول فيه ان يثبت ان اكثر المدخنين اقرب الى الاعتدال والطبيعة من غير المدخنين ، وينلل على ذلك بجداول إحصائية ليس من السهل جمعها الا لمن يريد ان يحقق فكرة يراها ذات وجوه واقعية يغفل اكثر الباحثين تدارسها . فمثلاً يرى ان معدل المدخنين منذ مطلع شبابهم يصلون الى اللهو والحياة الاجتماعية الصاخبة ، ولا ينغمسون في تبني العقائد الدينية ، ولهم اصدقاء كثيرون ، يجمعهم لهو الحياة بما في ذلك حب المقامرة والمقامرة والحرية المطلقة ، والابتعاد عن الزواج ، اما اكثر غير المدخنين فعلى الضد من هؤلاء ، قليلو الاختلاط باترايهم ، وقليلو الاصدقاء ، ويتزوجون مبكرين ، ويستحرمون الاتصال بالفتيات واعرف ان الاستاذ البراز متدين ، ورب عائلة ممتاز ، ومنطو على نفسه وقليل الاصدقاء ولا يخالف المدمنين على الخمر ، كنت اعرف كل ذلك ولم يخطر على بالي انني نون وعي مني جعلته خير مثال على هذه الطبقة من الناس فقال لي :

— رويدك ان الكتاب يصفني بالذات ويعيدني من غير الطيبين بين الناس .

فداريت غلطتي وعالجتها بقولي :

— هذا المؤلف يضع حكمته على معتل الفئتين من الناس ، الفئة المدخنة والفئة التي لا تدخن ، اي ان في اي من الصنفين ما لا يدخل في المعدل باحصائه واجابني الاستاذ البزاز اللبق .

— هذا تخريج اشكرك عليه . (ثم اضاف) انا لا ادخن ولا اشرب الخمرة لاتدبنا فقط ، ولكنني اراها تضر بصحتي كما لا اراها تريحني باي شكل .
— هل جربتها ؟

— جربت التدخين مرة واحدة بتحريض من احد اصدقائي وكنت اخشع باول نفس منه ، فلم أعد اليه الى الآن ، والتدخين لا استحرمه ولكنني استنكره .
— وهل جربت الخمرة ؟ هل نقتها في حياتك ؟

— هي حرام ، باي قدر ، فكل ما يسكر كثيره فقليله حرام . فانا لم انقها في حياتي .

الاستاذ هاشم الوتري وقاسم الرجب / ١٩٦٥

في صباح يوم الجمعة ١٠/٦/١٩٦٥ زارني في داري صديقي قاسم الرجب الكتيبي المعروف في بغداد وفي عموم البلاد العربية ، وبعد السلام وقليل من الكلام ، بادرنى قائلاً :

— اعتذر ان اطلب منك مساعدة هي ان حققت هدفها فستقدم فائدة لكل من يعني بالقرات الاسلامي .
— ما الامر يا ابا محمد ؟

— باختصار في مكتبة كلية طب بغداد نسخة (بولاق) لكتاب القانون في الطب لابن سينا ، وانا مستعد ان اعطي الدكتور هاشم الوتري الف دينار اذا اعارني هذا الكتاب مدة شهر واحد .

فاستغربت من الصديق قاسم الرجب ان يعطي هذا المبلغ مقابل إعارة الكتاب مدة شهر واحد ، فقلت له :

— لاذننه يستسيغ ان يأخذ هذا المبلغ عن اعارة هذا الكتاب فقال لي :

— اصارك ، انا وراء طبع هذا الكتاب بالافست بطهران .
وارجو ان يعلم منك الدكتور هاشم انني استطيع ان استعير هذا الكتاب من (اولاد صبيح) في القاهرة بمبلغ اقل لو انني استطيع السفر الى مصر ، ولا اعرف

متى استطيع ذلك ، فاعرض على الدكتور هاشم طلمي فقد يقبله وبذلك يكون هو وانا
وقراء الكتاب رابحون . وعرضت طلب قاسم الرجب على الاستاذ هاشم ، ورأيته
ينصم ، وعرفت في الحال انه لا يستجيب لهذا الطلب ، وقال :

— يعطيني الف دينار نظير اعادة الكتاب لمدة شهر انا لا ارتاح الى هذه المساومة ،
قد يكون قاسم بريئاً وطلبه مشروعاً غير انني لا اصيل الى اعارته الكتاب ، فضلاً على
ان الكتاب ليس ملكي بل ملك الكلية ، والكلية لاتعير كتب مكتبتها ، إلا الى منتسبي
الكلية ، وصمت قليلاً ثم قال لي :

— اترك هذا الموضوع يا كمال .

ولم يعد اليه إلا لحظة هممت ان اغادره بعد نصف ساعة تقريباً .
— موضوع كتاب القانون ، قل لقاسم الرجب ان يتفق مع اولاد صبيح بالقاهرة .
ولم يرد على ذلك كلمة واحدة .

وفي اوائل سنة ١٩٨١ اتصل بي الشاب الطريف (عيود) صاحب مكتبة
الانلس يخبرني انه حصل على (ثورة) من كتاب القانون لابن سينا الذي طبعت
مكتبة المثني لقاسم الرجب بالافست ، فقلت له :

حالا ، احفظها لي . وعيود هذا وقاسم الرجب صنوان من زرع ربهما وتقاقتهما
من الجرائد والكتب التراثية ، فاغتنى قاسم الرجب من طبع الكتب التراثية ، وكان
بريده الى خارج العراق مئات الصناديق من الكتب ، اما عيود الشاب الذكي فهو في اول
الدرب الى ما وصل اليه صنوه قاسم الرجب ، بل اني اتوقع له مستقبلاً زاهراً في سوق
الكتب واعده منافساً خطيراً لقاسم الرجب ويوماً نهبت كمادتي لاطلع على الكتب
التي استوربها من المكتبة العثمانية بالنكن (الهند) فوجدت مكتبته مفلقة وسالت
جاريه الى اليمن والى الشمال فعرفت منهما ان عيود قد اخذ مجنداً ليشارك في الحرب
الايرانية العراقية ولم اره بعد ذلك ، ولا عرفت ماألت اليه كتب مكتبته .

طالب في الصف الاخير بكلية الطب يصر على صحة جوابه في الامتحان
١٩٦٥/

حين تقرب ايام الامتحانات في السنة الاخيرة بكلية الطب اقول للطلاب احياناً
ان الامتحانات يجب ان لا تخيف الطالب ، فانا نفسي لاأذكر امتحاناً اخافني حين
كنت تلميذاً بهذه الكلية ، والحقيقة ان ذلك لم يكن صحيحاً فانا حتى بعد تخرجي
بعشرات من السنين يحدث ان احلم اني مقبل على امتحان لم استحضر نفسي له ،

فبينما بنى خوف قاتل فاصحو من هذا الكابوس وانا ارتعد ثم بعد دقائق اعرف انني كنت في حلم لا في يقظة ، والحظ يكيو في اليقظة كما يكيو في المنام . على ان الطالب المجد ينتد ان يخيب في الامتحان ، كما ان الطالب الكسول ينتد ان يحظى بالنجاح ، والحظ والخوف يلعبان دوراً لا يمكن تجاهله في بعض هاتين الحالتين . واني لانكر ذات يوم من ايام الامتحان النهائي دخل طالب ليؤدي الامتحان في موضوع الحبل والولادة وكان هذا الطالب من المجتدين النابهين بين اترابه من الطلبة ان لم يكن في مقبضهم ، وكان معي الاستاذ ملز كمتحن إضافي ، فسالت الطالب :

— انكر لي اقصر قطر واطول قطر في جمجمة رأس الجنين .
فاجابني :

— ما تحت القفوى واليافوخ الامامي هو اقصر الاقطار ، والقطر الحنكي — القفوى هو اطولها .

وقلت له هناك قطر آخر يماثلهما في الطول .
فقال :

— ليس هناك قطر آخر يماثلهما في الطول .
وسالته :

— هل انت متأكد .
فاجابني :

— تمام التأكد .

ولما رأيت إصراره على جوابه وهو على خطأ ، قلت له :

— لا بأس تأتي على سؤال آخر .

ولكن هذا الطالب قال لي باعتداده .

— استاذ ، اريد ان اعرف ان كنت في اجابتي كنت مصيباً ام مخطئاً فقلت له :

— بل انت مخطيء .

فقال وهو اكثر اعتداداً وثقة بجوابه

— انني مصيب .

فقلت له ليس في الامتحان جدال .

ولكنه اصر يقول :

— انا غير مخطيء ، ومن حقني ان ادافع عن نفسي .

ولما رأيت إصراره قلت له :

— اكتفيت ، وحين تغادر هذه الغرفة ارجع الى كتابك ، تفضل اخرج .

ولأنني اعرف هذا الطالب معرفة جيدة ، وانه كفؤ للدجاج اعطيته أعلى درجة من أي طالب سبقه ، ونفخت الورقة التي كنت اضع فيها درجات الامتحان الى زميلي الأستاذ ملز ليراهما لكي لا يظن انني أبذلت الدرجة بعد ذلك بتأثير خارجي ، ولما أبدى استغرابه شرحت له مبررات اعطائي تلك الدرجة العالية وبعد ان اتبعنا امتحان جميع طلبة الصف خرجنا من الغرفة ، فوجدت عند بابها ذلك الطالب ويأبطني قائلاً :
- رجعت الى الكتاب ياسيدي وانا مخطيء .
وابتسمت وانا انكر له الدرجة العالية التي حصل عليها .

اب يقتل إبنته غسلاً للعار ١٩٦٥/١١/١٢

دخل غرفتي بالريهة العاشرة بالمستشفى الجمهوري وانا منغمري وضع تقرير شهري عن اعمال الريهة ، رجل في نحو الخمسين من عمره يلف على رأسه (مكرونتين) تتدلى منهما نبالات مفتولة فتخفي قسماً من أعلى جبهته العريضة وحاجبيه الكثيفتين . ولم يبد عليه انه ميسور الحال .

- نختور أني من النوز ، اسمي عبد القادر ، وعندي بنية عندكم بالقاووش ، اريد اشوفها والمرضة تمنعني ، وفي هذه اللحظة دخلت الممرضة غرفتي وقالت لي بالانكليزية ان احدى المريضات رأت هذا الرجل من خلال النافذة وهربت مذعورة وهي تتوصل الي ان اخفيها عنه ، ودخلت احد مراحيض الريهة ، خوفاً من هذا الرجل ، فتظاهرت امام هذا الرجل ان لاعلاقة بما كلمتني به الممرضة ، غير أنني لاحظت انه فهم سر مكالمتها معي فقال للممرضة .

- بابا هي بنتي لا تخاف مني .

وسألت الرجل الذي دخل الى غرفتي :

- ما اسم ابنتك ؟

فاجابني :

- نرسن .

فقلت له :

ليس في الريهة امرأة اسمها (نرسن) .

- نختور انا شفتها من بعيد .

- وماذا تريد منها ؟

- هاي شلون ، هي بنتي واريد اشوفها وأخفيها للنوز .

— هل هي متزوجة ؟

وتعلمتم ثم قال :

— نعم ، نعم هي متزوجة .

طلبت الممرضة ان تاتيني بالمريضة برسن .

ثم سألت الرجل ومن هو زوج ابنتك :

— هو واحد بالقرية عندنا .

— ولما لم يات الزوج لياخذها .

— عنده شغل ، وقت حصاد .

— وكيف جاءت ابنتك الى بغداد .

— وتردد ان يقول شيئاً إلا انه سكنت .

وعامت الممرضة والباقي انها لم تجد المريضة في المرحاض وتناولت التليفون
واخبرت شرطة المستشفى ليمنعوا اية مريضة ان تخرج من باب المستشفى .

وسمع الرجل ما طلبته من الشرطة فقال لي :

انا لارجح رواها ، وبعد دقائق دخل علي الرجل معه ابنته ، وكل اعضائها
ترتجف . وهو يقول لها بالتركية التي اعرف بعض الكلمات .

— لا تخافي ، انا احبك ، هسه ناخذ سيارة ونروح وسحبها من معصمها ، وهو يقول
لي اشكرك يا مختور الا ان افكار السوء راودتني عن هذا الرجل .

وبعد دقائق دخلت الى غرفتي الممرضة وقالت لي :

— رفض الرجل ان تاخذ ابنته طفلها من الرعدة ، فكنت اتحقق من هذوني ، فطلبت
مركز الشرطة في المستشفى واخبرتهم بما يجول بخاطري وطلبت ان يسرعوا للقبض
على الرجل قبل ان يقتوف جريمة قتل ابنته ، وبعد دقائق جاءني مأمور مركز الشرطة
ليخبرني انه لم يلحق بهما فقد اقتاد الرجل المرأة الى سيارة تاكسي وابتعدا عن
المستشفى ؛ وقيل ان اغامر المستشفى اخبرتني دائرة الشرطة ان الرجل قتل المرأة في
سيارة التاكسي وسلم نفسه لشرطة مرور الشارع .

كان تلك الرجل ابوها فعلاً وهي غير متزوجة وقد حملت سفاحاً من عشيقها
فلحق بها ابوها لقتلها فحصل ما حصل .

صديقي الدكتور (ن) ايضاً / تموز ١٩٦٥

في يوم ١٩٦٥/٨/٢٤ ، اي بعد وصولي الى لندن بعشرين يوماً تسلمت رسالة
من صديقي (ن) ، وهذا هو نصها لا بزيادة ولا نقصان عزيزي كمال .

هنيئاً لك أيام لندن ، فالحر في هذا الصيف ببغداد لاهب قاس . انا لم ار لندن في حياتي كما تعلم ، وهذا لا يصلح ، يكفي انها ليست حارة كما هو الحال في بغداد في مثل هذا الشهر . كان يجب ان اسافر الى لندن قبل ان يطول (نيلي) ، او ابتزه لآخف واسافر ، زوجتي وانت تعرفها ، ونيان ، وامور مضطربة لاستطيع تجاهلها وانغمض عيني عنها ، انا لآحصلك ياكمال على اسفارك الى خارج المراق ولا اغبطك ايضاً ، فلكل مناحسته من الحياة ، وجزاؤه وعقابه ، انا استحق حياتي وانت تستحق حياتك . انا اعترف بذلك برضى وقناعة ، ولا يمكن لاحد منا الا ان يبقى في قبضة ظروفه ، وانا اضحك على نفسي حين اهم ان اقول لك ان حياتي بهذا الشكل لاستحقها بينما بعض الناس يرون اني لاستحق خيراً منها ، حتى اهلي ياكمال فهم يعتبروني بمناسبة او بغير مناسبة على كوني لم ابز في الطب كما بوز غيري من الاطباء ، ولا يؤمنني ان اكون كما يدعون ، ولكني اتالم كثيراً ان يعني حكمهم اهانتني وعدم احترامي كزوج واب ، او على الاقل شخص يوفر لهم السكن والمآكل والملبس . وابنتي الكبرى لاتكاد تنظر الى وجهي حتى تمط شفرتها وتلوي رأسها عني كشيء كريه ، إنها ابنة امها ، انك ياكمال لاتقدر كم يؤلمني هذا الحال . ان حياتي ليست اكثر من بضع ساعات مع مرضاي في العيادة ، ومرضاي بدأوا يقتلون تدريجياً ، وبالتالي قلت ساعاتي في العيادة التي هي سلواي ومكان راحتي .. وانا لا ابالي بذلك ، وبعض منهم يكفيني لآعيش بضع سنوات قائمة . حين ادخل بيتي تضطرم في جولي نار من الغضب اخشاه ان تحرقني بلا انذار . هذا إنموذج من حياتي اليومية ياكمال ، وهل هذه حياة ؟ .

فلم يعد لي الان من يفكرني او يخابرنني او يتصل بي إلا اختي ، وهي تبدو لي مرتاحة في بيتها ، واتالم اشد الالم حين يخطر ببالي ان استجد بها لحل بعض مشاكلي ، فانا احتاج الى من يمينني ولو بنصيحة ، فلم يبق لي إلا انت . لم اسافر الى بغداد بعد سفرك الى لندن ، وساسافر اليها قريباً من اجل رؤية اختي على الاقل . وقد لآسافر حتى لاتقرأ اختي في عيني ما في داخلي من هموم اخي كمال ، حيناً لو حصلت لي نسخة من كتاب (شتروميل) في الطب الباطني ، وهو لآبد متوفر في المكتبات الطبية بلندن . لاتكتب لي لآنني اريد ان اسمع منك جملة ما انت فيه بعد رجوعك الى بغداد . اخوك (ن)

تقديم البحوث للترقية الى مرتبة الاستاذية / ١٩٦٥

حدث تشكك في صلاحية او صلاحية تقييم البحوث من قبل جهات اجنبية فرفعت الى المجلس الاعلى للجامعات العراقية الكتاب الان .

السيد امين عام المجلس الاعلى للجامعات

اشارة الى كتابكم رقم ١٠ والمؤرخ في ١٩٦٧/٥/٢٥ .

من ملاحظاتي على اسلوب تقييم البحوث العلمية بارسالها الى الثقات الاجانب توطئة لتاهيل اصحابها للترقية الى مرتبة الاستاذية ، ان ربود الثقات تغمر بعض هذه البحوث بالاطراء والاصالة ، مع ذلك لم يقبل واحد من هذه البحوث للنشر في اية مجلة معروفة ، بمكانتها العالية . كذلك لاحظ ان بعض البحوث والمقالات التي تنشر في بعض المجلات هي بحوث ليس لها قيمة علمية ولا فيها اصالة . رغم ان المجلات التي نشرتها معروفة عالميا ولكنها اي المجلات قطعاً ليست لها مكانة علمية عالية . ولهذا ارى من الافضل ، تحقيقاً لدقة موازيننا - ضرورة التقييم والنشر في آن واحد عند النظر في الترقية الى مرتبة الاستاذية . فاذا كان هذا الشرط يتعارض مع تعليمات القانون فاقترح :-

- ١ - اجراء التقييم بواسطة مجالس الاقسام المختصة Board of Studies في جامعتين مختلفتين من الجامعات المعروفة بمنزلتها العلمية .
- ٢ - تعيين المجلات العالمية في كل موضوع . ونشر قائمة باسماء هذه المجلات على كل منتسبي الجامعة للتقيد مسبقاً بنشر بحوثهم في هذه المجلات لاني غيرها لاغراض الترقية العلمية . اما تقييمنا لعالمية المجلة بعد نشر البحث فيها ففيه مجال للجدل بعيد عن الواقع والحقيقة .

على اي حال سوف ارفع اليكم قريباً اسماء ستة من الثقات في كل فرع من فروع الجراحة كما طلبتم في كتابكم المشار اليه . وقد تاخرت في رفع هذه الاسماء اليكم حتى اتحاشى اللجوء الى منتسبي الفروع التي لا اعرف الثقات في مواضعها . وتقبلوا منا الاحترام .

الاستاذ كمال السامرائي
رئيس دائرة الجراحة

ملذنة سوق الفزل وجامع الخلفاء / ١٩٦٥

ظهرت ركائز الى جانب ملذنة سوق الفزل ، وشاع بين الناس ان جامعاً سيقام على هذه الملذنة ، وثمة حوائيت ستشيد حوله لتمويل ادامته . فثار في نفسي السخط على إقامة هذه الحوائيت ، كما خفت ان يكون الجامع المزمع تشييده على طراز حديث يناقض هندسة المائدة ، فكتبت في هذا الموضوع الذي نشرته جريدة الجمهورية يوم ١٩٦٥/٥/٢٤ وفيما يلي نص مانشرته الجريدة .

ملذنة سوق الفزل وجامع الخلفاء

خطاب مفتوح من الدكتور كمال السامرائي الى الدكتور المهندس محمد مكية معذرة ان اجعل هذا الكتاب مفتوحاً . والواقع انني تعمدت ان يطلع عليه الكثيرون حتى يشتركوا في بحث الموضوع الذي انا بصده . كما ارجو ان تتسامح معي وتفسح لي صورك الفني فلا تلتفت الى كوني بعيداً عن مهنة الهندسة ما يجعلك تتفرضني متطفلاً ، او متطاولاً على اعمالك الهندسية التي اقدرها اكبر تقدير . كما اني لا ابحت معك موضوعاً هندسياً بل ان بحثي سيكون اقرب الى النوق العام والميل الطبيعى مما هو الى الهندسة وقواعد البناء . وفي مهنتي التي اعمل بها كثير من المشاكل العملية ونتوصل الى حلها الصحيح بدافع من الحس الفني اكثر مما نعتمد في حلها على القاعدة او المعادلة الحسابية . ثم بعد هذا فان موضوع بحثي هو تشييد — جامع الخلفاء — الذي قمت انت بتصميمه الى جانب — ملذنة سوق الفزل — هذه المائدة الشامخة في علالي سماء بغداد ، ترفع رأسها الرفيع كأنه العصى تهش على الفيوم التي تطوف حولها لتوزع مافيها من حيوات وخيرات على الاراضي الطيبة الحاملة ، فقد استطلت من الركائز الكونكريتية والدعامات التي ارتفعت على جانبي الملذنة ان الجامع قيد التشييد سيكون على طابقتين وانه سيحيط على ما يبدو بالملذنة حتى لا اراها الا حبيسة مخنوقة الانفاس ، بالاضافة الى الفوارق العمرانية الصارخة — التي اتخيلها مقدما — بين بناية الجامع الجديدة وبين الملذنة القديمة ، وباحزني واسفي لو صح ما سمعت من ان جبهة الجامع ستكون مجموعة من الحوائيت والمخازن وربما المقاهي ايضاً .

في نظرة واحدة الى الملذنة يتوضح لنا طابعها الخاص الذي تتميز به عن جميع المآئن الاخرى . فهي عدا انها مشيدة كلياً من مادة طينية غير مصبوغة فان القسم الذي يملو — الحوض — هو اكثر نحافة واقصر قامة مما هو مالوف في المآئن البغدادية

وغير البغدادية ، ولاول وهلة تبدو هذه المفارقة متنافرة مع انسياق القسم الاسفل الذي تحت الحوض ، ولكن حين تشملها النظرة الفاحصة المدققة يبرز حينذاك جمالها الفني الذي يطبعها بصفة مميزة هي الجمع بين البساطة والسذاجة من جهة وبين الفخامة والدقة في بعض اجزائها من جهة اخرى .

ان هذه النظرة المدققة غير العابرة تميل دون تردد الى استيعاب هذا التضارب وتقلبه بتقدير واعجاب كوحدة فنية متماسكة غاية في الابداع وهذه الصفة في الواقع تشاهد بتكرار في كثير من الآثار القديمة . فهل سيلتفت فنك الى مواصفات هذه المئذنة ويعترف بهندستها وبطريقة بنائها رغم الدوافع غير الارادية التي تضطرك الى التمسك بالاصول الحديثة والنوق الحديث ؟ انا لم استطع ان تصور كيف سيكون بناء الجامع الجديد متمما للمئذنة رغم ما اتوقع ان يكون فيه ، اي في الجامع ، من ابداع في التصميم وروعة في التشييد ، لانني في الحقيقة انتشك في امكانية الفن الحديث ان يجرى ببناء يجاري او يماثل ما في المئذنة القائمة من فن سبق ووصفت بعضا منه . ولا اقصد بهذا التقدير طبعاً عجز الفن الحديث على المحاكاة او حتى المنافسة بل اقصد ان الهندسة المعمارية المصرية تعتمد كلياً على مادة غير المادة التي قامت بها الآثار المعمارية القديمة . فالسمنت والحديد ومشتقاتهما لاتقوم ببناء طابعه الاسلوب القديم دون لمسة عصرية في جزء من تكويناته . والمهندس القدير لاشك يستطيع ان يتحايل بطرق غير مكشوفة على مناظرة البناء القديم ولكنني لاراهما تقرب من النماذج الاصلية والاستمساخ ليست له مكانة محترمة في الفن ولو انها تدليل على مقدرة الفنان الشخصية على العمل في هذا المجال ، هذا واني لا اتفاقل عن الفضل الذي منى به الفن المعماري الحديث في البناء والتزيين في كثير من المآذن وقباب الجوامع التي شيدت اخيراً في بغداد باستخدام الهندسة العصرية واستعمال الاجر السمطي والقاشاني المصري او ما يشبهه القاشاني .. ان تعشقي بمئذنة سوق الفزل ودفاعي عنها ، لايمنني حبي لكل قديم مع كرهني لكل حديث ، واني محافظ ولاريد التطوير والتطوير بل الصحيح هو اني تواق ان اشاهد مئذنة او جامعاً مشيداً كلياً على طراز فني حديث محظ .

والفن الحديث والمهندسون المعاصرون اكفاء الى هذه المباراة ، وقد نجحوا فعلاً في هتصة بيوت السكن الحديثة وفي ابنية بوائز الحكومة ، وكل هذه المنشآت على ما فيها من نواقص او زوائد ، الا انها تلائم الى حد كبير العصر والاجتماع ومتطلبات ومتطلبات الحياة القائمة .

لا انا ولاغيري نشك في مقدرتك الفنية ، فانت من الاوائل الذين اسسوا الهندسة

في العراق ، ويؤهلها القواعد المحلية . ولكنني لاستطيع ان تسخر مقدراتك الفنية في عمل دون رضى من فلك او من النوق العربي .

واتبعت هذه الحكاية باربعة اخرى مماثلة وباراء جديدة . وبناهم في هذا الموضوع كل من المهندس الاتاري شريف يوسف والدكتورة لمان امين زكي والدكتور صباح الزبيدي . وبعد تلك فوجئت يوماً بمدير الاوقاف العام يرد على افكاري في هذا الموضوع بلهجة تهكمية لا موضوعية فيها .

اما الدكتور مكية فلم يعلق على اي مما كتبت في جريدة الجمهورية ، كذلك تناول هذا الموضوع التلفزيون العراقي في برنامج العلم للجميع ولكن دون تعليق من صاحبه .

اسطورة مثذنة سوق الفزل

لم اكتب بما كتبت عن مثذنة سوق الفزل فقد تكلمت في موضوعها اكثر مما كتبت عنها . وكان ذلك بطريق الاستنتاج ودراسة هندستها عن بعد إعتماً على مفهومي الخاص لما فيها من المميزات والزخرفة العمرانية ، كما سمعت من بعض شيوخ بغداد حكايات عنها في اكثرها قليل من الحقيقة غير انها عموماً تستحق التسجيل في تاريخ هذه المثذنة . انقل هنا واحدة منها دون تحريف كبير لنصها الذي سمعته من اثنين من كبار البنائين في بغداد ، وقد يكون مصدر حكايتهما واحد . ففي يوم زارني رجل طويل القامة ، يلف على رأسه (الجراوية) البغدادية ، ويرتدي نون عباءة زيوناً نظيفاً وحسن الخياطة ، وقال :

— انا اسطة محمد ابو رضية ، وهي تراجمك من اجل الضنا ، وارجو ان اعرف موضوعها ومستعد لاي كلفة يتطلبها العلاج .

وقادنا الحديث معه عن عن مثذنة سوق الفزل فقال لي بلغته وصراحته المألوفة عن مثل طليقته من الناس .

— الدكتور محمد مستاء مما كتبت عن التصاميم التي وضعها لمثذنة سوق الفزل . والدكتور محمد هو محمد مكية من المهندسين البارزين في الهندسة البغدادية ويكاد اختصاصه ان يكون في هندسة العمارات الشرقية الاسلامية . اما هذا الرجل فيعرف باسم محمد (الاكريم) وهو الساعد الايمن للدكتور مكية في بناء جامع الخلفاء وترميم مثذنة سوق الفزل ، كان الاسطة محمد مثلاً للبغدادي الاصيل في ملبسه وفي كلامه واشاراته التي يطنها بمعاني خاصة ، كما تبين لي ان له معلومات تاريخية لا بأس بها عن هذه المثذنة سردها لي بتقطيع وتان . قال :

— ان هذه المائدة لايزيد عمرها على السبعة قرون ، اي انها ليست عباسية العهد ،

وقد امر ببناؤها احمد اباقا بن هولكو وعهد بالاشراف على تشييدها الى وزيره عبدالله الجويني ، وتلتصق بها قصة ممتعة حتى لو كانت خرافية . فقلت له اريد ان اسميها لو تفضلت قال :

— كان في اصفهان اشهر البنائين في ايران واسمه (حاجي علي) وله تلميذ اسمه (غلام علي) ، ورغم التحايب الذي يشد بقوة بين هذا الاستاذ وتلميذه ، فان اولهما كان ضدياً بتعليم كثير من اسرار مهنة تجميل العمارة وزخرفتها ، كما ان تلميذه كان حاد الفكاهة وقوي الملاحظة ، وكان يراقب استاذة بون ان يثير انتباهه ليكون خليفته في الصنعة ، او يبرزه فيها ان استطاع ، وذات يوم وهما يتحدثان عن مثلثة اصفهان الشهيرة ، قال غلام علي :

— ان هذه المثلثة هي غاية ما يمكن لاي استاذ في البناء ان يصنعه . ويبدو ان الاسطة الحاجي علي عذ هذه الاشارة تحدياً له ، فقال بكبرياء ووقار . — ليس في هذه المثلثة إلا ابداع في تناسق الوان القاشاني فيها ، وانا اطمح ان ابني مثلثة من طابوق بلون واحد لا يدخلها اي لون آخر وهذا هو وجه الابداع فيها والمبايرة التي لم يسبق اليها احد من شيوخ البناء ، كما ساجعل لها سلمان الصاعد اليها لا يرى النازل منها ، اريد ان اجعل المئذنة التي افكر ببناها حديثاً في العمارة يتحدث به الركبان .

وشرح الحاجي علي لتلميذه طريقة بنائها وتلميذه ينصت اليه بكل جوارحه ، واراد ان يستوضح منه الكثير عذها وساله :

— وهل ستكون اسطوانية القوام ام مربعة ام ماذا ؟
فاجابه اسطة علي :

— ان المآذن المنشورية لاتعطي طابع الصعود والسموق المستمر كالمآذن الاسطوانية . ولذلك ساجعلها اسطوانية ، كما ان الدور والظلال يتداخلان على سطحها بنعومة تحت النظرة الواحدة ، فلا نور قاطع ولا ظل قاطع كما هو في المآذن المنشورية فلا تتعب الناظر اليها .
وساله :

— واين تضع حوضها .

فاجابه :

سيكون لها حوضان يقسمان المائدة الى ثلاثة اقسام .

وفكر غلام بما سمعه من استاذة اسطة علي ، وعزم علي شيء ، فقد استيقظ

مبكراً وحمل تحت إبطه صرة فيها زاد ما يكتفيه للصفر بالكروان الى بغداد .
وكان يحكم بغداد يومئذ الخان اباقا التاتاري وقد دخل الاسلام في تلك الايام .
ولمالي في التمسك بشرائعه ، والعمل على نصرته ، فوجد غلام في هذا السلطان ضالته ،
فتوجه الى الجامع حيث يصلي هذا السلطان ، وصلى وراءه مع المصلين ولما انتهت من
صلاته تقدم من الخان الورع وساله : هذا الخان :

— ماذا تريد ايها الشاب ؟

فقال له :

— اريد ان اخدم الخان يا مولاي .

— واية خدمة تستطيع تقديمها لي ؟

— اراك ياسيدي الخان كثير الاهتمام بديوك كما انك كثير الاهتمام برعيتك ،

وعندي من الفن في بناء المآذن ما ليس لغيري مثله !

— ومن اين انت ايها الشاب ، هل انت حاجي علي ؟

— لا ياسيدي انا تلميذه واستطيع ان ابني مئذنة كان يحلم بها استاذي ولم

يحققها .

وفتح الخان خزانته ليمول بناء المئذنة ، فجاءت آية في الفن والجمال .

وسمع حاجي علي بهذه الاعجوبة في بغداد ، وشد الرحال ليرهاها ، ووقف ينظر

اليها باعجاب وتفاعلاً حين رأى تلميذه غلام في الصحن الاعلى من المآذنة ، فصعد اليه

قلم يجمده ، وطاف حول صحن المئذنة فلم يجد له اثرأ ، ونظر الى الارض فاذا غلام

يقف وعلى وجهه امارات الظفر . فعرف الحاج علي انه سرق منه سر بناء هذه المئذنة

وسبقه الى بنائها ، فرمى بنفسه من اعلى المئذنة الى الارض ليموت غيباً وكمدأ .

هذه هي اسطورة مئذنة سوق الفزل ، وقد يكون فيها بصيص من الحقيقة .

السردوكالد بغيرد استاذ زائر لكلية طب بغداد / حزيران ١٩٦٥

اخبرتنني عمادة كلية الطب انها بالاتفاق مع المجلس الثقافي البريطاني وبناء

على مقترحي الذي رفعت الى العمادة ، ان (السردوكالد بغيرد) قد وصل بغداد وانه

سيؤثر الكلية وشعبة الامراض النسائية يوم غد في الساعة العاشرة صباحاً . وكنت

اعرف هذا الجراح النسوي عن طريق منشوراته في المجلة البريطانية لالامراض

النسائية والتوليد ، وكتابة القيم TEXT BOOK OF SBSTETRICS AND

GYNAECOLOGY

وحضر هذا الزائر في اليوم الذي حده المجلس الثقافي البريطاني ، ودخل غرفتي في المستشفى الملكي بصحبة مدير المستشفى الدكتور عبد الرحمن الجوريه جي ومدير المجلس الثقافي البريطاني المستر (مور) . وتقدم الدكتور الجوريه جي وقدمهما الي وبعد التحيات التقليدية صرنا نتحدث عن عموميات البلدين الكلترا والعراق ، فقال السر بوكالد بيده .

— انا زرت من بلاد الشرق تونس ومصر وتركيا ، ويبدو ان العراق قطر يختلف عن تلك الاقطار ، ولا بد ان ارى آثاره القديمة ، وخصوصاً بابل ونيوى ، والاهوار .

وقال له المستر مور وهو يغمز بعينه الي :

— وقصور العباسيين في سامراء ، وإلا فان الاستاذ السامرائي سيعتد علي انا لو تجاهلت سامراء ولم اذكرها للسر بوكالد بيده وعدت ارحب بالضيف وقلت له .
— ساعد لك زيارة خاصة لرؤية قصور العباسيين في سامراء وشكرني باختصار ثم

التفت الى مستر مور وقال له :

سابقى مع السامرائي لنتحدث عن بعض الامور التي جئت من اجلها الى بغداد وغادر الدكتور الجوريه جي والمستر مور غرفتي وتوقعات ان يتكلم معي في مواضيع طبية فانا هو يصالني عن الحياة العامة في بغداد وآثار العباسيين فيها ، كما استعلم عن المدرسة المستنصرية وتحديد يوم لزيارتها وتصوير معالمها المهمة .

كان سر بوكالد بيده يتكلم بجرس خفيض ولا يستعمل يديه لزيادة في توضيح كلامه الا نادراً . كما بدا لي تعياً فسألته ان كان لا يزال يمارس الطب فنفي ذلك وهو يقول :

— انا في عمر تنمبلي فيه العمليات الجراحية ، فتوقفت عنها منذ عشر سنوات . ولم أشأ ان اسأل عن عمره ، فقدرته تخميناً بنحو خمس وسبعين غير انه قال لي فجأة انه يخطو الى الثمانين . وحين رأى بعض الكتب مرصوفة على رف في غرفتي نهض اليها وقرأ كموبها ، والتفتت اليّ يصالني :

— ارى كتابي COMBINED TEXT BOOK بين هذه الكتب فهل هو من الكتب المقررة لطلاب الكلية ؟ (يقصد كلية طب بغداد) .

فقلت له .

— (الكتاب المقرر هو (لجونستون) اما كتابكم فهو احد الكتب التي توصي الطلاب بقراءتها .

وصالني ،

— وماذا اعجبك من الكتاب ؟

فاجبته :

- اعجبته المقدمة التي كرسها لتشريح وفلسفة الاعضاء الانثوية من الوجهتين
التي تخصان (التوليد) والامراض النسائية معاً ، (واضفت) :
- ان استاذي الاول في هذا الاختصاص يكرر في دروسه الصفية ان التوليد وامراض
النساء علم واحد ذو شقين الاول منهما في فلسفة الاعضاء الانثوية ، والثاني في
باثولوجيتها فانتبه بوكالد ببرد الى ما قلته باهتمام وسألني :
- ومن هو استاذك الاول ؟

فاجبته :

- هو كندي ، ولیم ديلد كندي ، وهو اسكوتلندي الاصل .
فقال لي بغير اهتمام :
- لا انكر هذا الشخص ، ولكن ما قاله فيه الكثير من الحقيقة .
فقلت له :

- ومن هذا يجيء اعجابي بكتابكم COMBINED
وقال بوكالد ببرد .

- مالنا وكتابي . فلذتكم عن ماله علاقة بكتبتكم ، فهل تريد مني ان احاضر
للطلاب وما هو الموضوع الذي تختاره لهذه المناسبة .
فقلت له :

- اي موضوع يخرج من كتابكم هو ما نريد ان نسمعه منكم .
فسكت برهة وهو يطيل النظر اليّ وقال .

- لدى موضوع طريف وهو بعنوان (التوليد والامراض النسائية من الوجهة
الاجتماعية) .

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي كان السيد بوكالد ببرد يقف وراء منصة
الدرس ويتكلم بتسلسل إستقراي ممتع ، لولا انه حشر في محاضراته كثيراً من الآراء
الاجتماعية والفلسفية التي لم افهمها بسهولة فكيف يفهمها الطلبة ؟

ودعوت بوكالد ببرد الى عشاء في بيتي في المسبح ، كما اعتدت بصفتي رئيس
نساء النساء بكتبة الطب ، ان ادعو الاساتذة الاجانب الذين يزورون كلية الطب .
وكان من المدعوين عميد الكلية ورؤساء الاقسام ومدير الصحة العام ومدير المستشفى
الملكي . وحين استقر في مكانه بين المدعوين ، سألني وبهده كاس الوسكي .

- من رشحك الى عضوية كلية الجراحين النسائيين البريطانية ياسامرائي ؟

فقلت له :

— كرين ارميتاج ، ونكسون وهارولد مالكن .

وتابع يقول :

— اظن ان كرين ارميتاج قد توفي منذ زمان !

وقد قال لك وكأنه ينبغي ان يكون كرين ارميتاج قد شارك في ترشيحي ، فأريت
اعتراضه نابياً فقلت له :

— ان كل واحد من الذين ذكرتهم قد رشحني على افراد وفي تقارير مختلفة
التواريخ . وثلاثتهم قد زاروا كلية الطب بدعوة من المجلس الثقافي البريطاني قبل سنة
١٩٥٨ .

وبدا لي ان ضيفي قد شعر ان في ملاحظته ما يليق ، فاراد ان يصلح الخطا الذي
وقع فيه فقال :

— نعم نعم ، تذكرت الآن ، وكنت يومئذ رأس لجنة منح شهادات الزمالة الفخرية ،
وكل ما انكره الآن ان (عراقياً) منح شهادة العضوية ، فاقترح هارولد مالكن ان تمنح
في الوقت نفسه شهادة الزمالة ، والحقيقة كنت انا احد من عارض منح الشهادتين في
وقت واحد ، غير ان اكثرية اللجنة الحوا على منحهما معاً . (ثم قال) لا انكر اسم من
منح الشهادتين معاً ، ولا بد ان تكون انت يا سامرائي ذلك الشخص ، اذا لم يكن غيرك
من العراقيين من منح الشهادتين معاً .

فقلت له :

— ليس في العراق احد غيبي من يحمل شهادة الزمالة .

كانت حديقة بيتي منسقة بنق ، والاضواء الخافتة التي تتسرب من بين اغصان
الاشجار ما يدعو الى الارتياح والبهجة . ولما وقف ضيف الشرف يتطلع الى مائدة
الطعام ، بالوان المأكولات العراقية ، قال :

— هذا بيت ومائدة لا يخطيء احد في انها لجراح نسائي .

فقلت له بقصد التحدث لا الاعتراض .

— ياسر بوكالد بيدي انني لست غنياً بالقدر الذي يمكنه مظهر بيتي ، انما الفوق
هو الغالب على ما حصلت عليه من ممارسة اختصاصي بمعالجة النساء .
فقال :

— آه ، هذا شيء آخر جديد ، فربما تقصد انه من فعل المنصر النسوي ، وانا
لا ادري ان كنت اخالفك على ذلك ام اوافئك ، والجواب على ذلك سيكون اذا رأيت داري
في كلاسكو .

وحار نوكالد بعدد شهما يأكله مما كان على المائدة ، لكثرة ما كان عليها من التوان
الطعام .

وعندما غادر بوتي في منتصف الليل قال لي :
— سامرائي انت مدعو الى داري في كلاسكو . هذه رغبتى فلا تردى ، فحدد الموعد
من الآن .

وفي يوم ١٧ تموز كنت في لندن وفي اليوم التالي اتصلت هاتفياً بالسربوكالد بعدد في
كلاسكو ، واخبرته اننى ومعى الدكتورة انه ستيان والدكتور اسامة عبدالله ، وكلاهما
من اعضاء قسم النسائيات في المستشفى الملكى ببغداد ، وكان السربوكالد بعدد قد
وجه الدعوة اليهما لمصاحبتى الى كلاسكو حين تناولوا طعام العشاء في داري ببغداد .
وفي الساعة الثالثة بعد الظهر إفترباب الفندق الذي نزلنا فيه بكلاسكو ليطلع علينا .
السربوكالد بعدد . باشا ثابت القدم ، ونهضنا لاستقباله ، فسبقنا يقول :

— اهلا بكم في كلاسكو (ثم قال) اريد ان اريكم اولا معالم كلاسكو قبل ان نذهب
الى بوتي . واخذنا مقاعدنا في سيارته (الهلمن) الصغيرة وصار يقودها بحيوية
دافقة وهو بعمر (كما قال) يقرب من الثمانين وكانه في عز الشباب . وخرج بها الى
المدينة صعداً على تل يشرف على مينائها ، واوقف سيارته وبدأ يشرح لنا الموقع والمعالم
العمرانية التي في نطاق رؤيتنا :

— على اليسار من ذلك المنار مركز ابحاث الاسماك ، والذي على يمينه معمل لبناء
السفن ، وذلك الطريق البعيد يؤدي الى (ابردين) اما الطريق المؤدى الى الجنوب فلا
يرى من هنا لكثافة الاشجار ، اما العمارة العالية التي ترتفع على تلك التل فهي
مستشفى الامراض النسائية والتوليد الذي يديره الاستاذ (ايان نونالد) وهكذا كان
سربوكالد بعدد يشرح لنا ما امكننا رؤيته ، ونحن ما نزال داخل السيارة . وكان يبدو في
تحفته نشاطاً متكاملاً قاد سيارته بسرعة وخفة ونشاط . وعلى منعطف طريقنا الذي
ينحدر الى المدينة مررنا باستدارة حادة ، كانت تصدمنا فيها شاحنة ضخمة ، فغضب
لها السربوكالد بعدد ولكن بهدوء وروية قائلاً :

— ما بال هذا السائق ؟ كان يجب عليه ان يغطي دائرة اوسع في هذا المنعطف
(واضاف مؤكداً) على السائق ان يكون يقطاً وحذراً في الطرق الجبلية .

ثم اخذنا نوكالد بعدد الى مستشفى (ايان نونالد) وكان الاطباء والمرضات
يقفون له باحترام بالغ ، ولا غرابة فليسربوكالد بعدد مكانة عالية بين كبار الاطباء
الانكليز وخصوصاً الاسكوتلنديين منهم .

وانتهت جولتنا في كلاسكو بحدود الساعة السادسة ، وبعدما توجهنا الى داره

الجميلة التي تقع خارج المدينة ببضع كيلو مترات . وهو بيت صغير إلا انه انيق في موقعه بين الاشجار ، وفي تناسق اثاثه ، وفي اللمسات الباردة لزوجته (الليدي بيرد) . وزوجته طويلة القامة بنحافة ، ويممر زوجها او اصفر قليلاً ، ولا يزال بعض جمالها الاقل يبرز في معالم وجهها . وهي مثله نشطة التفكير والحركة ، وتدير مجاناً معهداً في رعاية الحوامل ، ولها نشرات تثقيفية بهذا الميدان ، وقالت حين ولجنا دارها .
— حدثني بوكالد عن مدينتكم الجميلة ، وموائدكم وما عليها من الاطعمة الشرقية ،
واثنى على طريقة شي السمك على لهب عيدان الاشجار الجافة .

وعلى مائدة الطعام قال بوكالد :

ان كل ما على هذه المائدة الصغيرة من عمل زوجتي جين (والتفت) الى زوجته وقال لها عزيزتي (جين) في البيوت الموسرة ببغداد لا تعمل الزوجة في المطبخ ، بل ان ذلك من واجب الطباخ المأجور ، وفجأة سألني وكأنه اراد ألا يفلت هذا السؤال من خاطره .

— تعرف جون هنتر ؟

فاجبته :

— زرتة في منجستر سنة ١٩٥٧ .

فقال بوكالد بيرد :

— انه جراح ماهر في العمليات النسائية وبخاصة في عمليات المهبل ، وهو (بالمناسبة) تلميذ فونركيل صاحب العملية المعروفة باسمه (واصل) وكان فونركيل هريفاً ومحبساً كبيراً ، وقد اكتب لي قبل وفاته انه يتبرع بعشرة آلاف باون لمن يبال الاولوية في التخرج في الامراض النسائية بشرطين اولهما ان يكون اسكوتلندياً وثانيهما ان لا يكون من المدخلين .

فقلت :

— لا بد كان فونركيل من غير المدخلين .

فقال سربوكالد .

— على العكس كان لا يرى إلا والسيكارة في فمه .

— إني انه اترك مضار التدخين فانقطع عنه ودعى الى مقاطعته بالمبلغ الذي

خصص للمتوفى بموضوع النساليات .

فقال لي :

— انه لم ينقطع عن التدخين ، وقد تكون وفاته بسببه .

لقد كانت امسية ممتعة في دار بوكالد بيرد لولا انها انتهت باستسلام السربوكالد

بيد للنحاس مبكراً ، ولم افطن الى ذلك إلا بعد ان اشار اليّ الدكتور اسامه . وعلى باب
داره ودعنا سربوكالد بيد وكانت عينا تكاد ان تكونان مطبقتين .
وبعد سنين بلغني ان الليدي بيد ختمت حياتها في احدى المصححات النفسية
باطراف كلاسكو .

الدكتور (ن) ايضاً / ١٩٦٥

لم يعتد صديقي (الدكتور ن) ان يراسلني ، بينما كان يكثر من زيارتي ، وقد
ينورني اكثر من مرتين في الشهر الواحد ، فاستفريت جداً حين وجدت على منضدتي في
مستشفى السامرائي مظلوماً عرفت مصدره في الحال ، فحط صديقي (ن) متميز
اشخصه بسهولة ، تشاءمت قبل ان القي على صفحته نظري ، إذ لم ارتح له حين
زارني آخر مرة قبل نحو اسبوعين ، كان يتكلم وفي صدره غصة وهذه صورة كتابه بعد ان
ادخلت عليه بعض التصحيحات (صديقي واخي الاعز كمال ، يا أغلى من اعرف من
الاهل والاصحاب ، فانت الوحيد الذي يفرح لفرحي ويتألم لمأتي ، ولن يبكي عليّ احد
بالم وحرقة كما ستفعل انت ، وانا اعرف ذلك بيقين .

لقد توفيت امي التي يمكن ان تفجع بوفاتي مثل أي ام تفقد ولدا ، اما زوجتي
فانها سوف تصرخ وتبكي وتشق ما يستر صدرها من ثياب ، ثم تلبس السواد ، واعرف
انها ستجزع من هذه الشكليات بعد ايام قليلة وقبل ان يجف القراب الذي يوارى
قبري ، ثم تغادر العراق الى اهلها وتنسى كل شيء ، وتضحك بجدل ، فزوجتي اللثيمة
لا يمكن ان تتخلى عن طبيعتها ، انا اتوقع كل ذلك ياكمال ، بل اعرفه معرفة اكيدة ،
هذه هي زوجتي ، فانا زوج مخدوع ، وانا مغلوب على امري بمحبتتي لها ، وهي
لا تستحق ذلك . ويؤلمني ان الناس يعرفون ذلك ويحتقرونني بسببه . فمن من اهلي
ترك نكراً طيباً ليفخر الناس لي خطيأتي ، فابي متهم بقبول الرشاوي كاكتر افراد
الشرطة صغيرهم وكبيرهم ، ومتهم بالخلاعة ، واخي من الشباب المجرمين اخلاقياً
وانت تعرف بعض اعماله التي يندى لها الجبين ، وعمي سارق محترف . واختي
المسكينة افضل ما لي اسرتي ولا عيب فيها الا صراحتها وجمالها وابتساماتها للناس
جميعاً ، فمن بقي من اسرتي بلا معابة ليحترمها الناس . ويحترموني لاجلهم وابنتي
الصفيرة بريئة إلا انها ستوصم يوماً حينما تكبر باحد عيوب العائلة او جميعها . هي
جميلة مثل امها وياليتها لم تكن تشبه امها .

وانا اتوجع ياكمال من مرضي الجلدي الذي تعرفه ، وتزيد اوجاعي منه في ساعات الليل ، فلا استطيع ان انام ، والارق بقمضي ، ولم تعد المنومات تنفعني الا لساعات قليلة ، و (هي) لا تقربني لانها لاتزال تعتقد انني مجنوم وتخاف ان تصاب بمرض فتكون مثلي مخيفة ، ولاظنها تنفر مني بسبب مرضي وحده بل زهداً في بعد ان حصلت مني على وطرها ، فاين اذهب ياكمال ؟ واغفر لي ان سمعت وفاتي المفاجئة وسوف تعرف حينذاك كم انا في حال سيئة لا علاج لها (إلا الموت) .
اخوك (ن)

لقد اخافني صديقي (ن) بهذا المكتوب ، وقدّرت انه كتبها في ساعة اضطراب نفسي لاغير ذلك ، على الاكثر ، فكتبت اليه ان ياتي الى بغداد لنبحث موضوعه من كل جوانبه . ولم يجرىء الى بغداد في يوم الخميس كما توقعت بل جاءني خبر وفاته في صباح الجمعة بالذات ، فبكيت بزفرات حارة . ولم يذهلني هذا الخبر بقدر ما اخذني الفكر الى كيفية وفاته ، فقد عدته ميتاً حين ودعني آخر مرة قبل اسبوعين .
رحم الله صديقي (ن) واسكنه فسيح جناته .

المؤتمر النسوي السابع في كلاسكو / ١٩٦٥

وصلتني دعوة من استاذ الامراض النسائية والتوليد بجامعة كلاسكو الدكتور ايان دونالد لحضور المؤتمر النسوي البريطاني السابع عشر بكلاسكو ، وكان الاستاذ دونالد قد زار بغداد بدعوة مني بصفتي رئيس قسم الامراض النسائية والتوليد . وصلت كلاسكو بالطائرة ، وفي المطار سالت سائق سيارة اجرة ان يجد لي من يحمل حقيبتي الى داخل الفندق الذي كان يعلو مباشرة محل وقوف سيارات الاجرة ، وكان هذا السائق شاباً وسيماً حسن القيافة فاجابني بلهجة فيها إمالة واضحة ، فعرفت لأول مرة ان لهجة هذه المدينة الاسكوتلندية تختلف عن اللهجة الانكليزية ، قال لي هذا السائق بادب :

— يسرني ان اساعدك ، ولكني لو فعلت ذلك لسببت مشكلة ، ورفع رأسه وصفر بغمه . ثم صفر مرة ثانية فاطل من على رأس رجل يرتدي زي الحمالين وعلى صدره قطعة معدنية باسم الفندق .

والتفت سائق السيارة نحوي وهو يقول :

— هذا هو حمال الفندق ، وسيجيئك حالاً ليحمل حقيبتك الى الفندق ، واقتفيت اثر الحمال الى الفندق ، اما السائق فبقي واقفاً حذاء سيارته وهو يتابعني بنظراته واخيراً رفع يده ليودعني وهو يحثني ان الحق بالحمال ، ورفعت له يدي ممتناً

لمساعدته واعلمه انني فهمت مايريد . وفي اليوم الثاني ذهبت الى محل المؤتمر في جامعة كلاسكو لاسجل اسمي مع المشاركين فيه . وكتابة اسمي مشكلة بالنسبة للاجانب من غير العرب ، ولغير العراقيين احياناً ، فيلفظونه ويكتبونه (سامري) او (سامري) فالفظه امامهم بتقطيع ومع ذلك يستمر الخطأ في كتابة اسمي باقلامهم . اما في فنانق لبنان فيكتبونه (سمراثي) او (سامري) وحين اقول لهم انني مسلم ولست سامرياً فيقولون : شو يعني الفرق ، فاقول لهم السامريون من اليهود القدماء ، فيأخذهم العجب وفي اليوم الثاني توجهت الى جامعة كلاسكو ، وجلب نظري باهتمام واعجاب الباب الوسيعة المصنوعة من الحديد المطروق ، وعليها اسماء مشاهير الاطباء الاسكوتلنديين مكتوبة بماء الذهب او هو بهان يشبه لون الذهب . وفي قاعة واسعة عالية السقوف اركان مزينة بصور مشاهير الاطباء الذين وردت اسماؤهم على باب مدخل الجامعة .

وبينما كنت اثبت على ياقة سترتي شارة المؤتمر ومن تحتها اسمي بحروف كبيرة نسبياً صرت امام الاستاذ (كوردون لنن) ، وهو احد الذين زاروا كلية الطب ببغداد سنة ١٩٥٦ وشاركني في تعليم الطب فيها لمدة ثلاثة اشهر ، وهي اطول مدة بقيها استاذ زائر ببغداد ، وتحدثت اليه وسألته عن زوجته (برتا) وعن اولاده ، وكانوا جميعاً معه ببغداد .

— انت لم تتغير ياكمال ، وكانني اراك نفسك في هذه اللحظات تقطع بيديك لحم القوزي وتملا صحتي به . وفي هذه اللحظات انضم اليها الاستاذ هارولد مالكن وهو نائب رئيس الجمعية الملكية البريطانية للجراحين والمولدين بلندن ، وكان هذا قد زار ايضاً كلية الطب ببغداد بدعوة مني ، وهو نشط الحركة والفكر بالرغم من بلوغه منتصف العقد الثامن من عمره ، واستان مالكن من لنن وقادني من يدي كما يفعل الصديق الحميم وهو يقول لي :

— تعال اعرفك على الاستاذ جيف كوت .

وخطونا بضع خطوات وصرنا امامه فاذا هو غير ما تصورته قبل ان اراه ، نحيف باعتدال ، اسمر البشرة كث الشارب ، اشيب الشعر ، وكنت اتصوره من خلال كتابه المشهور في الامراض النسائية وكتاباته الاخرى شيخاً كبيراً ، وضخم الجثة ، طويلاً ، وسألني جيف كوت عن بغداد واطباؤها فقلت له :

— إنهم يعرفون عنك كثيراً وينتظرون زيارتك لبغداد بفارغ الصبر ، ولما وصلت برقيتك بالاعتذار عن قبول الدعوة كانت لنا خيبة امل ، وجاملني بقوله :

— كان في جدول اعمالي في هذه السنة زيارات كثيرة الى جامعات خارج المملكة

المتحدة وجميعها وعود مثبتة لاحجة لي في رفض اي منها ففي شهر آذار كنت في (جوها نمبرج) بدعوة من الاستاذ لويس ، لمشاركته في امتحان طلاب الكلية ، وفي شهر مايس لبیت دعوة جامعة (هويكنز) بامريكا وفي اول شهر ايلول القائم اكون في سبني بدعوة من جامعته . وانتبهز مالكن انشغالي بالحديث مع جيف كوت فغارنا لحظة وعاد معه رجل طويل القامة ضخم الصدر والبطن وقدمه الي باسم (ستول ورتي) ، وكنت اقرأ له فيما ينشره في مجلة (B.M.S) وكم كنت اتمنى ان اسمعه وهو يحاضر ، فيخرج عن محور موضوعه ليفند رأياً سائداً في علاج حالة نسوية ، وارتدت ان اجاذبه الحديث غير اننا في تلك اللحظات سمعنا جرس المؤتمر يجلبجلى ايداناً ببدء الاجتماع والتوجه الى قاعته الكبيرة ، وصعد الدرجات الثلاث السر (دوكالد بيرد) ، وقد عرفته من قفاه ، وكان هو الآخر قد زار كلية الطب ببغداد وحاصر فيها ، واكل على موائدنا من القوزي والمسكوف فاعجب بهما . وصحنا القوزي والمسكوف من اشهر الماكولات العراقية ، ولايكاد يخلو من احدهما مائدة تقام للأحانب الذين يزورون بغداد ، فياكلون منهما بشهية الى حد التخمعة ، الا ان هذه حين تتكرر بتكرار الولايم المتعاقبة تفقد لذتها الى حد ما ، ولذلك قال لي السرهاولك مالكن ان القوزي او المسكوف الذين نراهما على كل مائدة بيدوان وكانهما فضلات موائد سابقة ، ومع ذلك فشهيتهما لهما لا تقل .

بدأ السربوكالد يتكلم مرتجلاً ، وقد يلتقط من ورقة صغرية يحفظها بيده اليمنى رأس موضوع جديد ، فيعود يتكلم بسلاسل متسلسلة شذنا اليه ، فلم افقد انا نفسي مما قاله كلمة واحدة ، بدأ حديثه قائلاً :

— في هذه القاعة قبل اربعين سنة حاضرتي ثلاثة اساتذة من الذين درست عليهم في جامعة كلاسكو ، فلا انتهى من احدهم حتى يبدأ آخر ينهال عليّ بأسئلة اخرى ، ولم يكن الممتحن الثالث اقل صرامة معي في اختبار معلوماتي في موضوع الجراحة النسائية ، ثم شرع يتحدث عن التطورات التي استحدثت وضيفت الى معارفنا في الطب النسائي ، ونقد بعضها ومجد بعضها الآخر وهو يقول : كم يسعد المرء لو يخلق من جديد من هذه الايام .

في ادنبرة ومانجستر / ١ / ٨ / ١٩٦٥

اوفدني المجلس الثقافي البريطاني الى المملكة المتحدة للاطلاع على اعمال الاستاذ (روبرت كلر) في ادنبرة والاستاذ جون هنتر في منجستر ، وهما يومئذ اشهر اساتذة بريطاني في الامراض النسائية والتوليد . وكنت اسمع عن الاستاذ روبرت كلر

وأقرأ له باهتمام بعد أن عرفت من الأستاذ روجرز في بغداد أنهما كانا زميلان أثناء الحرب العالمية الثانية بشمال إفريقيا ، ونظم لي المجلس الثقافي مستلزمات سفري وسعة الدخول إلى بريطانيا وأماكن إقامتي بلندن ومنجستر وأدنبرة . وفي ظهر اليوم الذي حدد لوصولي إلى أدنبرة كنت أضرب بالمطرقة السوداء باب بيت (مستر ميجل) ، وهو بيت صغير بطابقين يطل على (الرويال بارك) (الفسيح ، وانفتح باب هذا البيت وطلعت عليّ سيدة بطول معتدل ، وذات بشرة وردية ويعمر يناهز الخمسين سنة ، واستقبلتني ببشاشة وكانني أحد معارفها الذي تنظره وراء الباب وسألتني :
دكتور سامرائي ؟ أنا مدام ميجل . وفسحت لي الطريق إلى داخل بيتها وهي تدعوني إليه بترحيب . وتبعتها وأنا أتجنب بحذر كلباً ضخماً من نوع الكلاب اللزاسية كان يضطجع على جنبه ، ولما نهض واقفاً على مؤخرته ، صاحت عليه مدام ميجل تقول :
إنه ضيفنا يا (جيف) فعاد الكلب يضطجع في مكانه وهو يتابع حركاتي بعينيه اليقظتين . وقادتني المدام إلى حجرة في الطابق العلوي من البيت ، وهي حجرة صغيرة ومؤنثة بذوق ولها نافذة وسيدة تطل على البارك الفني بالأشجار العالية وشجرات الزينة والورد بألوان جميلة زاهية ، وإلى جانب تلك النافذة طاولة صغيرة للكتابة يملوها رف عليه بعض الكتب عرفت من عناوينها المكتوبة على كعوبها أنها كتب مدرسية في المرحلة الجامعية . كما في الغرفة خزانة كان نصفها قد احتوى على ملابس رجالية ، أما النصف الآخر فقد وجدته خالياً من الملابس فحسبته قد ترك لاضع فيه ملابس .

فملأته بما في حقائتي من الملابس . ثم ارتيمت على السرير المحشور بين طاولة الكتابة وخزانة الملابس ، وسرعان ما نادتني مدام ميجل لتناول طعام الغداء . ولما صرت على باب غرفة الطعام نهض لي عن كرسي حول المائدة رجل في نحو الخمسين من عمره قصير القامة ، أحمر الشعر ، كث الشارب ، كان هذا هو رب هذا البيت (مستر ميجل) . وما كنت آخذ مكانتي على كرسي إلى جانب هذا الرجل حتى ولج الغرفة شاب في العقد الثالث من عمره ، وعرفت بعد تعارفي معه أنه فزيل آخر في هذا البيت ، ويعمل في إحدى المؤسسات الأمريكية بأدنبرة . وصرنا أربعة حول مائدة الغداء . وكان هذا الشاب طلقاً في كلامه وحركاته شأن أكثر الشباب الأمريكيين . فقال في أثناء تجاذبنا الأحاديث ، من السهل أن يعرف الإنسان الشرقيين من العرب ، ورأيت ملاحظته ساذجة لا داعي لها إلا وجودي مع هذه العائلة وأضاف يقول :

— واعتقد أن الذين يستعملون أصابعهم في تناول طعامهم لا يزالون يضربون الكلاب ، أو على الأقل يمنعونها من دخول بيوتهم ؟

فقلت له :

— إن سكان الريف يربون الكلاب للحراسة ، والرعاة لحماية الاغنام من الذئاب
فقال الشاب الامريكي .

— ليس لهذين الهدفين فقط تربي الكلاب في امريكا ، انهما موجودان عند العرب
بشكل خاص .

وتشعب الحديث حول مائدة الغداء عن العرب ، فقال الامريكي فيما قاله :

— يعرف العربي من سمرة بشرته وسواد عينيه والبروز في خلف رأسه .
ورأيت تعريف هذا الامريكي للانسان العربي غير دقيق ، فقلت بنفس الروحية :
— ويعرف الامريكي من قص شعر رأسه وجرس نطقه الذي يخرج بعض منه من
منخريه .

فقال الامريكي بحماس ملحوظ :

— انا ادلك على طريقة لاتخطيء على معرفة الامريكي .
قأنصتنا جميعاً اليه فقال باعتداد وجدية :

— ان الامريكي على مائدة الطعام يمسك السكين بيده اليمنى والشوكة بيده
اليسرى ، فاذا انتهى من تقطيع اللحم الذي في ماعونه وضع السكين على حاشية
الصحن ، وامسك الشوكة بيده اليمنى لينقل بها قطع اللحم لقمأ الى فمه .

ولم ار في هذا التعريف دقة ، وخصوصاً اذا كان في الصحن من الاطعمة ما ليس
ما لا يقطع بالسكين ، ولكنني لم اقل ذلك . بل قلت ان كثيراً من العرب ، لافي القرى
وحدها بل في المدن ايضاً ، يفضلون تناول طعامهم بايديهم ، اما الموائد التي يعدونها
لضيوفهم فتكون عليها انواع الصحن والسكاكين والملاعق بحسب نوع وجبات الطعام
التي تقدم على المائدة ، واضفت ان ثلث العالم ياكلون باصابعهم ، وثلث بالاعواد ،
والثلث الآخر بالسكاكين والشوك . وفي بغداد نتناول طعامنا بحسب نوعيته فبعضه
لا يؤكل إلا بالاصابع ، وبعضه يؤكل بالملاعق ، واضفت : وانتم الا تاكلون الساندويج
بايديكم . وسألتني مدام مجل : وكيف تتناولون السلطة بالاصابع ؟ فاجبتها
بصراحة :

— ان الفقراء الذين لا يملكون السكاكين والشوك لا يملكون ايضاً شراء مكونات
السلطة (وادفت) ان تنوع الطعام على الموائد هو الذي اوحى باستعمال السكاكين
والشوك ، ولنا في العراق ترتيب خاص في تسلسل تناول اطعمة المائدة ، فناكل الحلوى
بعد الطعام ثم ناكل بعدها الفواكه ، وانتم تاكلون البطيخ قبل غيره من اطعمة المائدة ،
وتاكلون الجبن ختاماً لوجبة الطعام .

ولما طال سكوتنا قليلاً سألت :

— ولا أرى الكلب (جيف) بيننا .

ولم يكن سؤالى موجهاً الى حد ، فاجابتنى مدام مجل :

— انه عند باب غرفة الطعام من الخارج ، وانه لا يدخل غرفة الطعام إلا اذا طلبنا منه ذلك .

وبعد سكوت لم يطل قالت مدام مجل عن تربية الكلاب وقلة اهتمام العرب بها :

— في الحقيقة اني لا استطيع ان اتصور كيف يكون حالي طوال نهار كامل حين

لا يكون (جيف) معي في البيت !

وقال مستر مجل :

— اكملني يا عزيزتي .

وضحكت مدام مجل وقالت :

— و (سامبي) ايضاً ، لاحتمل فراقه عني .

فسألت المدام : — سامبي ، كلب آخر ؟

فاجابني مستر مجل :

— لا ، انه قنفذ .

وكانت مدام مجل في تلك الدقائق تمرس قطعة خبز بمرق دجاج في ماعون صغير ،

فقالت تكلم الشاب الامريكي :

— تعال لترى حبيبي سامبي .

واردت ان ارى هذا الحبيب فنهضت معها الى الحديقة ، وبدأت مدام مجل

تنادي القنفذ باسمه .

— سامبي ، سامبي .

وقبالة تحركت الحشائش ليظهر من بينها قنفذ بخرطوم اسود ويطن مفتخة ،

وتقدم باطمئنان من مدام مجل ، وتوقف عند قدمها فوضعت امامه صحن طعامه من

المريس الذي إستحضرتة ، وبدأت تمر باصبعيها صعوداً وهبوطاً على خرطوميه وهو

يلعق المريس من الصحن ، ولما انتهى منه مدت مدام مجل اصبعها الى مؤخرته وهي

تقول له ، هيا في الامان ، وبب القنفذ في طريقه الى داخل الحشائش واختفى .

ولما عدنا الى غرفة الصالون وقف الكلب (جيف) على بابها ولم يتبعنا الى

داخلها ، وبدأت مجل تتني على كلبها وتشرح كيف يحمل زجاجة الحليب عن عتبة

البيت بفكيه ليضعها على الطاولة التي في مدخل البيت ، وكيف يفتح فكيه لساعي

البريد ليضع الرسائل في فمه فيحملها الى الطاولة بجانب زجاجة الحليب . فقال

الشباب الامريكي : ان قابلية الحيوان على التقريب كبيرة تدعو العجب ، والتفت نحوى يقول :

— هل رأيت الخيول الاسبانية في فينا ؟

فقلت المدام قبل ان ارد على سؤاله :

— قرأت عنها كثيراً ورأيت لها صوراً وهي ترقص تدعو الى الدهشة !

— وعاد الامريكي يسألني :

— يقال ان تلك الخيول عربية ، فهل هذا صحيح ؟

فاجبت بتواضع :

— يقال ، فاذا صح ذلك فلا غرابة في ذلك فقد عاش العرب زهاء ثمانية قرون في شبه

جزيرة ايبيريا الاسبانية ، وقد تكون هذه الخيول من نسل خيولهم حين دخلوا تلك الجزيرة . وهي على اى حال تنسب الى اسبانيا (واضفت) ، وكلها بيضاء ، ثم تسائل الشاب الامريكي .

— وهل بين لونها ونكاتها علاقة ؟ ، فهي ذكية وتبدو حركاتها ارامية لا غريزية ،

ومقصودة لا عفوية ، بل تدرك انها ترقص على نغم ، فهي التي تتبع الموسيقى وليس العكس ، وتطرب حين يصفق لها المشاهدون ، ولو حباها الله وجهاً يكتنز فيه لحوم المضلات للتعبير عن مشاعرها كما يفعل الانسان لكان تعبئها بالحبور اى تعبئ .

فقلت للشباب الامريكي . ان ثمة علاقة بين نكاء هذه الحيوانات والوانها ،

والخيول البيض نادرة ، وكذلك الجمال البيضاء ، وقد يصح ان تقول ان النادر من

ضروب الصنف الواحد من الحيوان والنبات له صفات متميزة وذات قيمة عالية ،

والفرس الابيض له هالة تجعله يبدو اكبر حجماً وارشق حركة . وانتهت الى نفسي

انني ارتجلت هذه المعلومات ولو انني قد سمعتها من بعض مربى الخيول في العراق .

ثم قلت نحن ندعو الخيول البيضاء صفراء ، ورد علي الشاب الامريكي .

— ولكنها بيضاء ناصعة .

فقلت :

— نعم انها بيضاء ولكننا نسميها صفراء ، لانها تولد بلون قريب من الصفرة وشيئاً

قشياً مع تدرج عمرها تنزع ثوبها الاصفر لتلبس ثوباً ابيض . ولا تولد الفرس بيضاء

قط ، فهذا اللون يكتسب مع العمر ، وسألني الشاب الامريكي :

— وماذا تسمون الخيول الصفراء .

— ليس هناك خيول بلون اصفر في بلادنا كما نراها عندكم في السينما فعاد الشاب

الامريكي يقول :

— اقصد الخيول التي اقرب الى اللون الاصفر ، ماذا تسمونها ؟

— نسميها شملاء .

وعمر علي تفسر هذا اللون .

وسألني :

— والخيول الحمراء ؟

— نسميها حمراء او رمانية :

— والرمادية او الرصاصية ؟

— زرقاء .

وسال الامريكي مدام ميجل .

— هل رأيت فرساً عربياً يامدام انها جميلة حقاً ، هي اصفر جرمًا ولكنها ارشق من

خيولنا وانشط ، وهي ايضاً اسرع منها جرياً ، واذكى .

ورأيت ان اجعل حديثنا عن الخيول العربية شاملاً فقلت :

— هي اسرع من الخيول الاوروبية غير ان مداها في الجري السريع اقصر .

وقال الامريكي .

— الخيول في الاصل البعيد امريكية ، وكذلك الجمال ، وقد دخلت اوروبا وآسيا قبل

ان تغمر في البحر القارة المفقودة التي تمتد من امريكا الى اوروبا ، وقد تطور شكل

الخيول بفعل البيئة . فكانت احسن انواعها هي التي عاشت في الجزيرة العربية ، اما

الخيول التي عاشت في آسيا الشرقية فلم يكن لها حظ من الجمال الذي كسبته

الخيول العربية ، فكانت متينة العضل قصيرة البدن والرقبة لتستطيع المشي على

الاراضي المتعرجة والجبلية .

وطربت لثناء الامريكي على الجياد العربية .

وفجأة علا نباح الكلب (جيف) فقالت مدام هيجل :

— هذا هو جون .

وبعد برهة طلع على باب الغرفة (جون) ، وجون هذا شاب رفيع العود طويل

القامة ، وفيما عدا ذلك فهو مثل أبيه احمر الشعر وبعينين صغيرتين متقاربتين وكأنه

يركز بامعان في نظراته . وقامت امه لتقدمه الينا وتقول : هو في الصف المنتهي من

الدراسة الجامعية ، يشغل في ايام العطل بنقل اكياس الصوف من الشاحنات الى

ظهور السفينة . وجلس جون على كرسي صغير بلا متكأ ، وتقدم منه الكلب جيبف ووضع

رأسه بين فخذي جون وجون يمر باصابعه على جبهته ورقبته ، فقالت له امه كفى

يا ولدي قدّلع جييف وقم لتناول غداك ، بالمناسبة ماذا اعددت لنا ليوم غد يا عزيزي ، فاجابها جون باقتضاب شديد قائلاً : — مفاجأة ، لم يسبق ان استمتعنا بمثلها في اي يوم من أيام الاحد . ولما كان صباح يوم غد الاحد ، نقلت مدام هيجل الى سيارة زوجها الفورد السندويجات التي استحضرتها بسرعة ، وادوات الشاي ، خمسة قنّان من البيرة . واخذت مكاني الى جانب مستر هيجل وهو يقود سيارته واحتلت زوجته وابنها جون والامريكي مقعد السيارة الخلفي . وقاد مستر هيجل سيارته بتؤنه في طرقات متعرجة على سفح جبل غير عال يطل على بحيرة صفيرة تبعد نحو عشرين ميلاً عن الدنيرة ، وكان الطريق اليها مخضراً رائعاً يشرف بعد ان ينتهي من منخفض تطله اشجار عالية ، على بحيرة اخرى اوسع من البحيرة الاولى وتحيطها من جانب واحد اشجار عالية هي امتداد لاشجار الطريق الذي انتهينا منه ، اما الجانب الثاني فكان مديسطاً غني الخضرة بالاعشاب ، ووراء هذا المنبسط بدا لنا بيتان بسقوف قرميديّة ويندفع من احدهما عمود من الدخان الخفيف ، وتناهى اليها من بعيد نواح كلب ، وبهرني هذا المنظر فاطرته امام مدام هيجل وقلت :

— هذا منظر خلّاب ، اليس كذلك يا مدام هيجل ؟

فربت علي بتواضع لا يخلو من التباهي :

— هذا هو الريف الاسكتلندي ، ثم قالت لزوجها ملأحد عدائنا في هذا المكان ، وشرعت تخرج ما حملته في السيارة من المأكولات والمشروبات وادوات الشاي . وموت قريباً منا عربة يملأ حوضها الخلفي خشيش مايرال بعضه طرياً ، يسحبها حصان واحد ضخم ، احمر اللون وكبح الجمة وهو يضرب بقدميه العملاقتين الارض بقوة وكأنه يبق اوتاداً تحت ضربات حوافره . وتناهى اليها صغير متقطع ولكن بنغم رخيم وصار صوت هذا النغم يرتفع شيئاً فشيئاً حين اطلت علينا من اعالي المنحدر فتاة لم تتجاوز مرحلة الصبا من العمر ، ويدها عود موزق من اغصان الشجر تعرب به الحشائش من أمامها الى اليمين مرة وإلى الشمال مرة اخرى ، وكان ينط الى جانبها كلب ابيض مرتبط بالسواد من نوع (الديلميشن) فيظهر بين الحشائش الكثيفة حين ينط ويختفي بعد ذلك ثم يعود يظهر الى جانب الفتاة ولما صارت الصبية حدائنا كفت عن الصفع واعارتنا نظرة ماحصة وهي تتباطأ في مشيتها . فسألها مستر هيجل : ما اسم هذه البحيرة يا أسة ؟ فاجابته باقتضاب : لا اعرف ، انها بحيرة !

وعاد مستر هيجل يسألها هل تسكنين في هذه المنطقة ، فاكتفت بمد يدها مشيرة الى البيت الذي يندفع منه الدخان ، وقالت : — ذلك هو بيتنا ياسيدي .

ثم اشارت الى الرجل الذي يقود العربة وقد ابتعد عنا قليلاً ، وقالت :
 - وذاك هو جدي .
 وكانت بيدي آلة التصوير ، فلما ركزت نظرها الى هذه الالة ، سالتها :
 - اتسمحين ان اصورك يا أنسة ؟
 فاجابتنى وهي تبتسم :
 - مع كلبى (فينو) ان تتفضل .
 والتقطت لها صورة مع كلبها وصورة اخرى التقطتها وانا بينها وبين مسز
 هيجل .
 ثم خطر ببالي ان اسالها .
 - وكيف اعرف عنوانك لابعث بالصورة اليك يا أنسة ؟
 فقال مستر هيجل :
 - هذا ليس صعباً ، انا اوصل الصورة اليها !
 وسالته :
 - وكيف وبيتها نام عن ادنبرة !
 فقال لي بثقة :
 - نبعث الصورة بداخل مظروف الى اقرب قرية من هذا البيت بعنوان ساعي
 البريد ، ونطلب منه ان يطلع على الصورة ليوصلها الى الصبية .
 وفي اليوم التالي حصل مستر هيجل على اسم اقرب قرية الى بيت هذه الصبية .
 وارسل المظروف الى ساعي بريدها .
 ياألهي مااعظم هذا البلد اذا وصلت الصورة بهذه الطريقة الى تلك الصبية !

مع الاستاذ روبرت كلر

في صباح يوم الاثنين ١٩٦٥/٨/٥ استقبلني الاستاذ روبرت كلر بترحيب حين
 دخلت عليه في مكتبه بمستشفى (الانقرمري) بادنبرة ودعاني لشاركه في تناول
 الشاي الذي احضرته لتوها احدى ممرضات دائرته . وروبرت كلر حنطي البشرة
 بسمرة خفيفة ويطول معتدل لا يخلو من النحافة ، وصرنا بعد دقائق نتكلم بانطلاق .
 وكان يسره الحديث عن الشرق الاوسط . وذكرت له اسماء الاساتذة الذين شاركوا في
 تاسيس كلية الطب ببغداد بعد الحرب العالمية الاولى والاساتذة الذين التحقوا بالكلية
 بعد انتهاء الحرب . ولما ذكرت له اسم الميجر روجرز إنتبه الى ذكر اسمه باهتمام

ظاهر ، وسألني بلهفة عما كان يعمل في بغداد ، وقال :
— عملت معه في شمال افريقيا بجيش (مونت كمرى) ثم افترقنا بعد ان طلب
الخدمة وراء خطوط القتال باوروبا سنة ١٩٤٥ ، وجرح (هناك وقطع روبرت كلر
حديثه لحظة ليؤثر باصبعه الى صورة مؤطرة كانت معلقة على جدار وراء منضدته وهو
يقول) : — هذا هو الميجر روجرز بعد ايام النقاة . وكانت نسخة من هذه الصورة
عندي ، وقد قمتها لي روجرز قبيل مغادرته العراق فقلت لروبرت كلر :
— عندي نسخة من هذه الصورة ، وهي كما اخبرني روجرز بريشة فنان بولوني كان
جريحاً الى جانب سريريه في المستشفى .

فقال لي روبرت كلر :

— هذا ما لم اكن اعرفه ، وانه لممتع لي ان يكون ذلك في علمي . ثم تحدث معي روبرت
كلر عن اعماله في الامراض النسائية بمصر . وايضاً سألته عما اذا كان ذلك على
المجنذات البريطانيات ام على نساء مصر ، فأجابني :
— على كليهما :

ثم قال فجأة :

— بالمناسبة ، غداً صباحاً ستكون لي عملية (فرتايم) على مريضة مصابة
بسرطان عنق الرحم .
فشكرته على هذه الالتفاتة الي .

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي صرت ومعني ستة (اشخاص) في
مكتب روبرت كلر ، وكان هؤلاء متلي قد جاؤوا الى هذا المستشفى لمشاهدة عملية
(فرتايم) ، اثنان منهم من الهنود ، ومصري واحد بعمر الكهولة ، وهو كثير اللفظ
والتساؤلات ، واثنان من شرق آسيا إحداهما شابة ذات ملامح صينية وتتكلم اللغة
الانكليزية بما يقرب من الطلاقة ، وكان روبرت كلر يوليها التفاتة خاصة لا يحظى
بمثلها احد منا ، وهو بين الحين والحين يكلمها بلغة غريبة عرفت انها لغة
(الملايو) ، وسألت هذه الشابة في غفلة من روبرت كلر .

— كيف تعلم الاستاذ روبرت كلر هذه اللغة ؟

فاجابتنني ببساطة :

— انه مولود في سنغافورة ، ودراسته الاولى في مدارسها ، وكان يومئذ بكثف عمه
حاكم هذه المدينة .
ثم سألتها :

— وكيف هو الاستاذ روبرت كلر في العمليات النسائية ؟

فاجابتنني :

— ستراه بعد قليل في صالة العمليات .

فقلت لها :

— انا اسالك عن رأيك فيه ، وانت معه كما فهمت مما دار بينكما من حديث ولا بد
قد شاهدت بعضاً من عملياته .

فاجابتنني :

— انا شاهدت كثيراً من الجراحين النسائيين في عملياتهم ، وقد يكون روبرت ككر من
افضلهم (و اضافت) اني شاهدت مرة (جارلس ريد) المشهور بامكانياته في
الجراحة النسائية ، فلم اره افضل من روبرت ككر ، وهو بالمناسبة استاذ روبرت ككر .
فقلت لها :

— رأيت مرة (جارلس ريد) يقوم بعملية رفع الرحم الكلي . وكانت حركاته في هذه
العملية منظمّة وخطواته فيها وكأنه يتبع دقائق الساعة . وكان يبدو بطيئاً في تلك
العملية غير انه دون ريب كان اسرع جراح رأيت به باعتبار الوقت الكلي لاتمام هذه
العملية .

وقد روي لي انه كان يدرب اصابع يديه في الخطوات العملية على مرآة يضمها
امامه ؛ على اني لم اترك كيف كان يفعل ذلك ولم استعلم عن ذلك ممن نقل لي هذا
الخبر .

هذا ماقلت له هذه الطبيبة الشابة فقالت لي :

— انا لم اسمع ذلك .

وفي صالة العمليات المتواضعة شاهدت روبرت ككر في عملية (فرتايم) . كان
بطيء الحركة ولكنه واثق مما يعمل في القطع والشق والخياطة ، غير اني لم اجده
افضل من الاستاذ (تاسلو انتطوان) استاذ الطب النسوي في جامعة فيينا ، فقد قلع
الرحم وملحقاته والانسجة الحوضية بما فيها الغدد اللعفاوية جزءاً جزءاً . بينما
تاسلو انتطوان اقتلعها جميعاً جملة واحدة .

وعدنا بعد انتهاء روبرت ككر من العملية الى غرفته . وسرعان ما ظهرت على بابها
عربة عليها قوارير واكواب الشاي والحليب والفطائر تدفعها فتاة بزي الممرضات ذي
القماش الازرق . وكان الى جانبي على الاريكة التي اجلس عليها اقدم مساعدي روبرت
ككر واسمه (ميريكوف) ، فاستحوذ هذا عليّ بتساؤلاته عن بغداد وما فيها مما بقي
من آثار العباسيين ، كما الخ باسئلته عن كلية الطب ببغداد والطبابة في العراق .
وسألني بالتخصيص عن حالات تمزق الرحم اثناء المخاض وعن النواسير المهبلية

التي تعقب الولادة ، وعن حالات الانسمام الحبلي والصرع النفاسي . ولما قلت له ان هذه الحالات المرضية اصبحت تاريخية الى حد كبير بدا عليه كأنه في ريبة مما قلته . وكان متوقفاً او غير مستبعد ان يسألني عن هذه الامور ولكنني لم افطن الى انه مزعم ان يزور بغداد فقد علمت بعد ذلك ان المجلس الثقافي البريطاني قد دعاه الى هذه الزيارة ، وقد علمت ذلك بعد عودتي الى بغداد .

وساعة ودعت روبرت كلر نصحني ان ازور الاستاذ (جون هنتر) .
— يجب ان تزوره لتشاهده في صالة العمليات ، فانه تلميذ (فونركيل) بل هو تاريخ جراحة الرحم والمهبل في بريطانيا .
وزودني روبرت كلر بكتاب توصية الى جون هنتر وانا صمتن منه غاية الامتنان .

مطعم مارتن والبنك الاهلي الاسكوتلندي بادنبرة

وقبل ان اتكلم عن زيارتي للاستاذ جون هنتر فانه من الممتع ان اذكر ما حدث لي في مطعم مارتن قبل يوم من مغادرتي ادنبرة ، فقد اعتدت في ما بين الساعة الواحدة والثانية ظهراً ان اتناول مع بعض اطباء مستشفى (انفروري) غدائي في مطعم باسم (مارتن) يقع في الركن المقابل لمدخل هذا المستشفى ، وفي اليوم الذي سبق سفري الى منجستر ، اكتشفت ان ما في جيبي غير كاف لدفع حساب ما تناولته من طعام ، فطلبت النادل باشارة من يدي وقلت له :

— انا اتناول غدائي في هذا المطعم في كل يوم ، فهل تذكر ذلك ؟
فاجابني :

— نعم ياسيدي اذكر .

ثم قلته باستحياء :

— ليس عندي الآن ما يكفي لدفع الحساب .

فاجابني حالاً :

— لا بأس ياسيدي ، وانت من زائن هذا المطعم .

فقلت له :

— ليس هذا كل ما اريد قوله ، بل اريد ان تسمح لي دقائق لاسحب من البنك المجاور

لهذا المطعم .

فقال لي :

— كما ترغب ياسيدي .

وغادرت المطعم اقصد البنك الذي ذكرته ، واخرجت من جيبي دفتر صكوكي امام الشباك الصغير الذي يقف خلفه احد محاسبي البنك ، فلاحظ هذا المحاسب الدفتر الذي فتحته لامي في احد اوراقه ما اريد سحبه ، فطلب مني تلك المحاسب ان اتوقف عن املاء الصك ، وهو يقول :

— عفوا ياسيدي ان موبوعاتك في بنك (ويست منستر) في لندن ، وهذا البنك الذي نحن فيه الان لا علاقة له ببنوك انكلترا إذ هو واحد فروع بنك اسكوتلندا (ثم سألني قائلاً) :

يمسو انك غريب عن هذا البلد !

فقلت له :

— نعم انا غريب عن هذا البلد .

— اين تشتغل ؟

— في مستشفى الانفرمري مع الاستاذ روبرت كلر .

— دقيقة رجاء .

وعاد اليّ بعد اقل من دقيقة ، وطلب مني ان اتبعه الى داخل البنك ، واقتفيت أثره في معربين قواطع خشبية تعلوها الواح من الزجاج نصف شفافة ، حتى صرنا امام رجل اشيب في نحو الخمسين من عمره ، فقام هذا الرجل وشرع يشرح لي قائلاً :

— ان الصك الذي كتبته لا يصرف الا في بنك ويست منستر بفرع (كروم ويل رود) بلندن .

ثم سألني مباشرة :

— كم تحتاج الان :

فاجبت :

— خمسون ياونا .

فطلب من الرجل الذي قادني اليه ان يعطيني هذا المبلغ وعدت الى مكاني الاول عند مدخل البنك ، ومن خلال شباك مد الرجل الذي صاحبني يده وبها خمسون ياونا فاخذته من يده ، وانتظرت لياتيني بورقة اوقع عليها بتسلم هذا المبلغ ، إلا ان هذا الرجل قال لي :

— هذا كل شيء .

— الا تريد وصلاً مني ؟

— ليس الان ، سنتصل بينك ويست منستر (كروم يل) ليحولوا لك خمسين ياونا هي التي استلمتها ونخبرك لتأتي للتوقيع على استلامها . فادهشتني معاملة هؤلاء

القوم وإلتعانهم زياتهم حتى من الغريباء منهم امتالي .

الى منجستر لزيارة الاستاذ جون هنتر

سافرت بالقطار الى منجستر لزيارة الاستاذ (جون هنتر) والسفر بالقطار متعة ، وخصوصاً في وضع النهار حين يمر بالمزارع والغابات وبين البحيرات والقرى . فيستعرض المسافر وهو مرتاح في مجلسه كل تلك وكأنه في صالة عرض سينمائي . كما يعجبني تناول الطعام في مطاعم القاطرات حيث يختصر النادل كثيراً من الشكليات المملة المألوفة في المطاعم التقليدية بالمدن الكبيرة دون مساس بجوهر المتعة على المائدة .

وبعد الطعام في هذه القاطرات على وجبتين الاولى في منتصف الساعة الواحدة ، والثانية في منتصف الساعة الثانية ، فيدخل المسؤول عن تنظيم هاتين الوجبتين الى مقصورات المسافرين ليمسجل من يرغب بتناول غداءه في ابي من الموعدين المذكورين . وكان يجاورني على المائدة رجل في الستين او يزيد ، ممتلئ الجسم قابضاً بيمنه على عصا سوداء بمقبض معدني لامع قد يكون من الفضة . وقد استقبلني حين جلست الى جواره بابتسامة لم افهم معناها . وكانت عصاه طويلة امتدت الى موضع قدمي ، فسحبها وهو يقول لي مشيراً الى العصي .

— انها بالنسبة لي أهم من سيارتي ، فلا استطيع المشي بدونها ، ثم (فجأة سالني) من الشرق .
فاجبته :

— من العراق .

فقال وهو يبتسم بمعنى خاص :

— او ، ما بين النهرين ، بلاد النفط .

فقلت له :

— انا طبيب وكثيراً ما اذهب هذا القطر ، واقصد الان زيارة الاستاذ جون هنتر .

وجون هنتر هذا غم جون هنتر الجراح الاسكتلندي الشهير الذي توفي في اوائل العشرينات من هذا القرن . وساعة قابلت جون هنتر الذي قصدته في منجستر كان قد تجاوز السبعين من عمره ، ولكنه بدا لي اصغر من حقيقة عمره بكثير . وهو قصير الطول ، وردي البشرة ومنفتح الوداج ، وحليق الشارب ، ونو رقبة قصيرة تنوء بتقل رأسه الكبير المكسو بشعر كثيف ، ويتمتع بقوة في التفكير والعمل تتحان الإعجاب . اما

لطم اسنانه التي تصر حين يتكلم قامر مالوف في بلاد الانكليز حتى في الاعمار المبكرة .
وكذلك جلوسه على كرسي صغير متحرك حين يفصل ويفرش يديه استحضاراً لاجراء
العملية .

وسألني جون هنتر حين إستقبلني :

— من العراق ؟

فاجبته :

— من بغداد .

والتفت الى مساعده الاستاذ المشارك (ولتر) يسأله :

— كان معنا طبيب من العراق ، لأنكر اسمه الآن ، فهل تذكر ذلك ؟

فاجابه (ولتر) .

— كان ذلك الزائر من ايران يا سيدي ، لا من العراق .

ولم ينف جون هنتر هذا التصحيح وكأنه لم يسمعه ، واستمر يفصل يديه ، ثم

التفت نحوي وقال تون مناسبة :

— ان امر الاطباء الامريكان لقريب ، فهم يطلبون مقابلتي تون موعد سابق ،

ويطلبون مني ان اعمل اهامهم عملية (فونركيل) لترميم المهبل وسقوط الرحم ، ولما

اقول لهم انني استاذ فخري ولا اعمل في هذه الجامعة الا يوماً واحداً في الاسبوع .

اسمعهم يقولون لي ببساطة .

— ولكننا نقامر منجستر بعد يوم غد . غريب امرهم وكانهم

يطلبون مني عرض بضاعة مختزنة لشرائها مني .

وفجأة سألني :

— كم ستبقى في منجستر ؟

فاجبته :

— حتى اشاهدك تعمل عملية فونركيل .

فقال لي بارتياح :

— هذا جسن وستشاهدني اعملها في الاسبوع القادم في مثل هذا اليوم .

وباستطاعتك ان تزور هذه المستشفى في اي يوم وفي اي وقت . وسألني : هل تعرف

الفزاع على اسم هذه العملية ، وبدأ يشرح لي قبل ان اجيبه على سؤاله مقال :

— كان فونركيل يرمم سقوط الرحم في مستشفى بمنجستر ، وبنوالد استاذ آخر

يعملها بالطريقة نفسها في مستشفى آخر بمنجستر ايضاً ، وصار كل من اطباء

المستشفين يدعون ان استاذهم هو الاول في اجراء طريقة ترميم سقوط الرحم .
وحسماً للنزاع بين من يدعو الى جانب الاستاذ فونركيل ومن يدعو الى جانب الاستاذ
بونالد اقترح ان تسمى العملية باسم المدينة (منجستر) . وهكذا حصل الاتفاق غير
ان اسم فونركيل ظل هو الطاعني في العملية (و اضاف) وأنا تلميذ فونركيل .

معجون ARETUS لتحريض إسقاط الجنين ١٩٦٥

انتشر في مطلع هذه السنة استعمال معجون من صنع انكلترا لاسقاط الاجنة
إسمه ARETUS . وهذا الدواء مجهز بانابيب رخوة كانابيب معجون الاسنان ، ويدفع
الى داخل جوف الرحم عن طريق المهبل وعنق الرحم ، فيثير تقلصات رحمية تنتهي في
خلال يوم واحد بسقوط الجنين . وصار هذا الدواء يباع دون وصفة في الصيدليات . كما
صار الانبوب الواحد يستعمل لأكثر من مريضة واحدة ، وفي ذلك مخاطر تظهر بانواع
من الحالات المرضية . فكتبت الى مديرية المستشفى الملكي بما ياتي :

السيد مدير المستشفى الجمهوري

ادخلت في الردهة العاشرة في هذا الشهر ثلاثة حالات اجهاض جنائي مختلطة
بالتهابات حادة في الانسجة الحوضية نتيجة لاستعمال معجون (الارتيس) فارجو
ان ترفعوا الى علم وزارة الصحة ملاحظتي على مخاطر استعمال هذا المعجون ،
واصدار تعليمات واوامر تحد من استعمال هذا الدواء بوضع ضوابط في استعماله .
مع التقدير

يوم ١٢/٤/١٩٦٥

رئيس قسم الامراض النسائية

الدكتور كمال السامرائي

واستجابت الوزارة الى هذا المقترح وحصرت بيع هذا الدواء في مديرية مخازن
وزارة الصحة ، ولاتباع هذه المخازن الدواء المذكور إلا بتقرير من طبيبين احدهما
اختصاص بالامراض النسائية والآخر طبيب اخصائي بالمرض الذي يتوجب . به
اسقاط الجنين . وهكذا انحصر بيع (الارتيس) بضعة اشهر ثم ظهر في الصيدليات
ويايدي القابلات معجون مماثل لمعجون (الارتيس) باسم UTUS يستورد من ايران
الى العراق بطرق غير مشروعة وهكذا عاد الامر كما كان .

تكريم بشهادة فخرية من الكلية الملكية البريطانية ١٩٦٥/٢/١٠

صباح هذا اليوم استلمت من مورع البريد الكتاب الاتي اترجمه عن الانكليزية
الى العربية . وهذه صورته ايضاً .

الكلية الملكية

للمولدين والجراحين النسائيين

[صورة درع الكلية]

الرئيسة الفخرية صاحبة الجلالة الملكة الام

الاول من شهر شباط ١٩٦٥

عزيزي الاستاذ سامرائي

من دواعي سروري ان ابلفكم ان مجلس الكلية قد قرر انتخابكم عضواً في الكلية
تقديراً لاعمالكم في الامراض الولادية والنسائية متمنين لكم دوام التقدم .

المخلص لكم

ميكتور ماك لينن

الرئيس

ملاحظة — نرجو الاجابة فيما اذا وافقتم على قبول هذا التكريم .

والمالكوف ان تمنح العضوية في هذه الكلية أولاً ، فاننا أثبت من يحملها كفاءة في
اختصاصه تمنح له حينذاك درجة الزمالة ، ومن يحصل على الدرجتين معاً قليلون
جداً . فاعدت قراءة تلك الرسالة وصرت افكر في من اثار هذا التكريم في مجلس الكلية
الملكية بلندن ، واستذكرت الاساتذة الذين زارو كلية طب بغداد واحداً واحداً ، وكان
اولهم كرين ارميتاج . وقد شاهدني يوماً اصنع انبوبي الرحم باستعمال انبوب من مادة
البوليثين . هل هو كورين لننن الذي زار كلية الطب استاذنا مشاركا لمدة ثلاثة اشهر في
موضوع النسائيات ؟ هل هو الاستاذ نكسون وقد القى محاضرتين لطلاب الصف
المنتهي حول استخدام مادة البوليثين والذي زار كلية طب بغداد استاذاً مشاركاً في
شعبة الامراض النسائية والتوليد ، ام هو الاستاذ نكسون الذي زار الكلية والقى
محاضرة في اغذاء الحوامل على طلبة الصف السادس ؟ ام هو الاستاذ هارولد مالكن

الذي زار العراق في سنة ١٩٦٢ ، ام هو ايان دونالد الذي استقرته كلية طب بغداد وشارك في امتحانات طلابها في السنة الاخيرة بالكلية ؟ وهؤلاء من اكابر الاساتذة الانكليز في الامراض النسائية ، وهم وحدهم الذين زاروا كلية طب بغداد ، وحضروا قاعة المحاضرات في الكلية التي كنت احاضر فيها ، كما دخل بعضهم قاعة العمليات وشاهدوا تصنيع انبوي الرحم . وتابع مشاهدة هذه العملية من بدايتها حتى الانتهاء منها . الاستاذ هارولد مالكن نائب رئيس الجمعية الملكية للمولدين والجراحين النسائين فلا يستبعد ان يكون هو الذي رفع مقترح منح زمالة الكلية . وباية حال اجبت على رسالة الكلية التي نكرتها آنفاً ببرقية مفادها (انني اتشرف بقبول هذا التكريم) . ووصلتني بعد اسبوعين الشهادة الخطية مكتوبة على ورق سميك ومحلة بزخارف جانبية كتبت في وسطها هذه التعابير .

الكلية الملكية البريطانية للأطباء المولدين والجراحين النسائين

اجتمع مجلس كلية المولدين والجراحين النسائين وقرروا ادخال كمال السامرائي زميلاً في هذه الكلية
الرئيس سكرتير الكلية
هكتور ماك لندن توماس لويس

التاريخ ١٩٦٥/٥/٣٠

وفي يوم ١٩٦٥/٦/١٧ وصلني الكتاب الاتي من رئاسة جامعة بغداد .

رقم ٦٥٢

تاريخ ١٩٦٥/٦/١٤

الدكتور كمال السامرائي الاستاذ في كلية الطب

الموضوع : تهنئة وتقدير

احيط مجلس الجامعة علماً بمنحكم زمالة الكلية الملكية والجراحين النسائين في جامعة لندن مع شهادة فخرية FRGO وعليه فقد قرر المجلس بجلسته العاشرة المنعقدة بتاريخ ١٩٦٥/٥/٢٨ توجيه التهنئة والتقدير اليكم لجهودكم الطبية في حقل اختصاصكم مما رفع سمعة جامعة بغداد في الاوساط الجامعية العالمية .
الدكتور عبد العزيز الدوري
رئيس جامعة بغداد

وحيث علم اعضاء قسم النسائيات الذي رأسه بهذا التكريم اخبروني انهم سيقبمون لي حفلاً تكريمياً بهذه المناسبة ، فشكرتهم على ابرحيتهم مقدماً غير ان ماحدث يدعو الى الضحك ، فقد نصيت كلياً امر هذه الحفلة وارتبطت في ليلتها بموعد مع احد الاصدقاء . فانتظرتني المحققون اكثر من ساعة واخيراً بعثوا ورائي الزميلين الكريمين الدكتور فؤاد حسن غالي والدكتور اسامة عبد الله وهما اعضاء قسم النسائيات في المستشفى فوجدوني في دار الدكتور مظفر الزهاوي ، فصحبتهما الى محل الحفل بنادي المنصور . وكان من المدعوين الى هذا الحفل وزير الصحة الدكتور شامل السامرائي ، ورئيس جامعة بغداد الدكتور عبد العزيز الدوري وبعض رؤساء الاقسام في المستشفى الجمهوري . وحيث صرت بينهم تفتحت قرائح الزملاء بالنكت علي ، واقل ماتندروا به قولهم ان النسيان من صفات الفلاسفة وكبار العلماء ، فنهضت لاسكتهم واقول كلمتي قبل ان يستمرسلوا بالنقد على نسياني الموعد الى هذا الحفل فقلت : (اعزائي الزميلات والزملاء ، اسمحوا لي قبل كل شيء ان اشكر الاخوان الافاضل من غير اعضاء قسم النسائيات الذين تفضلوا بالحضور الى هذه الحفلة الكريمة التي شرفني بها الزملاء . (ثم قلت) انا متأكد ان اعضاء مجلس المولدين والجراحين النسائيين البريطانية قد نصوا الان اسمي الذي تريد فيما بينهم عند اخذ قرار لمنحي الشهادة الفخرية ، اما الذي لم ينصوه فهو اسم جامعة بغداد التي انتمي اليها) . وقلت غير ذلك بما يناسب المقام . ثم نهضنا جميعاً الى تناول العشاء .

شبح الخطيئة / ١٩٦٦

شابة في نحو مطلع العقد الثالث من العمر ، ناعمة الجسم والبشرة ، ووجهها بيضوي ينتهي بذقن رقيق ، ولها عينان براقتان باستسلام وتطلع . ولباسها بسيط ولكنه غير رخيص وتتدلى من على رأسها عباة تتحدر حتى تضرب الارض بينما تكشف فرجتها من امام عما تحتها من ثياب زاهية الالوان بتناسق ونوق . اما زوجها الذي كان معها فكان في العقد الرابع من العمر الا انه يبدو اصغر من ذلك بكثير وقد تزوجها عن حب متبادل بينهما ، ولم ينجبا . فقصدني مع زوجته ينشد علاج حالتها . وسالت الزوجة :

— هل اجريت لك بعض الفحوص ؟

ولم تجبني هي اما زوجها فدفع امامي ملفاً فيه العديد من اوراق الفحوص المختبرية ، وقرأت من بينها تقريراً يخصه ، فانا هو عقيم بموجب هذه التقارير ورفضت

رأسي انظر اليه بمعنى .

وأنا حين اجد سبب العقم في الزوج اطلب من الزوجة ان تغادر عيادتي بضع دقائق لأكلم الزوج ، في موضوعها وافعل ذلك لكي لا أطمئن في رجولته امام زوجته ، غير ان الزوج اعترض يقول :

— لا داعي لخروج زوجتي فكلانا نعرف ان سبب عدم الانجاب في لا في زوجتي .
واريدك بهذه الزيارة ان تفحص زوجتي فقلت له :

— ما الفائدة .

— لا يادكتور ، اريد ان تفحصها .

وشرعت انظر في اوراقها ، فلم اجد فيها مايدل على العقم ، ومع ذلك قلت له :

— يااخي اذا عرفنا سبب عدم الانجاب في الزوج او الزوجة فلا حاجة ان نفحص الطرف الاخر .

— مع ذلك ارجوك ان تفحصها ، اخرج ؟

— لا مانع عندي من بقائك الا اذا طلبت زوجتك ذلك .

وفحصت الزوجة فلم اجد فيها سبباً عضوياً او فسلجياً يمكن ان يكون مانعاً

للحمل ، وشرحت كل ذلك لزوجها ، فسألني :

— طيب ، دكتور كيف تحل هذا الموضوع ؟ (ثم اريد قائلاً) انا ذهبت الى اوروبا

واكد لي (الدكتور بويد) انني عاقر وليس لي علاج ، وان زوجتي طبيعية ، ونصحنا

نتبنى طفلاً ، فرفضت الفكرة ، وعرض عليّ تلقيح زوجتي اصطناعياً فاستبعدت هذه

الفكرة باشمئزاز ، وبالييتني عملت بها ، فزوجتي الآن تريد طفلاً منها ان استحال ان

يكون من كليتنا .

والتفت الى زوجته وطلب منها ان تخرج من العيادة بضع دقائق ، وخرجت بحياء

وشيء من الكبرياء .

والتفت الزوج نحوي وقال لي وكأنه قد تخلص من وثاق القوة .

— افهمني يادكتور ، لابد ان اكون صريحاً الان ، فانا اريد ان تحمل زوجتي باية

طريقة تقترحها ، فانا ولهان بزوجتي ولا اريد ان افقدها ، واني اتساهل لأرضائها باي

ثمن ، وهي ايضاً تريد طفلاً باي ثمن ، واطنك فهمتني ، وختم كلامه :

— انا لست وراء الطفل بل هي التي تريده ، ولن تعيش بدونه معي ، وانا اريدها ان

تبقى بعصمتي ، باي ثمن وسأضطر مع الاسف ان اعود الى الدكتور (بويد) بلندن

ليعمل ما يريد ان يعمل له لتحمل زوجتي ، وغادر الزوج عيادتي غير راض وفي صدره

خزين من اللوم لانني كما ظن ، لم افهمه ، في حين فهمته ، وادركت كل ماحاول ان

يخفيه عني . وبعد نحو ثلاثة اشهر دخلت الى عيادتي الزوجة . ولم يكن زوجها معها
وعلى وجهها قناع قاتم من الهم والغم وكل معالم التعب النفسي . وماكدت اسألها عن
زوجها ومافعلاه في لندن حتى اجابتنني :

- لم نسافر الى لندن . وانا الآن حامل .

فقلت لها وانا استغرب من هذا النبا :

- هذا يسرني .

فقلت :

- بل هذا يرعبني حتى الموت . فقد اختلف الموضوع عندي . واريد ان اسقط هذا

الجنين .

وداهمتني موجة من الاستغراب .

وظننت انها اختلفت مع زوجها او شيئاً من هذا القبيل . فاردت ان اؤكد من ظني
نسالتها :

- وزوجك ؟ وكنتما معاً تنشدان الحمل باي ثمن ! فما الذي تغير لتطلبي مني

اسقاط الحمل .

فاجهشت في البكاء بحرقة وقالت :

- لقد اخطأت يادكتور مع ابن جارنا . وكان يلاحقني قبل ان اتزوج ولاتحمل هذه

الخطيئة ولا زوجي يستحقها .

ولابد ان اسقط هذا الحمل . وإلا قتلت نفسي .

وسالتها .

- هل يوافق زوجك على اسقاطه ؟

فاجابتنني :

- لا دخل لزوجي بهذا الموضوع . وبأي حال لا اريده ان يعرف :

- صارحيه . وربما يغفر لك على ما لمست انا منه .

- هل تعتقد ذلك ؟

- اظن ذلك على ما لمست منه .

- ولكنني لاأظنه يتساهل معي في هذه الفعلة الشنيعة . وقد يغفر لي . ولكنني

لاغفرها لنفسي . ثم ما هو موقفك وابن الجار على مرأى مني في كل يوم ؟

- انتقلوا الى محلة اخرى بعيدة عن محلثكم .

- البيت ملك زوجي . واكثر اهله واقربائه يسكنون في محلثنا .

ولما رأيت اصرارها على طلب اسقاط حملها . قلت لها :

— اصارحك انني لا اسقط الحمل لاي سبب ، واسقاط الحمل باي حال جريمة يحاسب عليها القانون العراقي .

فقلت لي :

— ليس اكثر من جريمتي .

وبدا لي منطقها سليماً غير انه غير قابل للتطبيق . وسكتت لحظات ، ثم نهضت وغادرت عيانتني ، وهي تقول :

— اقتل نفسي حتى لو طلب مني زوجي ابقاء الحمل .

ولم تمض سوى بضعة ايام حتى جاءني زوجها ، وقد امتنع وجهه حتى صار بلون الشمع ، واخذني الى بيته بمحلة الفضل لارى زوجته المريضة وهي تهذي من الحمى العالية ، وكانت تنزف دماً ايضاً ولكن قليلاً جداً . فنظرت الى وجهي وكأنها تريد ان تعبر لي عن انتصارها في التخلص من الحمل ، ولو انها ماتزال في المعركة . وكانت حالتها المرضية سيئة وخطرة .

وتتابعتم الشهور والسنين ، ولم يبق في ذاكرتي عنها الا اطراف غائمة تمر بسرعة في بعض المناسبات ، وفي يوم كنت اتمشي امام فندق الكرمة ببغداد ليلان ، فاذا مريضتي (قبل سنين) والى جانبها زوجها وهو يمسك بيد طفل صغير بعمر لا يتجاوز خمس سنوات ، وحياتي بتوحد واحترام . اما زوجته فقد طفئ على وجهها انفعال حزين ، وختمت مقابلتي معهما بتحية سريعة . وتابعت سيرها مبتعدة عني وانا اسأل نفسي : كم يا ترى يحزنها الآن انها باحت لي بسرّها الخطير ، وكم من الحقد في صدره على ذلك الشاب ، وهي تدلل (ابنه ؟) ولا ترد له طلباً .

الدكتور كرجي ربيع واهله يهربون الى امريكا ١٩٦٦

هذا من اطباء بغداد المشهورين مابين العقدين الرابع والسادس داخلاً ، تخرج في كلية طب بغداد بدورتها الاولى سنة ١٩٣٣ ، وعين فيها مساعداً للاستاذ محمد رفعت بقسم الفسيولوجي وفي سنة ١٩٤٤ استقال من هذه الوظيفة وتفرغ للممارسة الخاصة في عيادة بشارع الرشيد قبالة البنك المركزي . وفي وقت قصير نسبياً صار له زبائن لا يحصى عددهم بفضل ذكائه ومتابعة ما يستجد في الطب في انكلترا وأمريكا . كما كان له حس مرهف في الكسب وجمع الثروة ؛ فصار بفصل مهنته صديقاً لكثير من رجال الدولة بما فيهم الوزراء ورجال الامن فيدخل دوايرهم دون موعد سابق ويحصل منهم على ما يريد بطرق لا تخطر على بال ولا مانع عندي ان اذكر مثلاً على ذلك ، فقد

سألني الدكتور كرجي ذات يوم ونحن نتناول طعام العشاء في حديقتي بمنطقة المسبح :

— متى تصافر ؟

وهو يقصد بذلك السفر في أيام الصيف القريبة الى خارج العراق ولم يكن السفر يومئذ بالأمر السهل بسبب القيود الحكومية التي تتصرف بها دائرة الامن العامة ، فتحت طلباً للسفر الى بيروت ، فرفض طلبي وساعتها شعرت انني يجب ان اسقط من حياتي الخدمة الطيبة التي اديتها لمدير الامن العام العقيد عبد المجيد ولغيره من الناس ، وانني كنت في خيال وتباهي على اساس وهمي لا حقيقة فيه فقررت ان لا اسافر في هذا الصيف ، فاجبت الدكتور كرجي حين سألني عن سفري الى خارج العراق : ان مديرية الامن قد رفضت طلبي . وفي اليوم التالي كلمني الدكتور كرجي تلفونياً يقول :

— انا الآن بدائرة الاخ العقيد عبد المجيد بمديرية الامن العامة ، فتعال ومعك جواز السفر ، فاجبته حالا :

— شكراً ، ولكنني غيبت رأيي ولا ارجب في السفر .

ولا بد ان الدكتور كرجي اترك انني انزعجت ان يكون سفري بواسطة قزائري ليلاً واخذ مني جواز سفري وفي اليوم التالي جاء الى بيتي شرطي وهو يحمل جواز سفري وفيه سمة الخروج من القطر . وفي مساء اليوم نفسه ايضاً دخل الدكتور كرجي بيتي وهو يضحك وقال :

— الموضوع مضحك !

— اي موضوع ؟

— هل تعرف لماذا رد مدير الامن العام طلبك للسفر ؟

— لا اعرف .

فاجابني .

— قدمت له اضبارة باسم كمال السامرائي وفيها ملخص (ان الموما اليه باسم كمال السامرائي ، قد سافر الى روسيا بدون جواز سفر وإنه ينتمي الى تكتل شيوعي) ثم قال الدكتور كرجي : لا بد ان موظفاً خلط بينك وبين شخص آخر بالاسم نفسه . فقلت للدكتور كرجي :

— عمري ؟ مهنتي ؟ بالاضافة الى اسمي الكامل ؟ جميعها مسجلة في جواز

سفري ؟

فقال لي :

— هذا ما قرأته بعيني .

واعرف ان الدكتور كرجي صادقاً بون ريب .

وبدكتور كرجي فطن وذكي في تعامله مع المرضى والناس بشكل عام ، فأكسبته هاتان الخلقتان نجاحاً كاسحاً في ممارسة الطب ، واجتذاب اكبر عدد من المرضى والاصدقاء اليه ، واثرى من مهنته فضلاً عن ارباحه من اسهم الشركات العالمية . على انه مع ذلك لا يتساهل في اخذ اجوره لحد الفلس من اقرب اصدقائه . وكنت انا من هؤلاء لما كان بيني وبينه . وبين عائلته وعائلتي من وشائج القوادر ، وتبادل الزيارات والهدايا ، ومع ذلك فقد قام بدور غير مشرف معي حين شرعنا انا وهو وزميلان بتأسيس مستشفى على عرصة وقفية كنت امتلك مساحتها ، واتفقنا اربعتنا ان يكون اسم المستشفى الجديد (مستشفى السامرائي) ليكون امتداداً للمستشفى الذي امتلكه بالاسم نفسه ، وفي يوم فاجاني احد الزملاء الثلاثة باقتراح ان يطلق على المستشفى الذي ازمعنا تأسيسه اسم (مستشفى بغداد) فعارضت رأيه باصرار اعتماداً على اتفاقنا بتسميته باسمي ، وهو تعويض للارض التي تنازلت عنها لاقامة المستشفى الجديد عليها ، وطال الخلاف بيننا ، فلمست بوضوح ان الدكتور كرجي كان يفذي هذا الخلاف بمعزل عني ، كما كان يحرضني سراً على ان يكون المستشفى باسمي . واخيراً حلت الشركة ، وعدت الارض من املاكها وبيعت الي كما لو انها لم تكن ملكي في الاصل . ، فاخذ الدكتور كرجي نصيبه كاملاً وهو يعلم بيقين انه هو والشريكان الاخران لا يستحقون ذلك ، والدكتور كرجي بشكل خاص في علاقته القديمة معي كان اكثرهم قريباً وتواضعاً معي ولكنه اغلق هذا الباب فيما بيننا ، وانكر كل جميل صنعته له ، فانتظر بفارغ الصبر لياخذ مني ما اخذه الزميلان الاخران . من جانب آخر انكر للدكتور كرجي حدثاً آخر يدل على حنره الشديد وامانته . فقد نقل ما يقرب من ربع مليون دينار الى كركوك وهي رواتب موظفي شركة النفط هناك ، ولما فتحت الصناديق التي تحتوي على ذلك المبلغ ، كانت قد ابدلت باوراق قطعت بحجم العملة العراقية ورزمت حزمياً ، سوى الورقة الاولى من كل حزمة فقد كانت من الدنانير العراقية الحقيقية . وكاد يختفي اثر هذه الجريمة لولا ان إحدى مريضات الدكتور كرجي دخلت يوماً عليه في عيادته كما كانت تراجعته قبل ذلك ، وكانت تحمل (زمبيلاً) فلما اتم الدكتور كرجي فحصها طلبت منه ان تبقى ذلك الزمبيل في ركن من عيادته لتمود وتأخذه بعد نحو ساعة ، غير ان هذه المريضة لم تعد لتأخذ زمبيلها في ذلك اليوم ولا عانت اليه في اليوم الثاني ولا في اليوم الثالث فرأى ان يزيحه من مكانه الى مكان آخر بعيد عن طاولته فاذا هو ثقيل يجلب الاستغراب ، وشذ ما كانت المفاجأة حين رأى من

بين الثوب الخلق الذي يغطيه اطراف وروايا دنانير من العنات الكمية ، فاتصل تلفوناً بصديقه (ابي فائق) مدير الشرطة العام ، وهو من اقارب الرعم عند الكريم فاسه رئيس الوزراء وحضر ابوقائق عيادة الدكتور كرجي بسره غير اعتمادية ، ولما اطلع على محتويات الزمبيل قال بلهفة المنتصر يخاطب الدكتور كرجي

— نحن وراء هذا المال المسروق يا دكتور .

واسرع الدكتور كرجي يقول لابي فائق .

— ان صاحبة هذا الزمبيل من مرضاي ، وانا اعرفها لو انها عرضت امامي .
غير ان ابا فائق فاجأ قائلاً :

— هي الان موقوفة في دائرة الشرطة منذ ساعة غادرت عيادتك واصاف والغريب ان هذه المرأة لاتزال تصر على انها لاتعرف شيئاً عن هذه السرقة ، مع انها تعترف انها زارت عيادتك .

وقولت تلك المرأة بالدكتور كرجي منفت ايضاً انها اودعت رسملاً فيه دنانير و اي شيء آخر غير الثوب الذي كان في الزمبيل . وهتشر ذلك الثوب فوجد في احد حيويه رقم تلفون شخص كان يعمل مع زوجها في دائرة المحاسبة بشركة نفط كركوك ، وهكذا افترض امرها وثبتت الجريمة .

وفي سنة ١٩٦٥ سافر الدكتور كرجي الى امريكا بطريقة مشروعة غير ان سبيلها لم يعرف بعد . اما زوجته راشيل الذكية النشطة فقد بقيت في بغداد ، وكانت يوماً الساعد الايمن له في كل اعماله مع مرضاه وفي علاقاته المالية مع الناس ، وهي بحق ام بيت ، وام اولاد وزوجة صالحة بكل المعاني على انها كروحها الدكتور كرجي متعصبة بعناد للدولة اسرائيل وجريئة في الدعوة اليها اكثر من روحها .

وفي صباح يوم ٢٩/٤/١٩٦٦ فاحتنتني راشيل واولادها الثلاثة وبحر يتناول فطورنا على سطوحية في مدخل بيتي ، وقالت :

— اعجبني اليوم ان اتناول فطوري معكم .

وشاركتنا فطورنا بشهية ومرح ثم نهضت لتقدم لي صحناً من النحاس عليه

بعض الكتابات الدينية وقالت تخاطبني :

— انت تحب (العنتيكات) وهذا الصحن هدية لك لتذكر (اخذك راشيل) وتقصد

بذلك نفسها ، ثم قبلتني وقبلت زوجتي وامنتي وولدي ، واحداً واحداً وغادرت دارى وعلى وجهها علانم من التفاعلات التي لم افهمها ، كما اني لم أطل التفكير بها ، ولكنه بدا لي امراً غير مألوف من راشيل ان تزورنا واولادها ، ويتناولون العطور معنا ثم تقدم لي هدية وتقبلنا واحداً واحداً ، وكل من هذه لم تكن لها سابقة معنا ، وسمعت بعد

بضعة ايام من اخيها (نعيم) انها سافرت الى امريكا لتلتحق بزوجها كرجي هناك ،
وفي يوم بعد هذا الخبر وصلتني رسالة بطابع ايراني ، وفتحتة وانا استبعد ان يكون لي
من يكتب الي من طهران او غيرها من المدن الايرانية ، وفضضت الطرف فاذا فيه خمسة
بنانير ورقية عراقية ومكتوب قرأت فيه مايلي :

(الى اخي الدكتور كمال ، انا متأسف جداً ان اقول لك انني سافرت دون ان
اخبرك خوفاً من ان (يسمعه) غيرك ، والله وحده يعلم الذي قاسيته من الخوف في
الليل بين (بدرة) وايران ، واخذتني الشرطة مخفورة الى همدان وبعد يومين سأخذ
الطائرة الى امريكا ... ارجوك يا اخي . في هذا المكتوب خمسة بنانير تعطيتها الى
الخبازة (عطية) وهي في الصريفة التي وراء بيتنا ، وهي قيمة العبادة التي
استعرتها منها لازور الكاظم (حجة) . لا تنسى ارجوك ... التوقيع ام سمير وصمير
اكبر اولاد راشيل وتعرف باسمه كما يعرف كرجي باسمه ايضا .

الدكتور ميرزا كنتنجيان يسقط ميتاً في قاعة المحكمة / ١٩٦٦
في يوم ١٩٦٦/١١/٢٤ وصلني كتاب من محكمة جزاء بغداد بتوقيع
(الحاكم) شفيق العاني يطلب فيه ان احضر الى ديوان المحكمة لادلي بشهادة
طبية ، وحضرت ديوان المحكمة في الوقت المحدد .

وقبل ان ادخل قاعة المحكمة استعلمت من دائرة المحكمة عن القضية التي
طلبت من اجلها فعلت انها (قضية دكتور اسمه ميرزا ارتكب عملية اجهاض جنائي
لفتاة ادى الى وفاتها ، وستكون انت الشاهد العدل ، ولما سألته ماذا تقصد بالشاهد
العدل ، اجابني : ان الدكتور (ميرزا) حكم بالقضية نفسها بعقوبة سجن ثلاث سنين
وقد استأنف الحكم وستكون شهادتك المعتمدة والاخيرة .

وكنت يوماً ماعرفت الحاكم شفيق العاني في قضية مماثلة في منتصف سني
الاربعينات .

وسمعت من ينادي باسمي فتوجهت الى قاعة المحكمة ، ولم تكن هذه القاعة هي
نفسها التي دخلتها في القضية السابقة التي ذكرتها ، آنفاً إذ كانت اكبر حجماً وافخم
اثاثاً . وواقفني احد موظفي المحكمة الى جانب (قفص الاتهام) الذي كان في داخله
رجل بنحو الستين من عمره . وكان ذلك الرجل هو الدكتور ميرزا وكنت اسمع عنه
كطبيب نسائي غير اني لم اره قبلاً ، وقد ورد اسمه في المحكمة ميرزا كنتنجيان ويادرنى
الحاكم يقول لي :

ـ الدكتور كمال انت ستكون الشاهد العدل .

ثم انصرف باسئلة مباشرة تخص العملية التي انت الى وفاة الفتاة ، وكنت سمعت عما جرى لهذه الفتاة ، ومثلر ذلك لا يخفى على اطباء المستشفى الجمهوري لان الدكتور سلمان فائق كان قد ساعد في اسعاف المريضة ، وعرف الاطباء منه (ان الفتاة كانت تعمل سكرتيرة في مكتب محام مرموق ،، وادركت هذه الفتاة يوماً انها حامل لارسلها مخدومها الى الدكتور فافرغ رحمها في عيادته بعملية (الكرتاج) فتقرب خطأ جدار الرحم ، وبنون ان يظن صار يسحب بالآلة لفة من اسماء هذه الضحية ، وبعد ثلاثة ايام حين ثبتت الفانفرينا في الامعاء اضطر الدكتور أميرزا الى ان يستنجد بالدكتور سلمان فائق فاجرى عليها عملية قطع بها الامعاء التي تعفنت ، وبعد ثلاثة ايام توفيت هذه المريضة ، فرفع اهلها شكواهم الى القضاء ، فحكم على الجاني الدكتور (أميرزا) بالسجن ، وميز محاميه فائق توفيق الحكم فاعيدت محاكمته التي صرت انا فيها الشاهد العدل . وكانت اسئلة الحاكم هادفة وموضوعية غير ان المتهم الدكتور (أميرزا) صار يهذي باجابات بلغة خليط من التركية والعربية وحاول محاميه فائق توفيق ان يسكته ليتكلم عوضاً عنه ، غير انه بسبب طرش خفيف فيه استمر يتكلم بعصبية ، وفي لحظة خاطفة سقط الدكتور أميرزا على ارض القاعة جثة هامدة . وانتشر خبر هذا الحادث وتناولته الصحف باسهاب اما مجلة (الفكاهة) البغدادية تاريخ ١٠/٩/١٩٦٦ عدد ٤ فقد عبرت عن الحادث بصورة زينت بها غلاف المجلة ، وكتبت في اعلاه عبارة (العدل اساس الملك) ، ثم تحتها صورة شاملة لقاعة المحكمة وعلى منصتها صورة (ميزان العدل) ، ويملا ما بقي من الصفحة (صورتي) وفي فمي عقب سيكارة وانا ادفع عربة بداخلها طفل يمص اللبن من زجاجة الى جانبه ويديه لعبة صغيرة ، ثم صورتي احمل بيدي سلة فيها رضيع آخر ، ورضيعين على كتفي ، وتحت هذه الصورة عبارة كتبت بالبنط الكبير : الدكتور كمال السامرائي في قاعة المحكمة ، وهذا اسلوب صحفي لدفع من يقع نظره على هذا العنوان ان يشتري الجريدة ليقرأ تفاصيل مصييتي الموهمة .

إيان دونالد

الاستاذ إيان دونالد هو اللولب النابض في ادارة هذا المؤتمر ، هو استاذ الامراض النسائية والتوليد بجامعة كلاسكو ، ومن الذين زاروا بغداد ايام امتحانات طلبة كلية الطب في صيف ١٩٦٤ ، طويل القامة ، احمر الشعر ، سريع الحركة ، دؤوب لا يكل ولا يمل ، وله مشاركات قيمة في تطوير جهاز (السنونار) في استعماله للحالات

المرضية النسائية . كما ان له كتاباً ضخماً في معالجة مشاكل الحالات الولادية . طبع ثلاث مرات في مدة لا تتجاوز عشر سنوات ، وهو ايضاً يشد السامعين اليه .

وحين جاء الى بغداد بدعوة مني ليطالع على ما وصلنا اليه في موضوع الامراض النسائية والتوليد كان قد نقه لتوه من عملية اجريت لقلبه . وقد عرفت منه ان عمه كان قد خضع ايضاً لعملية مماثلة على يد جراح القلب المشهور كليلاند . وقلت له مستفهماً ، لابد ان كليلاند قد اجرى لك العملية ، فاجابني .

— كلا ، ان العملية خطيرة ، فقد نجح كليلاند في عمليتين على امراء عائلتي ، واخشى ان يفشل ان اجرى العملية علي فافقد حياتي والوث سمعته .

وسالته :

— من اجراها لك إذن ؟

فاجابني :

— احد معاوني كليلاند ، وهو جراح ناجح واتوقع له مستقبلاً باهراً في هذا الاختصاص (واصل وهو يبتسم) وخصوصاً بعد ان نجح في العملية التي نفذها علي .

وفي اليوم التالي من مؤتمر الجمعية البريطانية للأمراض الولادية والنسائية ، كان الاستاذ (فانل) اول المتكلمين في جلسة الصباح ، وهو الماني الجنسية واستاذ هذا الموضوع في جامعة كراس بالنمسا ، وقد قدرت عمره بنحو الستين سنة ، وردي السحنة ، منتفخ الوداج ، وبطول معتدل ، وكان موضوع محاضراته في استئصال الرحم عن طريق المهبل في حالة الاصابة بمرض خبيث ، وتعرف هذه العملية باسم اول من مارسها واسمه (شاوته) حين كان استاذاً في جامعة فيينا والجراح النسائي الاول في (فراون كلنك نيمر) . وقد قرأ ورقة محاضراته بالانكليزية ، ومع ذلك كانت مفهومة بالرغم من لهجته الالمانية ، ثم عرض فلماً ملوناً حسن الصنع لهذه العملية فكان متار اعجاب المشاهدين وتعجبهم من القدر الكبير الذي اقتطعه من انسجة المهبل والمجان ليصل الى الانسجة التي تحيط بالحالبين ، فكان من ذلك جرح واسع وعميق لاتستطيع العين ..

وتلا فانل الاستاذ المشارك في جامعة ببلن واسمه (براون) وهو في نهاية العقد الخامس كما قدرت عمره ، تركي الملامح ، ذو رأس كبير مدور زاخر بشعر داكن كثيف ، ويعينين سوداوين وجسم معتلى ، كانت محاضراته في الولادة العسرة وطرق معالجة كل نوع منها ، وقد تكلم اكثر مما قرأ في ورقته ، واستعان بكثرة في عرض اعماله في هذه الحالات ببيانات وارقام إحصائية نقلها على شاشة تتصدر قاعة الاجتماع ،

وكان لطفه جلياً واستمراضاته لها استقرائية .. اما المادة العلمية فاكتر ما كانت للمبتدئين في هذا الإختصاص سوى طريقة علاجه لبعض الولادات المتعسرة التي تمارس في دبلن ، وهذه وحدها هي التي جعلتني انشد الى الاستماع اليه بكليتي . وقلت لنفسي هذا هو الذي نحتاجه لطلابنا في بغداد ، وقررت حالاً ان افاتحه بهذا الموضوع ، وظللت ارقبه بلا انفكاك ، وبعد ان اكمل محاضراته انشغل في حديث متواصل مع احد المؤتمرين الاكبر منه عمراً ، وطال انتظاري لاتحدث اليه منفرداً ، ومنحت الفرصة ، فقد تقدم شخص اليه من خلفه وكلم الشخص الذي كان يتحدث الى براون ، فنهض هذا الشخص وخلا مكانه ، فنهضت متعجلاً وجلست في مكانه الى جانب براون ، وهذا ما انتظره بنفاد صبر ، وبدون مقدمة قلت له :
- انا من بغداد وقد استمعت الى محاضرتك واعجبت باسلوبك في عرضك ، وانا سعيد ان اجالسك الان .

فقال باهتمام :

- يسرني سماع ذلك (واضاف) هي نموذج لآعمالنا في دبلن وليس اكثر من ذلك ، وطرق العمل في التوليد بارلندا واحدة تعرف باسم (دبلن) .
فقلت له :

- هي قريبة مما نمارسه في بغداد ، ولكنني معجب باسلوب عرضها .
فقال :

- اسمع عن بغداد واتشوق لرؤيتها ، والشرق كله جذاب بالنسبة اليها ، ولا بد ان يكون فيه ما يدعو الى ذلك . (واستطرد يقول) عرفت بعضاً من العراقيين والعراقيات كطلاب معي في (مستشفى روتندا) ، كان ذلك قبل سنوات بعيدة (وسألني مباشرة) .

الم يحاول احد منهم نقل بعض عمليات دبلن الى بغداد ؟
فاكتفيت بقولي :

- كان استاذي (كندي) يمارس بعضاً منها في بغداد ، ولم تمارس اي منها منذ غادرها سنة ١٩٢٨ .
وسألني :

- وانت كيف ترى مثلاً عملية قطع عظم العانة او مفصلها التي تمارسها في دبلن ؟
فاجبته بصراحة .
- لم تجتذبنني هذه العملية .

ووجدت الفرصة سانحة لاقتراح عليه فكرة استقدامه الى كلية الطب ببغداد بعقد
استاذاً زائراً لمدة سنة او سنتين .
فاجابني :

— حبذا لو يكون ذلك بمقتوري ، واني متحمس لارى الشرق وبخاصة بغداد (الف
ليلة وليلة) ، غير اني الان مرشح لكرسي الاستاذية بجامعة بابل ، ولا بد للحصول
عليها من عمل كتابي مختار يؤهلني اليها ، وانا اعكف الان على تحقيق هذا الشرط
العلمي .

وقطع حديثه معي ونهض ليستقبل باحترام السربوكالد بيهد ، وعرض براون
امامه ما كنا نتحدث به عن استقدامه الى كلية طب بغداد ، فاصفى اليه سربوكالد بيهد
نون تعليق ، فسأله براون عن رايه في هذه الدعوة ، وفي سؤاله هذا ماجملني اعتقد
احتمال قبوله مقترحي ، فاجابه بوكالد بيهد :

— بغداد ممتعة بتاريخها ، اما اليوم فيكفي ان تراها قبل ان تنخرط في التطور .
وهي اليوم باية حال ليست بغداد التي قرأت عنها في كتب الرحلات .

ولم ارتح الى مقاله صديقي بوكالد بيهد ، خاصة وانه حين كان في بغداد قبل عام
قد اثنى على ما رآه فيها وانه يحتاج لمعرفة المزيد منها زيارة ثانية وثالثة . وارتيت ان
اقول له ذلك ولكنني رأيت ذلك لا يناسب الموقف والنوق الاجتماعي . وانفرط عقدنا
نحن الثلاثة ، وانا ساخط على صديقي سربوكالد بيهد الذي كان جوابه لبراون كافياً
لاحباط اي امل في استقدامه استاذاً زائراً الى بغداد .

وفي اليوم التالي غادرت منجستر الى لندن لتحملني طائرة الخطوط الجوية
المراقية الى بيروت .

السعوديون والكويتيون ١٠/٨/١٩٦٦ .

في ركن من سطحية فندق الكرامة ببحمون (لبنان) ، اعتدت ان اشاهد في
ضحى كل يوم شيخاً بفحو السبعين من العمر يحتل كرسيّاً وثيراً ومن حوله يتحلق
عدد من الرجال . وكان ذلك الشيخ ومن يجالسونه يرتدون اليشماغ الاحمر والعقال ،
وهذا هو زي السعوديين المتميز ، ويتكلمون بلهجتهم . والى جانب من هذه الحلقة موقد
متنقل صغير يتاجج بلظى الفحم وعلى حاشيته نلّة القهوة . والقهوة السعودية المهيلة
ذات رائحة يصل عبقها الى انفي حين امر بهذه الحلقة فاتمنى ان يدعوني ذلك الشيخ
لارتشاف قدح منها ، غير انه لم يفعل ذلك بالرغم من انني كثيراً ما انتظر برغبتي
فيها وفي يوم تزاحمت وذلك الشيخ على دخول مصعد الفندق ليحملني الى الطابق

الذي فيه غرفتني ، فركزت ذلك الشيخ نظراته اليّ حين صار كلانا في داخل المصعد
وسألني :

— الاخ الكريم العراقي ؟

وكان اكثر الساكنين في الفندق في تلك الصيف كما في اي صيف ، من العراقيين ،
فلا عجب ان يعرف جنسيتي حذساً ، فاجبتة :

— نعم عراقي ، من بغداد واسمي كمال السامرائي ، نكتور في الطب .

— انعم واكرم .

ثم ابتسم و اضاف :

— انا من السعودية ، انا عبدالله الحميد من السعودية .

— عرفت انك من السعودية .

وعاد الشيخ يقول :

— انا فتحت اول سفارة سعودية في العراق ، ولي معرفة واسعة بالعراق وبالعراقيين .

كنت اول سفير في العراق .

وهكذا تعرفت على تلك الشيخ الوقور بسرعة ويسر واختصار .

وفي ضحى اليوم التالي دعاني الشيخ على احتساء قهوته الفنية المذاق

والرائحة ، مع انها خفيفة اللون حتى لكانها اي مشروب إلا القهوة التي نشربها في

العراق مركزة المذاق وداكنة اللون . وتكررت دعوته لي لارتشاف قهوته ، وصرنا نقابل

الكلام بتبسط وصراحة . وفي يوم تقدمت من خلفه صبية ذات عينين سوداوين وسحنة

سمراء وصدر ناهد وخصر نحيل ، واسرت في اننه ما اسرت ، فابتسم لها وادخل يده في

جيب ثوبه واخرج منه حزمة من الليرات اللبنانية فاخذتها من يده وغابته وهي تنط

فرحة بضخ خطوات متلاحقة وغابت في منعطف السطوحية . ومرت لحظات وكأنه قرأ

فيها افكاري فشاء ان يصلحها فقال لي :

— هذه إبنتي يادكتور واسمها (زليخة) وهي من زوجتي الايرانية .

كانت تلك الصبية بعمر لايزيد على العشرين سنة بتقديري ، وابوها الشيخ ليس

اقل من السبعين ، اي انه لايد تزوج وهو بعمر الخمسين . وجاء تفسر ذلك حالاً ، فقال

لي :

— توفيت زوجتي في بغداد ، وحين نقلت سفيراً الى طهران كنت ارملاً ، وتعرفت على

عائلة ارتضت ان اتزوج ابنتها ، ولما احلت على المعاش مكثت في طهران زهاء سنتين

استرضاء لزوجتي . ثم رأيت ان اعود الى جنة مسقط رأسي ، فخرجتها بين عدم اداء

واجباتي الزوجية نحوها ، وهي مازالت فتية ، وبين طلاقها حلالاً بفيضاً شريطة ان

استبقي ابنتنا معي ففضلت الطلاق وكرست اهتمامي من ذلك اليوم في تثقيف ابنتي ورعايتها ، وقد عوضت لي ما فاتني من السعادة البيتية .

وكان يومها ثمة شاب يتردد على فندق الكرامة بتكرار ، وهو يرتدي البسة غالية الثمن ويحلي معصمه بساعة تيدو من الذهب ، ويربط اكمام ثوبه الحريري بازوار من الذهب . وشاع بين نزلاء الفندق ان ذلك الشاب تقدم لخطبة الفتية السعودية زليخة ، فتجاسرت وقلت للشيخ الحميدي :

— شاع بين نزلاء الفندق ان شاياً كويتيأ تقدم لخطبة كريمكم يا شيخ ، والطيبون للطيبات وعمى ان يكون في ذلك خيراً للطرفين .
فاجابني بعد لحظات :

— نعم ان ذلك الشاب الذي يتردد على هذا الفندق قد تقدم لخطبة ابنتي زليخة . ولما عرفت انه من الكويت قلت لابنتي ، ان انت اودعت الامر لي فانا افضل ان لا تقبلي هذا الشاب زوجاً لك ، فاهل الكويت في نظرنا نحن السعوديين لهم طبائع لاتعجبنا اما اذا انت ارتضيت به زوجاً فلا مانع لدي على ان تعلمي انني لن اقبله بعد الزواج . وسكت الشيخ .

فسالته :

— وماذا كان جوابها يا عمي الشيخ ؟

فقال : كان جوابها : —

— لن اتزوج يا ابي من هو ادنى مني اخلاقاً واصلاً ، وارجوا ان ترده اذا جاءك لخطبتي .

الدكتورة عالية او پنهايم / ١٩٦٦

في اوائل تشرين الاول تقدمت سيدة المانية بعمر الثلاثين سنة اسمها (بحسب الاوراق التي تحملها) عالية اوپنهايم تطلب العمل كممرضة في مستشفى السامرائي ، وعرضت امامي شهادتها في الطب من جامعة برلين ، فلما قلت لها :

— ولكنك دكتورة فكيف تطلبن وظيفة ممرضة ؟

فاجابتنني بانكليزية ليست ركيكة .

— انا اهوى التمريض .

كانت في لهجتها نبرة المانية ، ولولا تحولها لعددها المانية مثالية ! شعر نهمي اللون سرح ، بشرة وردية ناعمة ، قامة معتدلة . قلت لها :

— ان الاسم (عالية) اسلامي !

فاجابتني بافتخار :

— انا مسلمة ، وابوأي مسلمان .

وبعد اسبوع وهي تعمل في المستشفى ساورني القلق في امرها ، إذ لم أرها تعرف شيئاً من الامراض ومداواتها ، ولا من التمريض ايضاً ، غير انها ذات همة ونشاط في مداراة المرضى في مرأشهم ، وفي إعطائهم الانوية بأوقاتها ، ومعلوماتها بالتمريض ليست إلا بمستوى ما تعرفه اية امرأة اوروبية . وعرضت شكوكي في حقيقة امرها على الدكتور (عبد الله المنيزي) بوصفه المسؤول عن العاملين في مستشفى السامرائي . فقال لي باختصار :

— تراقمها إسبوعاً آخر .

وعندنا سوية نقرأ أوراقها وشهاداتها التي احتفظنا بها في ملفها الخاص ولم يمض الا يومان من الاسبوع التالي حتى سقطت في كريدور المستشفى ممقياً عليها . فنقلت الى غرفة العحص لإسماعها ومعرفة سبب ما حدث لها . كان لون سحمتها باهتاً ، ونمطها سريعاً وصعباً ، وضغطها محدود ٨٠ / ٦٠ ملم . وتكلمت بطنها فابا هي حساسة في منطقة على يمين العانة وقريبة منها ، وسألناها عن العانة الشهرية فاجابتني انها (في العادة) مند يومين ولكن بكمية قليلة واكتشفت بالقرع على اسفل بطنها وحود امتلاء في حوض الحوض البطني يملؤه الممي المنفوخ . وسألناها ان كانت متروحة لامحصها عن طريق المهبل ، فاجابتني انها ارملة . فلمصت بالمحص المهبل — البطني كتله عن صلابة حساسة على الجانب الايسر من البطن السفلي ، وهكذا اصبح تشخيص حمل خارج الرحم لايقبل النقض . فاحمرتها صراحة بهذه الحقيقة ، وان علاجها الوحيد هو بعملية فتح البطن ، فقطعت مابين حاجبيها وسهمت قليلاً ثم طلبت مني ان اتصل بـ (...) وهو رجل اعمال معروف في بغداد ، بوكيل شركات امريكية كثرية . وتساءلت مع نفسي ما عسى ان يكون نوع العلاقة بينها وبين ذلك الرجل . ومع ذلك حاورته تلفونياً وقلت له :

— ان الممرضة (عالية) في طريقها الى صالة العمليات ، وقد طلبت مني ان اخبرك بذلك .

وبعد صمت قصير لم اسمع منه اكثر من قوله :

— اهتم بامرها رجاء .

واستحضرنا قديراً من الدم الملانم لفصيلة دمها لتمريض الدم الذي تجمع في جولي بطنها وحوضها . واكثت العملية التشخيص .

زار (....) المريضة عالية اوينهايم في اليوم الثاني ثم دخل غرفة محاسب المستشفى لدفع اجور المستشفى .

وحين زرت هذه المريضة في غرفتها بالمستشفى عاد الدكتور عبدالله يكلمني عنها .

— انها لايمكن ان تكون طبية ولا ممرضة ايضاً ، اما ورقة الشهادة فتزوير نون شك ، وما ابرع من صنع هذا التزوير ووصلنا الى قناعة ان هذه المرأة مغامرة وليس فيما ادعته ابي صلق ، ويحتمل انها ادعت ذلك عملاً بنصيحة من السيد (....) لتتخذه نريعة امام دوائر الامن اذا ما ارادوا اخراجها من العراق بعد الاقامة المحددة التي تمنحها تلك الدوائر . كما قررنا بسبب تحايل هذه المحتالة ان لانخصها باي تحفيض في اجور المستشفى التي اعتدنا ان نمنحها الى منتسبي المستشفى ومن ينتمي الى مهنة الطب من المرضى .

وفي اليوم التالي فاجاني (....) تليفونياً ولهجة لم ارتج لها ، قائلاً :
— قرأت قائمة اجور المستشفى التي بعث بها (محاسبكم) الي ، شنو نقل لم ، وشنو عملية فتح بطن عالية لم تكن تشكو من نزف دموي ، واذا كانت تشكو من ذلك فيمكن معالجتها بالانوية (وانهي كلامه بقوله) انا لادفع الا اجور إقامتها في المستشفى ، لانكم اجريرتم العملية بلا مبرر .

اذهلني إدعاء (....) واستشطت له ، فقلت له :

— اسمعني يا أخي ، فان العملية كانت (لحمل خارج الرحم) وسميناها عملية فتح بطن تادياً وتستراً على اخلاق المريضة . ويحتمل ان يكون حملها منك ، كما يحتمل انك تدبر لها إطالة بقاءها في العراق ، ودوائر الشرطة لا يفوتها هذا التحايل .
وسمعت (....) يقول :

— على كيفك حبيبي كمال .

ولم اطل إستماعي اليه واغلقت الاتصال .

وبعد اقل من ساعة جاء (....) بنفسه ودفع حساب المستشفى وبعد نحو اسبوعين وصلني كتاب من الشرطة تستفهم فيما اذا كانت المدعوة عالية اوينهايم قد اجريرت عليها عملية كبرى وانها لاتستطيع السفر بالطائرة الى خارج العراق ؟ وهنا إتضح لنا الامر . وجاءني في اليوم نفسه (....) يتوسل بذلة ان يكون جوابي الى الشرطة لصالحها . وفعلت مايجب عمله ، فنياً وسلوكياً ولم استجب لطلب صديقها . (....)

مقترحات لتطوير قسم النسائيات بالمستشفى الجمهوري ١٩٦٦
في ١٩٦٦/١١/٦ رفعت الى مديرية المستشفى التعليمي الجمهوري الكتاب
الآتي :

السيد مدير المستشفى الجمهوري التعليمي

بمناسبة بدء السنة الدراسية ارفع اليكم بعض ملاحظاتي عن دائرة الامراض
النسائية والتوليد في المستشفى الجمهوري ، ارجو الالتفات اليها فقد تكون في بعضها
عائدة للمرضى وطلاب الكلية الطبية .

ان هذه الشعبة اشد شعب المستشفى كثرة بالاعمال الطبية ، وهي تكاد تعادل
وحدتي الجراحة الاولى والثانية ، او اربعة وحدات باطنية وللتدليل على هذه المقارنة
اكر ان معدل عدد العمليات التي تنجز في هذه الشعبة اكثر من اثنتي عشرة في اليوم
الواحد ، ومعدل بقاء المرضى في ردهات هذه الشعبة ثمانية عشر ساعة فقط ، وذلك
كثرة المريضات اللاتي يحتجن الى المعالجة في الردهة ، بينما هو في اي ردهة اخرى
ثلاثة ايام على الاقل . كما ان هذه الشعبة في حالة انتظار دائم وعلى طول ايام الشهر
والمريضة التي تدخلها تحتاج على الاكثر الى علاج جراحي لادوائها . واكثر من كل
ما تقدم فان هذه الشعبة تستقبل المريضات من كل اطراف العراق ، والمريضة من
لاطراف النائية تستطيع ان تجد العلاج في المستشفى الموجود في منطقتها او قريباً
منها ، نعم ان اطباء تلك الاطراف وكذلك مستشفياتها بالرغم مما لديهم من
الامكانيات الطبية ، ماهم يحيلون المرضى الى هذه الشعبة ، وقد حاولنا طرقاً كثيرة
لايقاف ذلك فلم نفلح . وفي ذيل هذه المذكرة نموذجين منها .

ان الضغط على هذه الشعبة من كثرة المراجعات اليها وازدحام الاعمال فيها ،
وصيق المكان لقبولهن يعرض الاطباء والطبيبات المسؤولات الى الاهمال والاختفاء مما
يدفع المواطنين الى التشكي والتذمر ، ومع انني اعتقد ان دوافع اكثر ذلك شكلية
يمكن تفاديها من قبل المريضة نفسها فان نقاط الضعف في هذه الشعبة التي تتخذ من
خلالها دواعي التشكي من الاغلاط العلمية يمكن معالجتها اذا التفتنا الى تحسين
مستوى التمريض والقبالة والى وضع مخطط ثابت لتدريب الاطباء المقيمين
وتخريجهم في هذا الاختصاص .

وموضوع الاطباء المقيمين ذو اهمية كبرى ويجب دراسته بجدية ومجرداً عن
الانظمة والقوانين الراهنة . فان ثمانين بالمائة من اعمال المستشفى هي في الحقيقة
من اعمال الاطباء المقيمين ، وخصوصاً بعد اوقات الدوام واعمال هذه الفئة على
سماطتها واوليتها في الطب انما هي من الكثرة والاهمية بحيث لا يستطيع اي طبيب

حتى نو الاختصاص العالي ان يتم اعماله بون مساعدة الاطباء المقيمين ، وهذه بديهية لا تحتاج الى برهان وفن التوليد بصورة خاصة من اكبر المواضيع الطبية التي يعتمد نجاحها على عدد وكفاءة الاطباء المقيمين ، والارتجال في تعيين هؤلاء من حيث النشاط والكفاءة عامل مهم في ما يحدث من الاخطاء والاهمال الذي يشكو منه المواطنون . ويحزنني ان اسجل هنا ان هذه الشعبة لم تتوفق الى التدريب الصحيح لتخريج مولدين اكفاء واول اسباب هذا الفشل هو عدم ابقاء طبيب مدة كافية في هذه الشعبة ليتدرب على اعمالها المختلفة من حيث التشخيص والعلاج .

اما عن القوابل فموضوعهن يتعدى حيز الشعبة ، إذ ان ارتباطهن بهذه الشعبة ارتباطاً مباشراً ، واغلبية الحالات الولادية تحول اليها من قبل القابلات . واكثرهن جاهلات ومعلوماتهن في التوليد ضئيلة وخاطئة في كثير من الحالات ، ولذلك نقترح فتح دورات تدريبية لعموم قوابل العاصمة (كبداية) حتى المانونات منهن ، ويكون قوام الدورة عدداً قليلاً من القوابل ولمدة لا تقل عن ستة اشهر . يتناوب على اعمال النهار والليل .

ونقترح ايضاً استحداث مركز لرعاية الامومة في هذا المستشفى يرتبط بشعبة الولادة ويادارة كادرسها التعليمي كجزء من التدريب في هذا الاختصاص .
والخصي فيما يلي مقترحاتنا لاصلاح العمل في هذه الشعبة .

(١) ترأس هيئة التمريض ممرضة ذات خبرة بالادارة ويفضل ان تكون بريطانية الى وقت ما .

(٢) تزويدنا باربعة قوابل لاعمال النهار وقابلتين لاعمال الليل .

(٣) فتح عيادة خارجية لرعاية الامومة .

(٤) فتح دورات تدريب لقوابل العاصمة .

(٥) وضع خطة ثابتة لتدريب الاطباء المقيمين وضوابط للطبيب المقيم الاقدم .

(٦) فتح صالة للعلاج المركز INTENSIVE THERAP

بعد ما تقدم ارجو ايصال هذه المذكرة الى السيد وزير الصحة فقد وعد صيانتها

بمساعدتنا في هذا المجال .

الدكتور كمال السامرائي

رئيس شعبة الولادة والامراض النسائية

تعادل الشهادات الجامعية الاجنبية ١٩٦٦

حصلت اختلافات في معادلة الشهادات التي يحملها خريجو جامعات اوربا الشرقية ، فرفعت الى راسة جامعة بغداد الكتاب الاتي :

الى /

رئيس جامعة بغداد

الموضوع /

تعادل الشهادات في المواضيع الجراحية

كثيراً ماتستدعي الجامعة احد اعضاء هذه الدائرة للاشتراك في تثمين الشهادات في الطب الجراحي او في معادلة بعضها ببعض وخصوصا بين شهادتي الديبلوم والماجستير . وبالنظر لاهمية هذه المهمة من جهة ولوجود الاختلافات العديدة المتباينة بين مختلف الشهادات في الطب الجراحي لابين قطر وقطر فقط بل حتى بين جامعة واخرى من القطر الواحد مما يجعل — على ما يعتقد — اي عضو من اعضاء هذه الدائرة لا يستطيع وحده في بعض الحالات اعطاء الرأي الصواب في تثمين الشهادات او معادلة بعضها ببعض . لذا تترجو هذه الدائرة ان تلتفت نظر (لجنة تعادل الشهادات) الى افضلية تحويل الشهادات المراد تثمينها او معادلتها الى دائرة الجراحة والدائرة بدورها تقوم بما يجب وترفع الى اللجنة المذكورة حكما اقرب الى الحقيقة والصواب . ومن ذلك على ما ترى تسهيلا لاعمال اللجنة الكثيرة واسنادا لاحكامها على الشهادات الجراحية .

الاستاذ كمال الصامرائي

رئيس دائرة الجراحة

صورة منه الى /

٢-

عمادة كلية الطب — بغداد —

عمادة كلية الطب — موصل —

دائرة الطب

٣-

٤-

ارتأيت ان ادفع عجلة البحث الى امام فوجهت الكتاب الاتي الى اعضاء دائرة الجراحة

الى /

اعضاء دائرة الجراحة

البحث العلمي في المواضيع الطبية ونشره في المجلات هما اصلق القياسات لفعالية العضو الجامعي ومن ثم هما العاملان اللذان يساعدان اعضاء الهيئة التدريسية على التقدم ويضمنان له الترقية العلمية . والعضو التدريسي في الجامعات الراقية الذي لا يبحث في اختصاصه لا يتساهل معه الهيئات المسؤولة ولا تتناساه كفرد ليس منه نفع ولا من المصلحة الاحتفاظ بمكانه في الجامعة . ان الصفة البارزة والمميزة في الجامعات ذات المركز المرموق هي الاشتغال في العلم والعلم وحده وليس غير ذلك . وبهذا الدافع اولى قانون جامعة بغداد اهتماما خاصا بالبحث العلمي وافرد لتحقيقه مواداً صريحة تعنى به عناية موضوعية بحته . مع ذلك لم يحظ هذا الموضوع بالاهتمام والتنظيم من اي من الاطراف المعنية رغم توفر الامكانيات والكفاءات الشخصية لدى الكثير من منتسبي هذه الدائرة والاستعداد المسوولين في الجامعة ومن مجلس البحوث الاعلى لتشجيع واستغلال الامكانيات والكفاءات المتوفرة لهذا الغرض فان الفرصة مواتية للعمل من اجل البحث العلمي لرفع مستوى جامعة بغداد الى المنزلة اللائقة . ومن اجل ذلك سوف تسعى هذه الدائرة للحصول على المساعدات اللازمة من جامعة بغداد ومن مجلس البحوث الاعلى لتهيئة مستلزمات البحث العلمي . كما انها سوف تعمل بالاتفاق مع مجلة الكلية الطبية على وضع قواعد وشروط لا تقبل الا بمقتضاها نشر الابحاث العلمية التي يتقدم بها منتسبي دائرة الجراحة وخصوصاً المقالات التي يقصد من نشرها توفير شروط الترقية العلمية .

تعاريف

وفي مقدمة اقتراحاتنا بصدد البحث العلمي نرى من الفائدة تعريف بعض التعابير التي تتردد في هذا الباب لتوضيح الغموض عند تصنيف درجة البحث ونوعه واهميته .

(١) البحث العلمي ، هو تدارس فكرة طبية او تدارس مجموعة مشاهدات مرضية بالطرق السريرية او المختبرية او الفيزيائية للتوصل الى كشف جديد في المعرفة او الى

- ما فيه قيمة علمية نظرية كانت او تطبيقية .
- والبحث العلمي نوعان ، قيم ، واصيل ، لا يصعب التفريق بينهما على نوي الاختصاص والخبرة .
- (٢) البحث العلمي القيم : هو البحث لتحقيق فائدة علمية في الطب او ما ياتي باضافة ذات نفع في الاختصاص .
- (٣) البحث العلمي الاصيل : ويعتبر البحث اصيلا اذا جاء مصححا لفكرة او نظرية سائدة اذا كشف عن حقيقة علمية جديدة او جاء بعملية مبتكرة تحل مشكلة جراحية قائمة .

المقترحات

هيئة البحث العلمي

تتشكل في كل قسم من اقسام دائرة الجراحة هيئة تسمى (هيئة البحث العلمي) قوامها رئيس القسم وعضوان ينتخبان من بين اعضاء القسم ولهذه الهيئة الحق باضافة عضو آخر او ان تستدعي الى جلساتها او فعالياتها من تشاء ومن اي قسم من اقسام جامعة بغداد اذا اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بذلك المصو .

واجبات هيئة البحث العلمي

- (١) دراسة المواضيع التي يتقدم بها الاعضاء لا قرار اهميتها والبت فيها .
- (٢) يوم الاطلاع على اعمال الباحثين لتوجيههم وتهيئة متطلبات ولوازم البحث لهم .
- (٣) رفع تقارير متابعة باوقات مناسبة عن سير البحوث .
- (٤) تنظيم حلقات سريرية او دراسية في موضوع البحث قيد العمل او بعد الانتهاء منه او في اي اختصاص الجراحة .
- (٥) اعداد لوازم البحث كالمختبرات والابوات وغيرها .
- (٦) حفظ النماذج التشريحية والمرضية ووضع دستور لشرحها .
- (٧) اعداد وسائل الايضاح لغايتي البحث والتدريس .
- (٨) موازنة المؤتمرات الطبية المحلية وغيرها وذلك بتزويدها بنتائج الابحاث العلمية .
- (٩) استحصال المراجع لكتابة البحوث من داخل العراق وخارجه .
- (١٠) ترفع هيئة البحث العلمي تقريراً نهائياً عند اكتمال البحث وكتابته من قبل

الباحث نفسه مشفوعاً برأيها عن أهمية ما توصل اليه الباحث وعن الذين ساهموا في انجازه من سريريين ومختبريين ومقدار ونوع ما انجزه كل واحد منهم ومكان اعمالهم والزمن الذي استغرقه العمل لاكمال ذلك البحث .

ان الفرض الاول من هيئة البحث العلمي هو تجسيد روح البحث والوقوف الى جانب الباحث عن نهوض الصعوبات كما انها ايضاً استشهاد وتوكيد للفعاليات العلمية التي يقوم بها منتسبي هذه الدائرة ومن هذا فان تقرير الهيئة عن اعمال الباحثين وانتاجاتهم لا تقل أهمية عن تقرير المسؤولين الاداريين عن الترقيات العلمية . كما ان تقريرها شرط اساسي لقبول ما يكتبه الباحث في مجلة الكلية الطبية .

اسلوب العمل في البحث

- (١) على الراغب في البحث ان يقدم طلباً الى هيئة البحث العلمي بعنوان بحثه مزوداً بمخطوط يوضح فيه الغاية او الفكرة التي يبحث لاجلها كما يوضح خطوات وطرقه العلمية المزمع اتباعها في البحث .
- (٢) يستعمل الباحث الاستثمارات الخاصة بدراسة موضوع بحثه كما يستعمل الاستثمارات الخاصة بالمختبرات بكل انواعها .
- (٣) يحفظ الباحث ملفاً لكل وقعة من الوقعات المرضية يضم الاستثمارات الخاصة في موضوع بحثه واستثمارات الفحوص المختبرية والتصوير الشعاعية والفوتوغرافية والمخططات التوضيحية وتقارير الاستشاريين من الاختصاصات الاخرى . وتحفظ الملفات في دائرة هيئة البحث العلمي .
- (٤) تميز التقارير بالنماذج التشريرية والهستولوجية المهمة .
- (٥) عند الانتهاء من البحث يكتب الباحث موضوعه بالاصول المتبعة في كتابة النشرات لاطلاع هيئة البحث عليه ولتنظيم حلقة دراسية يستمع فيها اعضاء القسم الى الباحث ويناقشه للتوصل الى اكتمال البحث شكلاً وموضوعاً ومن ثم لتقديمه الى دائرة الجراحة .

مقومات النشر

- يعتبر ما ينشره عن نتائج البحث العلمي كاملاً واصولياً اذا توفر فيه ما يأتي : —
- (١) الاشارة في صدر المقال الى الغاية من نشر البحث .
 - (٢) ذكر المانة الاولى المستعملة في البحث (مرضى بشريون او حيوانات تجريبية

او مواد كيمياوية).

(٣) توضيح طريقة البحث والاساليب التي اتبعتها الباحثة للوصول الى استنتاجاته العلمية المشفوعة بالجداول والبيانات التخطيطية .

(٤) اذا ورد في المقال ما يعتمد على حقائق او نظريات او مشاهدات سريرية منشورة فلا بد وان يشير الكاتب الى مصابرها مع ذكر اسماء ناشريها وتاريخ النشر .

(٥) ان يكون المقال مزوداً بتعليق يعبر فيه الكاتب عن رايه الخاص في نتائج بحثه او ينكر فيه التضارب او التوافق بين نتائج بحثه وما يناظرها من المعلومات المعروفة او الانطباعات المألوفة .

(٦) ان ينتهي المقال بفقرات سلسلة توجز ماورد تفصيله في المقال .

(٧) ان يزداد المقال بالمراجع التي اعتمد عليها الكاتب في تجميع المعلومات الضرورية لاسناد نتائج بحثه .

البحث والنشر والترقيات العلمية

البحث والنشر فعاليتان علميتان متلازمتان . والبحث الذي لا ينشر ليس منه نفع ولا يتفق مع صفة العلماء . كما ان النشر الذي لا يعتمد على بحث علمي ينقصه صحة الارقام وامانة الحقائق وكلا الصفتين ضروريقتن للنشر العلمي . وقد نص قانون جامعة بغداد على ضرورة توفر النشر من اجل الترقيات العلمية . واعتبرت الجامعة البحوث التي تنشرها مجلة الكلية الطبية مؤهلة للترقية الى الاستاذية فيشترط لاجلها ان يكون النشر في مجلات اجنبية معروفة بمستواها العلمي .

وتحقيقاً لرفع مستوى النشر ومن اجل تطبيق القواعد الجامعية من الترقيات العلمية تطبيقاً سليماً يضمن السواسية بين الاعضاء ويبعدنا عن اسلوب المقارنة او اعتبار سابقات دون مبررات يقرها العرف او القانون فان دائرة الجراحة سوف تتمسك بما ياتي : —

(١) الالتزام التام بمفهوم النشر والبحث العلمي على كونهما شرطان ضروريان للترقية العلمية . ومن هذا فان مجرد نشر ورقة مرضية او التعليق على ما ينشر في المجلات او السؤال على صفحات المجلات او القاء المحاضرات في المؤتمرات الطبية التي لم يتم نشرها في مجلة معترف بها كل ذلك لا يعتبر بحثاً علمياً ولو انها تفيد في تجميع المعلومات الطبية التي ترحب بها وتقدر الدائرة العاملين لها اكبر تقدير . كذلك لا تعتبر الدائرة تاليف الكتب بحثاً علمياً ولا بمنزلته ولا تمويضاً له لتوفير شروط الترقية العلمية وذلك لان تاليف الكتب متوقع ان يكون من اعمال الاساتذة بعد

التجربة الطويلة وهؤلاء في الاصل قد اجتازو مراحل الترقية .

(٢) ترفع هيئة البحث العلمي مايكتبه الباحثون وتقريرها الخاص بدراسة موضوع البحث واقرار نشره الى دائرة الجراحة والدائرة تبعت بالموضوع الى مجلة الكلية الطبية وعلى هذا فان ماتنشره المجلة المذكورة نون طلب من الدائرة بالنشر لايؤهل العضو للترقية العلمية .

(٣) تطلع الدائرة على الذي يراد نشره في مجلة اجنبية او الذي يراد تنمينه من قبل الثقة من الخارج وذلك بعد تأييد هيئة البحث العلمي لواقعية البحث واطلاعهم عليه والدائرة (ان شاء الباحث) تبعت بالمقال لنشره في المجلات الاجنبية . وعلى هذا فلا يعتبر ما ينشره في مجلة اجنبية او يثمن من لدن ثقة اجانب مؤهلا العضو للترقية العلمية ما لم يسبق تعزيزه من قبل هيئة البحث العلمي واطلاع الدائرة عليه .

(٤) يفضل النشر في المجلات الانكليزية ثم الامريكية على غيرها من المجلات الاجنبية والمجلة تسعى بالطرق الجامعية لدى المجلات المختصة لقبول مايكتبه الاعضاء للنشر حين يكون المقال على مستوى عالي وذلك للكشف عن مكانتنا العلمية امام جامعات العالم .

وجوه التقدير والمكافأة للباحثين

تشجيع الباحثين ومكافئتهم على نشاطاتهم العلمية وسيلة مفيدة لتعزيز حركة البحث العلمي .

وفي المجالات التالية يمكن تحقيق الاغراض المذكورة .

(١) تعمل الدائرة ماوسعها لنشر انتاجات الباحثين في المجلات العلمية .

(٢) انا توصل الباحث الى انتاج علمي اصيل او انتاج نوقية علمية ، فان الدائرة تتوسط لدى الجامعة على تحمل كافة النفقات لسفر الباحث لالقاء محاضراته في المؤتمرات العالمية المختصة بالموضوع .

(٣) تتكلف دائرة الجراحة بمطالبة لترقية الباحثين عند تمام توفر الشروط المطلوبة للترقية العلمية من غير ان يتكلف العضو بالمطالبة بهذا الحق .

(٤) ابعاد الباحثين عن المسؤوليات الادارية اياكان نوعها ماخلا اللجان التي تشكل لتتارص موضوع علمي بحث او لتتارص مؤهلات الترقية العلمية .

(٥) اذا كشفت اعمال العضو وانتاجاته العلمية على قابلية خاصة في البحث ، يعفى العضو حين ذاك من بعض او كل واجباته التدريسية حسب رغبته وتبعها لتوفر من يعوضه من الاعضاء .

(٦) تخصص جائزة واحدة (نقدية ورمزية) ولنصميتها (جائزة الجامعة) لكل من يتوصل الى انتاج علمي ذو قيمة عالية ، او لمن يقدم مجموعة من الابحاث العلمية التي اقرت فائدتها من المعرفة والتطبيق .
ملاحظة :

لكي يجد اعضاء الهيئة التدريسية في دائرة الجراحة وقتاً كافياً لتهيئة وتكييف مواقفهم من البحث العلمي بالطريقة التي وصفت في هذه المذكرة ولاكمال ما سبق وسبقوا به من اعمال في هذا المجال ، فيجدر ان يبدأ بتطبيق هذه التعليمات بعد مرور سنة كاملة من وقت اقرارها .

الاستاذ كمال الصامراني
رئيس دائرة الجراحة

الاستاذ الزائر الدكتور سافج وعملية بولدون
استدعيت في صيف سنة ١٩٦٦ الاستاذ (سافج) من لندن ليشاركني في امتحان طلاب السنة النهائية بكلية الطب . وكان قد سمع من بعض طلابي الذين درسوا عليه بلندن - انني امارس عملية (بولدون) باستعمال قطعة من الامعاء الاصنع منها مهبلًا في حالة عدم وجود هذا المصنوع خلقياً ، فكتب لي وهو في لندن ان استحضر مريضة لاطبق عليها هذه العملية حين يكون في بغداد . ولم احصل على مريضة بهذا النقص الخلقي في مدة بقائه ببغداد . غير ان مريضة راجعتني اثناء ذلك في العيادة الخارجية بمستشفى مدينة الطب تشكو من اعراض مهبلية . ولم يكن وجه المريضة غريباً ، فسألته عما انا كانت قد راجعتني قبلاً ؟ فاجابتنني على الفور :
- دكتور انت اجريت لي عملية تصنيع الفرج قبل ثلاث سنوات . فقلت لنفسي هذه مناسبة ثمينة ليرى فيها الاستاذ سافج نتيجة هذه العملية ومدى صلاحيتها للتطبيق . فدعوته لفحص هذه المريضة مدعياً انها تشكو من عدم الحبل . وفحصها الاستاذ سافج ، ورأيت على وجهه وهو يفحص مهبلها علامات التعجب ، والتفت الي وقال :

- كمال ليس لهذه المرأة رحم فكيف تحبل ؟

وسالته :

- ألم تلاحظ في فرجها شيئاً آخر ؟

- عدم وجود الرحم يكفي وحده لتفسر شكواها من العقم ، ولا حاجة ان افترض عن سبب آخر لشكواها .

وكاشفته ضاحكاً .

— ان المهبل الذي فحصته يااستاذ سفج هو جزء من الامعاء . وهي احدى المريضات اللاتي اجريت عليهن عملية بولدن .
وبدت على وجهه الدهشة بشيء من الانكار ، وعاد يفحص المهبل مرة اخرى ،
وقال :
— ياالهي لو لم تقل لي ان المهبل رقعة من الامعاء لبقيت اصر على ان مهبلها طبيبي .

ثم فاجأته مرة اخرى ، وقلت له :
— ان هذه المريضة غير متزوجة ، ولا تشكو من العقم بل هي من (بنات الهوى)
وتعيش على حساب مهبلها المصطنع وتشكو من حرقة وحكة في فرجها لا من عدم الانجاب .
وعاد سافج يضحك وهو يقول :
— ان مهبلها الان افضل من المهبل الطبيبي ، ويغري ان تمتهن الدعارة .



ان اول من صنع المهبل بالطريقة التي عملتها على مريضاتي هو (بولدن)
الامريكي ، وتعرف العملية اليوم باسمه ، وقد مارسها على اربع عشر مريضة اثنتان
منها انتهيتا بالفشل . اما خبرتي في هذه العملية فكانت على اربع عشرة مريضة بفضل
واحدة فقط ، وجميع مريضاتي من الطبقة الفقيرة ومن الرتبة النسائية في المستشفى
الجمهوري ، ومستشفى مدينة الطب ، فلا احتمال ان يكون في ادعائي مغالطة .

في فندق ماديرا بلبنان ١٩٦٦/٧/٨

لبنان المطل من الغرب على مياه البحر الابيض اللآزورية ، ومرفأ بيروت الجاثمة
القرفصاء على صخوره ، وطرقاتها التي تنفذ صعداً الى (عالي وسوق الغرب)
ويحمون وظهور شوير وبرمانه) ، المكسوة جميعاً بأشجار الصنوبر الغنية الخضرة :
هذه اللوحة الفنية لا تضاهيها الا افكار المصورين حين ينقلونها على صفحات
تصاويرهم .

وفندق ماديرا بيحمون هو الذي كنت افضله على غيره من الفنادق قبل ان
اتحول الى فندق سبلنديد او فندق الكرمة بعد ذلك ، ويقع فندق ماديرا على مرتفع على
يمين الطريق الى قرية بجمون . وهو يعد جزءاً من هذه القرية ، واصحابه من بيت

سلامة ، وكانوا فيما مضى قد عاشوا في جزر مابيرا حيث جمعوا منها ما يكفي لبناء هذا الفندق . وهو باي حال ليس فندقاً من الدرجة الاولى ولا من الدرجة الثانية ، وقد يمد من الدرجة الثالثة . واجزه اليومى لايزيد على عشر ليرات لبنانية بما في ذلك وجبات الطعام الثلاثة ، وعند وصولي الى هذا الفندق عصر ١٩٦٧/٧/٨ استقبلني مديره الخواجة (حنا سلامة) نو الشعر الاشيب ، وهو في الخمسين من عمره ، ومع ذلك لم يتزوج بعد . ولم يكن يوم وصولي في هذا الفندق نزلاء كثيرون . كانت فيه عائلتان من العراق ، وثلاثة عوائل لبنانية ، ولولا اطفال هذه العوائل الثلاثة وما يحدثونه من صخب وحركة لبدا الفندق في اكثر ساعات النهار خالياً مهجوراً ليس فيه احد . وقد تمتعت بهذا الهدوء في الاسبوع الاول من وصولي ، وصرت اقرأ واكتب متى شئت ، وافكر بتسلسل واستقامة . وكان معي من الكتب ابن المقفع وارنست همنكواي والجاحظ . وبعد ايام قليلة دخل الفندق نزيل جديد هو الدكتور (انطوان سلامة) ، وكان هماً يبدو عليه الاعياء ، غير انني اكتشفت ان حيويته في الكلام وذاكرته القوية تجعله لا يبدو في اكثر من الستينات وقد شارك كطبيب في الثورة العزبية ، وصاحب اكثر شخصياتها البارزة كالملك حسين وابنائيه عبدالله وفیصل وعلي . كما عرف عن قرب لورنس ومولود مخلص وجعفر العسكري ، وهو يمتدح الامير فيصل بن الحسين بشكل خاص من حيث الرجولة والذكاء ، كما يمتدح مولود مخلص لجراته في مقارعة القوات التركية ، وكان يمجيني ان استعلم منه عن حرب تلك الايام قياساً الى حروب الوقت الراهن وبور الاطباء العرب في تلك الحروب ، فسألته :

— لابد ان حرب تلك الزمان كانت في اكثرها مقارعات جسدية لآلية وتعتمد على الجراءة وقوة الذراع والفتنة .

فاجابني وهو يلم قبضة يده اليمنى ويهزها املم صدره

— كانت حرباً حقيقية ، فيها قوة وحرمان وجوع وعطش .

وسألته :

— وما كان نطاق اعمالكم في التطبيب والتعريض ياكتور سلامة ؟

— كان اكثره في الاسعافات الاولى ، وخياطة الجروح . وكانت الابوية محدودة النوعية والكمية ، وكنا نعتد بسبب ذلك على الاعشاب . اما الابوية الكيماوية فكانت نزره وتستورد من انكلترا . كما كانت الاعمال المختبرية لا يعتمد عليها بقدر ما يعتمد على اعراض المرض وعلاماته في تشخيص نوعه . وكانت خيمة واحدة او خيمتان بالاكتر في مؤخرة كل شيء . اما الحالات المرضية المعقدة والتي تحتاج الى جراحة كبيرة فتنتقل الى احد المستشفيات في المدن القريبة من المعركة . (واستطرد يقول) وكان

للطبيب منزلة محترمة ، ومهنته مقدسة ، والطبيب ايأ كان عمله واختصاصه في علاج
المرضى فانه يعمل مالا يستطيع ان يعمل به غير الطبيب ، وان معرفة جسم النض
وقياس حرارة جسم المريض ، وإمارات المرض على وجه المريض او لسانه تبدو بسيطة
او اولية ، ولكنها عملياً هي من اعجاز الطبيب واسرار نجاحه .

وبالرغم من انني البركت ماكان يعنيه الدكتور سلامة غير انه استطرد لتوضيح
فكرته قائلاً :

— خذ مثلاً : الشهقة علامة مرضية خبيثة اذا صاحبت بعض الامراض الباطنية ،
وقد تكون انذاراً بنهاية عمر المريض . وغير الاطباء من يصف المسهلات لحالات
الامساك ايأ كان سببه . اما الطبيب فيحذر وصفه في بعض الحالات المرضية . وهذا
هو الفرق بين الطبيب وغير الطبيب . وهناك امثلة ليس لها حصر تبدو تافهة ولكنها
حيوية قد تقود المريض الى الهلاك اذا انمرى لمعالجها من ليس له علم بالطب .
وسألته :

— هل كانت اعمالكم في الجيش العربي جراحية ام طبية ؟
— الجراحية هي الغالبة بشكل واضح ، اما الحالات الباطنية فلا تعارلها اهمية
خاصة إلا في امثلة نادرة ، واكثرها يشفى تلقائياً .
كان الدكتور سلامة يتكلم ببطلاً ، ويتوقف قليلاً ليستحضر مايريد ان يقوله ، او
ليستريح . ولما رأيت التعب قد دب فيه قلت له :
— معذرة ياكتور سلامة فقد اتعبتك .

فاجابني بلا حماس :

— الكلام علامة الصحة .. الفكرية على الاقل ، وبأي حال فانا الان في دور النقاهة
بعد عملية رفع البروستات ، والتحدث اليك يثير نشاطي .
فقلت له :

— إنني معجبني ان اسمع منك حكاية غريبة في ممارساتك الطبية بين صفوف
المقاتلين في الجيش العربي .
وسكت الدكتور سلامة قليلاً ثم بدأ يتحدث .

— كان نلك قرب (العقبة) حيث اشتد القتال ، وكثر عدد الجرحى ، وكمبدأ صرت
اخلي الحالات الجراحية التي تحتاج الى علاج عاجل قبل غمرها من الحالات ، وبينما
كنت اسير الى تلك الفئة من الجرحى لينقلهم المضمدون الى الخطوط الخلفية ، مرت
بجريح يستلقي على ظهره ويمسك بطنه بكفتي يديه والدم يسيل من بين اصابعها .
فعددت حالته بسيطة وغر خطيرة أنياً ، فلم اعره اهتمامي ، وعبرته لارى من هو اجدر

منه بالعلاج العاجل ، غير ان هذا الجريح ناداني وهو يرفع يديه عن بطنه وهو يقول لي (يا حكيمة ، انظر مصاريقي خارج بطني) فعدت اليه فاذا حالته سيئة وإصابته الخطيرة لا في جدار بطنه فقط بل شملت الاوعية الدموية الكبيرة فاغرقتة بالدم ، نحملنا هذا الجريح الى الخطوط الخلفية ، الا انه لفظ انفاسه الاخيرة قبل ان يصل مستشفى الميدان .

يوم النكسة في الحرب مع اسرائيل وما تبع ذلك / ١٩٦٧
كانت معركة اسرائيل مع النول العربية يوم ١٩٦٧/٦/٥ مفاجأة مفعمة وسخية لم يتوقعها الكثيرون من العرب ، وكانت من نتائجها مغادرة سكان الضفة الغربية من نهر الاردن الى جانبه الشرقي هارين بارواحيهم من حكم اليهود . وقد تلقى المسلمون في العراق انباء انتصار اليهود في هذه الحرب بكثير من التمتع لفرط براحتهم وسذاجتهم وقصر نظرهم . إذ لو كان المنتصرون في نظرهم في هذه الحرب من الانكليز الفرنسيين او الالمان او اية ملة اخرى غير ملة اليهود لما دعا ذلك الى الاستعراب ، والعراقيون بشكل خاص لا يعرفون عن اليهود إلا ما يرففون عن اولئك الذين سكنوا محلة (ابو شمل) بغداد ، وهؤلاء حين يهجم عليهم صبي مسلم بسكينة مطيح او حتى صرارة قلم كتابة ، يتراكم امامه حشد من رجال اليهود في الارقة الصيقة خوفاً من بطش مطارديهم المسلمين . اما يهود اسرائيل) فهم من طبقات وعييات مختارة من الاقطار الاوروبية والامريكية المتحضرة .

لقد كانت اخبار الهارين العرب من قسوة اليهود تثير الغضب على تهاون الحكومات العربية وسوء تقديرها لقوة اليهود في هذه الحرب . وبعد ثلاثة ايام من نكسة حزيران التي ذكرتها مررت بشارع الرشيد ، حيث شاهدت تظاهرات ساخبة من الشباب الهائج بحماس لنصرة العرب في فلسطين ، وهي تحمل اللافتات التي تدعو المواطنين الى التطوع لمحاربة اليهود الصهاينة الذي احتلوا اولى القبلتين في القدس الشريف وهذه مواطني اكثر مما هي مشروع لعملية ناححة في طرد اليهود مما احتلوه من الاراض الفلسطينية .

وفجأة وبون تلسل في التفكير ارتأيت ان اتصل ببعض الاصدقاء والزلاء لتشكيل لجنة تبرعات لخدمة الفلسطينيين الهارين والمطرودين من ديارهم ، وتقديم ما يموزهم من اسباب المعيش ودفع الامراض عنهم ، فاتصلت في اليوم التالي بالدكتور سالم الدملوجي ، وقررنا معاً دعوة الاستاذ طالب جميل والاستاذ نجيب الصانع والدكتور طارق حمدي والدكتور احسان البحراني لمشاركتنا في تقديم طلب الى السيد وزير

الداخلية ليجيئنا بجمع تبرعات بمبلغ مائة ألف دينار ، وقد رحب السيد الوزير بطلبنا واصدر موافقته تلفونياً ، وفي اليوم التالي وصلتنا موافقته الخطية ، واذعت في الصحف والتلفزيون بعنوان (نداء الى عموم الاطباء للحضور في الساعة العاشرة من صباح غد في قاعة التشريح بالكلية الطبية للتداول في امور إنسانية وطبية) .

وفي الوقت المذكور غصت القاعة بمن سمع النداء من الاطباء ، فكانت هذه بداية مفرحة . ونهضت من مكاني الى منصة الخطابة في القاعة وقلت فيما قلت (ان الله تعالى يتكفل بمن استشهد برصاص الصهاينة فلنتكفل نحن باسماف الجرحى والذين ينامون جوعى في الخواء) .

ورأيت ان ابدأ انا بالتبرع ، فسجلت على نفسي وانا اذكر بأعلى صوتي (- ألف دينار) وتحركت اريحية من في القاعة فسارعوا يتبرعون بسخاء ، فتبرع بعدي ثلاثة كل واحد منهم بألف دينار ، وأربعة بخمسمائة دينار ، وآخر من تبرع منهم كان مراته الشهري الذي كان بحدود المائة وعشرين ديناراً ، فتكومت امامي على المنضدة في حلال اقل من ساعة اثنان واربعون ألف دينار صكوكاً ونقداً ، فزهوت اي زهو بهذا المبلغ وكأنني قد حملته رأساً الى المتضررين من اهل فلسطين .

واودعت المبلغ في (مصرف الرافدين فرع باب المعظم) على ان يكون السحب متوقفي وتوقيع محاسب لجنة التبرعات الاستاذ نجيب الصائغ .

وفي مساء يوم هذا التجمع إتصل بي الزميل الدكتور عزت مصطفى وسألني عن كيفية توزيع هذا المبلغ على المنكوبين من اهل فلسطين والارن وسوريا ومصر ، فأجبته حالاً في رأيي ان تؤسس جمعية باسم جمعية صندوق فلسطين تختص بتوزيع هذا المبلغ ، وتستمر في تقديم الدعم للمتضررين في حرب حزيران وسألني : مبدئياً ماهو رأيك في توزيع المبلغ الذي حصلت عليه من المتبرعين ؟

فأجبته : بالتساوي بين الارن وسوريا ومصر .

فأقترح يقول : ان سوريا هي اكثر الاقطار العربية التي تضررت بهذه الحرب ، وحدا لو يكون نصيبها من المساعدة اكثر ممايصيب الارن ومصر منها .

وسكت عن هذا المقترح واطنه عرف منه موقفي السلبي من مقترحه .

وفي اليوم التالي قدمنا نحن لجنة التبرعات طلباً الى وزارة الداخلية لتأسيس جمعية باسم (جمعية صندوق فلسطين) إختصاصها تقديم العون الطبي للاجئين الفلسطينيين الى الارن ، فأجازنا السيد الوزير حالاً . ورأينا في اول يوم احتممت فيه هذه الجمعية ان نصيف الى اعضائها الاستاذ نور الدين الواعظ والسيد صبيح الشبيبي ، وأعلننا هذا التكوين الحديد في الصحف المحلية ، واتخذنا مقراً لها في

البنية التي كانت تشغلها جمعية مكافحة التدخين العراقية التي تقابل حديقة غازي من الجنوب .

وفي يوم اول اجتماع لهذه الجمعية كلمني تلفونياً الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا وهو موظف كبير بدائرة (النفط العراقية) واخبرني ان اقبال مدير شركة النفط العراقية لاتسلم صكاً بمبلغ مائة الف دينار تبرعاً من الشركة لجمعية صندوق فلسطين . وفي صباح اليوم التالي قابلت مدير الشركة وهو فرنسي الاصل والجنسية ، وسلمني مغلفاً فيه صك على البنك الشرقي بالمبلغ المذكور . وفيما انا استحضر نفسي لمغادرة دائرته الانيقة قال لي :

— ان لدى الشركة اربعة شاحنات ضخمة مصممة لتكون مستشفى متنقل ، احدى الشاحنات للمعدات الجراحية ، واخرى للمرضى ، وثالثة للاطباء ، والرابعة للمرضات ، وهي بالتأكيد ما تحتاجونه في هذه الظروف (ثم اضاف) على ان نقل هذه الشاحنات الى الارض يحتاج لضخامتها الى ساحبة ذات فرامل خاصة تقوى على كبحها اذا اندفعت سريعة على المنحدرات الحادة . وهذه الساحبة لا تتوفر الا في وزارة الدفاع ، وموافقة وزير هذه الوزارة ضرورية للحصول عليها . فذهبت بنفسي الى الوزير بنفسني وكان السيد شاكر محمود شكري فكانت موافقته أنية والحمد لله .

وخرجت من دائرة مدير (شركة النفط العراقية) فرحاً اي فرح . وتوالى الحظ السعيد لجمعية صندوق فلسطين فقد استلمت باسم الجمعية من ممثل (كوينكيان) مبلغ مائة الف دولار مساهمة منه في دعم اعمال الجمعية . كما وتسلمت في اليوم نفسه من جمعية (الصداقة العراقية الامريكية) مبلغ خمسين الف دولار ، ومن السيدة عزة ابراهيم شوكت خمسين دينار . وكانت هذه السيدة الكريمة تسكن يومئذ في امريكا فكلمت ابنيها تلفونياً ان يدعم لجمعية صندوق فلسطين هذا المبلغ باسمها . وقد اكبرت الجمعية شعور هذه السيدة على التفاتتها الكريمة ، ولاغربة في ذلك فهي ابنة الاستاذ ابراهيم شوكت وحفيده الاستاذ درويش المقدادي وكلاهما معروف بشعوره الوطني .

وصباح اليوم الثامن من هذا الشهر عاد اليّ الدكتور عزت مصطفى ، وعرفت سلفاً ما يريد مني فقلت له :

— قررت الجمعية ان توزع التبرعات على الجبهة السورية والجبهة الاردنية والجبهة المصرية بالتساوي .

وسكت الدكتور عزت برهة ثم قال :

— طيب ، عندي الان رجاء ، وهو ان نذهب الان سوية الى السفارة السورية لتسليم

هك نصيب سوريا في الميراث الصغير ونوجد صورة بونويرية بعد خدمة هـ بحسبي
المصانفة ان به احد الصغير في ذرتة مكنت به رسالة ملاخرا باسمه مع بعض
الى صاحب السفارة.

في صباح اليوم التالي لاحظت بومر كسر غير متوقع في إحدى أسنانها
عميد كلية الطب قال فيها (مزعج).

— کنت أتوقع أن أكون على عهد مصفر راجعاً إلى ذنبي صغير، سرور سرور
موافق الكلية !

وأتصل بي كقولها في اليوم نفسه فبينا لا أرى سبيحة : فخرج من حرم
وتمثال ، يقول :

— كان يجب أن يكون للثقافة عنه مما يحسنه جميع سرمد - مر كز - محمد - سكر -
الثقافة صاحبة المبادرة الى جميع التمرعات :

وكان حواسي واحداً لكليهما وهو قد لي قوة يحصر به أحد فيه من
الاضطرار الى الاجتماعات النفسية وما يحصر به بقدر فيه شيئاً آخر من
اوقات تميمة واصفوت . وكان تصرفنا هو عيناً يحصر به ما قد يضر به
فيه . وبأي حال لم تكن إخراجاتنا منعه من سريره هو حرج على احد

وفي اليوم الثاني كتبتني السيد D في نصيحة سفراء في مصر في حضور
الوزارة في الساعة العاشرة من يوم غد وحيث حضور في مجلس مصر في مجلس
الى غرفة السيد الوزير حمزة من حضرة سيدة كبرية من حضرة سيدة كبرية
والاخران لم يصب في ان رأيتهم فعلا في مجلس عديت في مصر في مصر
الاجتماع .

قال السيد الورير . وهو طبيب حم الألب

— ان النقاۃ تقدر جهتك بجميع الصفات النبویة — حریر عمر —
النقاۃ تزی ان عملک کان یحب ان یأتی فی عار عمر سده به — بحر — وهو
حالة فيه .

عقلت للسيد الوزير — أقولها صراحة لو لم يكن في رعدة صغره مصدر
مهمتي وبالسرعة ذاتها لما تأخرت عن كمنعه من أن يخطئ في صلبه
وفي هذه اللحظة خاطبني بقول الأعداء مصدر حذرة لأعداء صغره
وهكذا تستطيع أن تقوم بحجم التمرحات و لمدة مكافئه كمنعه من صغره

انا اصف ان اصمم من استاذ مثل هذا الامعاء !

علم القصة الى الدقيق بل عاظمت العهد نورى هذا

— ان لغة النقيب لا افهمها ، وارجو ان يكون حوارنا ناضجاً وموضوعياً وهادئاً
وبلغة تفرسها اللياقة والزمالة ، والإغمار الاجتماع .

وسألني السيد الوزير وهو يخاطبني تحبباً باسمي :

— لو كنت انت في موقف النقابة إلا يفيظك قيام احد الاطباء بجمع التبرعات دون
علم النقابة ودون ترخيص منها فالنقابة لها وجهة نظر ارى انها مقبولة (ثم اضاف
متعجلاً) نريد الان ان نصل الى تسوية بشيء من التنازل من الجانبين .
فقلت للسيد الوزير :

— انا مستعد لقبول اي مقترح من قبلكم او من قبل النقابة فيه نفع للقضية التي
نعمل جميعنا من اجلها .

وسألني السيد الوزير :

— اعتقد انهم لا يعارضون الحل النافع .

وسمعت النقيب يعقب على جوابي قائلاً بتهكم واستهزاء .

— مسيطر جنابه على اعضاء لجنة التبرعات !

ولم التفت الى النقيب ولا علقت على كلامه .

وهنا قال السيد مدير الصحة العام الدكتور مردان علي :

— لملك يا استاذ كمال ان النقابة شكلت لجنة باسمها لجمع التبرعات .
فقلت :

— هذا رائع واتمنى نجاحها ، ولكنها متأخرة في المبادرة فقال النقيب بلهجة
عدائية .

— النقابة تقترح دمج اللجنتين ، ويكون الصرف من صلاحية النقابة .

فقلت :

— هذا يعني حل لجنتنا ، وفي هذه الحال لا بد ان اعرض الرأي على زملائي في لجنة
التبرعات .

فقال السيد الوزير :

— حل وسط ؟ الصرف من قبل اللجنتين .

وسمعت النقيب يقول كما لو انه يكلم نفسه .

— أنا لا افهم هذا المنطق ، اجتمعنا هنا لنحصر التبرعات وصرفها بنقابة الاطباء .

أنا غير موافق واطلب من الدكتور كمال ان يعتذر مما بدر منه على صفحات الجرائد .

وفي حالة امتناعه عن ذلك يفصل من النقابة !

وهنا استأنفت من السيد الوزير وغادرت الجلسة .

وفي صباح اليوم التالي وصلني كتاب بلا رقم من النقابة بتوقيع السيد النقيب هذا نصه (الى الدكتور كمال السامرائي / يجب حضورك في مقر النقابة في الساعة السابعة مساءً من يوم ١٩٦٧/٧/١٠ للمداولة معك حول جمع التبرعات من الاطباء دون علم النقابة / التوقيع / نقيب الاطباء)
فاجبت على هذا الكتاب بما هذا نصه :

السيد نقيب الاطباء الدكتور طلال شوكت المحترم
ان صيغة كتابكم الذي استلمته يوم ١٩٦٧/٦/١٤ (دون رقم) خال من الادب الاجتماعي والسلوك المهني ، إذ ليس (وجوباً) عليّ ان احضر الى دائرتكم بنقابة الاطباء ، لان ذلك من صلاحية مجلس ادارة النقابة .
وباستطاعتي على هذا ان امتنع عن الحضور ، وسوف لا أستجيب لطلبكم ، الا ان الادب يضطرنني ان اخبرك بذلك لكي لا تنتظروني .

التوقيع : كمال السامرائي
وفي الوقت الذي ادخلت فيه هذه الرسالة في ملف لابعثه الى النقابة اطلمت على منشور وزعته النقابة على الاطباء فيه تجريح بشخصي خارج عن توقعاتي من نقابة المفروض ان تكون مثلاً فيما تقوله وما تفعله . فاخذت القلم مرة أخرى ونيلت رسالتي المذكورة اعلاه بالعبارة التالية .

(اطلمت بمزيد من الاسف على المنشور الذي وزعتموه على اطباء بغداد وفيه الكثير من الشتم غير اللائق بمقام النقابة ، وباستطاعتي ان اقيم عليكم دعوة تشهير على الطريقة التي سلكتموها معي في توزيع تلك المنشور ، ولكنني توقفت عن عمل ذلك لما فيه من الضرر بسمعه النقابة .

التوقيع : الدكتور كمال السامرائي

ملاحظة :

كتبت هذه الرسالة بخط يدي حفاظاً على سريتها .
وفي صباح يوم ١٩٦٧/٦/١٢ كلمني الدكتور عزت مصطفى وهو احد المتحمسين الى جانبي لي جمع التبرعات ، ويأدرني يقول :
— اطلمت على منشور النقابة الذي نشرته الجرائد ضلك ، وهو تصرف ناسف عليه (ولم اكن قد اطلمت بعد على تلك المنشور) . وارى لحل النزاع الذي بينك وبين النقابة فاني اقترح ابرام الصيغة الاتية فيما بينكما ، واخرج ورقة من جيبه وقدمها لي ، وهذا نصها :

(اعتماداً الى الاتفاق الذي حصل بين نقابة الاطباء ولجنة عرب فلسطين .
يحتفظ كلا الطرفين باوجه الصرف التي نصت عليها لجنة مكونة من نقيب الاطباء
والدكتور كمال السامرائي والدكتور هادي السباك ممثل اتحاد الاطباء العرب والدكتور
احسان البحراي مقررأ .

التواقيع من اليمين الى الشمال : كمال السامرائي ، عزت مصطفى ، طلال ناجي
شوكت وكان كل من الدكتور عزت والدكتور طلال قد وقعا تحت اسميهما قبل ان تقدم لي
هذه الورقة واقرأ محتوياتها وطلب مني الدكتور عزت ان اوقع تحت اسمي في هذه
الورقة فوقعت عليها بون تردد وانا اقول له : اني احتفظ بحق الرجوع عنها بعد ان
اقرا منشور النقابة في الجرائد ضدي .

وفي يومها طلبت الجريدتين اللتين نشرتا منشور النقابة فاذا فيه من بذاعة اللفظ
والمعنى ما لا يليق . وبون تفكير طويل قررت ان لا اراجع عن موافقتي على ما وقعته
في الورقة التي حملها الي الدكتور عزت مصطفى والا صرت بمستوى من كتب تلك
النشرة .

الدكتور جلال المزاوي ١٩٦٧/٨/١٩

في صباح هذا اليوم نمت كلية الطب الدكتور جلال المزاوي . وهذا الرجل الطيب
نوصفات حميدة متميزة تدفعني ان استنكره كأحد أساتذة كلية الطب . وهو بقدادي
من عشيرة العزة العربية . وحين يوقع في مكاتباته يكتب تحت توقيع اسميه كاملاً
(جلال الدين ال مزاوي) وهو يتصرف يوماً ببنمرة بغدادية عشائرية بون تعصب .
وحين رأيت كانت جملة رأسه حليط من الشعر الاسود والابيض . وكان يومئذ استاذ
الدروس السريرية في امراض المعن ، اما رئيس القسم في هذا الاختصاص فهو الاستاذ
سينسر . ويلفظ جلال المزاوي اسمه سينسر (بفتح السين والباء وسكون النون)
وكان يتجيبه إذ سمع بـ ين يعرف اللغة الانكليزية . وجلال المزاوي حمن الهيئة
والقيافة ، ونوبس صحم ور - ينس تطوف عليه حمرة خفيفة . وكانت محاضراته
السريرية ممتعة وخصوصاً من المريضات الفقيرات وهن يحملن على ايديهن صفارهن
المصابين بومد المعن ، فاذا يراها قد تأخرت في عرض ابنها على اطباء هذا المستشفى
يلعننها ويلعن اباهما وجدها وعشيرتها ثم يقبض على زندها ويمضه حتى تصرخ على
انه كان عطوفاً على هذه الطبقة من المرضى ويطيل التحدث اليهن بالارشادات
والنصائح والتعليمات في طريقة استعمال الانوية . كما كان لا ينسى قط شراء بعض
الاقمشة الرخيصة لايام الاعياد ليوزعها على الفقراء ممن يراجع العيادة الخارجية في

المستشفى الملكي . وكان يعتمد على مضمده (مهدي) اكثر مما يعتمد على معاونيه
الدكتور احمد سهيل وعبد السلام عوني ، ولا يخاطبه الا بلقب (الافندي) .

كان يشير يوماً ، بالتبجيل والثناء الى استاذہ الفرنسي (لان — رانش) وينسب
اليه كثيراً من الابتكارات في عمليات العين ومعالجتها ، كما كان اذا حكمت المناسبة
يذكر ايامه في استانبول حيث درس الطب في مستشفى حيدر باشا ، ومقالبه مع رفاقه
العراقيين في هذه الكلية وبخاصة مع فائق شاکر (الدكتور فيما بعد ذلك) كذلك يذكر
بتلفذ ايامه الهنيئة حين كان طبيباً في دائرة سكك الحديد في الاناضول ولياليه
الحمراء في عربات قطار ذلك الخط مع الارمنيات ، وحين عاد الى بغداد في اوائل سني
العشرينات بقي كما كان في استانبول مرحاً واجتماعياً وذا اصحاب كثيرين حتى بعد
زواجه من زوجته الفاضلة (ام نجلة الجليلة) ومن لهوه اجتماعاته المقفنة مع
اصحابه في نادي نجلة يلعبون الورق للمتعة لا للكسب فيسهرون نون وعي منهم الى
ساعة متأخرة من الليل ، وحين يدخل بيته يدرك حينذاك انه قد تاخر كثيراً فتستقبله
زوجته ام نجلة وفي عينها وسن مطبق ، فيسبقها الى العتب قائلاً :

— اسمعيني يا ام نجلة ، انا ما استحي ، انا ما عندي غيره .. انا ... انا ، الك
شيء آخر تقولينه عني ؟

فتضحك زوجته وتقول :

— والله ما اعرف اكو شيء بعد لاقوله ، فقد ذكرت انت كل شيء .

ويقول لها :

— ام نجلة ، الحمد لله تفاهمنا .

وكان جلال المزايي يحب الطرب ويانس للمطربين ، وانكر ذات ليلة في حفلة
اقيمت في بهو الامانة حضرها رئيس الوزراء مزاحم الهاجـه جي (١٩٤٨) وكنا
ساعتئذ نتحلق حول استاننا جلال المزايي وكأنه قائد جوقتنا لنستجيب لنوايره
بالضحك والتصفيق بكل ما نستطيع من حرية وانطلاق ، ولما حانت وصلة الرقص
الشرقي وتقدمت الفنانة الجميلة عفيفة اسكندر للفناء قال جلال المزايي وقد تسمرت
عيناه عليها .

— هذه هي ٦٩٣ ، ويومها كانت هذه الحبوب نواء يشفي (حسب اعتقاد
العامة) جميع الامراض بما في ذلك المقم عند النساء ، ولم ينتظر جلال المزايي

(الاستاذ) طويلاً حتى تناول سكينين من على مائدتنا وتقدم من عذيفة وهو يرقص بالطريقة الروسية ، فيضرب سكيناً بسكين ، ويضرب الارض برجل ثم يضربها بالرجل الأخرى ، وصرنا نصفق له ، ثم صار من كان حول حلبة الغناء يصفقون له بمرح ويصيح ، مما اضطر الفنانة عذيفة ان توقف غناها وتحاول ان تعمل مثلما يعمل كما صار الجوق الموسيقي يضرب على آلاته بانغام تناسق رقصات جلال المزايي . وبعد لحظات تراخى موقف رئيس الوزراء مزاحم الباجه جي فاشترك مع من في البهو في الضحك والتصفيق . كان كل ذلك في سنة ١٩٤٨ ، وقد نقول ان جلال المزايي فعل ذلك حين كان في عنفوان عمره غيمه انه بقى كما هو حتى أواخر عمره حين صار عميداً لكلية الطب .

رحم الله الدكتور جلال المزايي رحمة واسعة

مجلس كلية الطب يطرد طالباً من الكلية / ١٩٦٧

التام مجلس كلية الطب في اجتماع استثنائي طارئ لمناقشة حادث وقع في مطعم الكلية الطبية ، وملخصه ان احد طلاب الكلية اطلق عياراً نارياً من مسدس يحمله ، على سقف مطعم الكلية بينما كان طلاب الكلية يقيمون اجتماعاً يحتجون فيه على اعتداءات (اسرائيل) على العرب . في الاراضي التي احتلتها من فلسطين . وذكر احد اعضاء المجلس ان الطالب (فلان) هو الذي اطلق العيار الناري من مسدس يكثر من حمله حين يدخل الكلية ، كما ذكر ان هذا الطالب غير متزن وانه متهور ومشاكس ، وانه اعتدى يوماً بالفاظ غير مؤببة على رئيس الوفد الذي يزور يومئذ ايران . وسأل عميد الكلية عضو المجلس عن هوية الطالب فعرفنا انه عربي من فلسطين . فاستدعى المجلس الطالب المتهم فنضى ان يكون هو الذي اطلق العيار الناري في مطعم الكلية كما دافع عن فعل ذلك بوصفه حدث في لحظة حماس عجز عن كتمه ، وان من يتهمه يهدف من ذلك ضرب الطلاب الفلسطينيين من الخلف ، وقال غير ذلك بحماس شديد ، وحين طلب احد اعضاء المجلس ان يقسم انه لا يعرف من اطلق العيار الناري في مطعم الكلية ، اقسم بجرأة انه يدلي بكل ما يعرفه عن تلك الحادث إلا ذكر اسم الطالب الذي اطلق النار ، وهو غير فلسطيني .

وسأل احد اعضاء المجلس تلك الطالب الفلسطيني :

— تحب فلسطين ؟

فاجابه الطالب :

— هل هذا سؤال يا استاذ ، وفلسطين امي وابي !
فعاد ذلك العضو يقول للمتهم :
— احلفك بدماء الفلسطينيين ان تذكر اسم من اطلق العيار الناري ، والا فانت
لا تحب فلسطين .
— استاذ هذا منطق مربود وارجو ان لا تنفيطني .
وفي هذه اللحظات دخل سكرتير العميد واسر شيئاً في اذنه فالتفت العميد الى
الطالب المتهم وقال له :
— طيب يا ابني ، وهذا يكفي .
وخرج الطالب من قاعة المجلس وخرج بعده سكرتير الكلية ، وقال العميد :
— ثمة شاهد عيان ذكره لي السكرتير ، وهو احد فراشي المطعم . واستدعى ذلك
الفراش ، وبخل القاعة خائفاً متردداً . وبعد قليل ذكر اسم الطالب الذي اطلق العيار
الناري ، فاستدعى الطالب للاستجواب امام اعضاء مجلس الكلية ، وسأله العميد
عمن اطلق العيار الناري ، فاجابه على الفور :
— انا الذي اطلقتة ياسيدي .
وبهت اعضاء المجلس لجراته والتزموا الصمت لهذه المواجهة .
وسأله العميد :
— الا تعرف ان ذلك ممنوع يا ولدي ؟
فاجابه الطالب :
— اعرف ذلك .
— ولماذا فعلته ؟
— لانني لم استطع كبح اندفاعي وحميتي لفلسطين .
— عقاب ذلك الطرد ، هل تعرف ذلك ؟
— اعرفه ياسيدي ، ولكن حماستي لاتعرفه ، وعرويتي تنفيه .
وكان هذا الطالب جريئاً وصريحاً ، فعقل لسان العميد ، كما أسكت اعضاء
المجلس فلم ينبس احد منهم بشقة .
وغادر هذا الطالب قاعة الاجتماع .
وبعد نقاش لم يطل كانت اكثرية اراء اعضاء المجلس بتطبيق نظام الكلية
وطرده ما تبقى من اشهر السنة الجارية ، وهذا معناه ان يعد راسباً في امتحانات
لروس هذه السنة .
وغادر اعضاء المجلس وهم ضائعون بين مشاعرهم المتضادة ، واي من اطرافها

مراسف ومزالم .

وفي صباح اليوم التالي اتصل عميد الكلية تليفونياً بـرجو مني ان احضر جلسة لمح
اعتيادية طارئة ، في مجلس الكلية . وفي الساعة العاشرة صباحاً اي بعد نصف ساعة
من تلك المكالمة التليفونية . دخلت قاعة المجلس فاذا قد سبقني اليها كافة اعضاء
المجلس .

واففتح العميد الجلسة يقول :

— في جلسة يوم البارحة تسرعنا مع الاسف في اصدار قرار طرد الطالب فارجو اليوم
اعادة النظر بهذا الامر ، وتحفيف العقوبة الى (التوبيخ) . وسبقت زملائي من
اعضاء المجلس اقول :

— كل ما استطيع عمله لاسناد موقف العمادة الجديد ان اعد (غائباً) عن هذه
الجلسة . وغابرت القاعة لكون امام (شخص) احبه على بعد واحترم مبادئه
الحزبية ، فسألني :

— ماذا كان قراركم يااستاذ ؟

وكننت في تلك اللحظة اتمنى لو انني اتفقت مع من ارتأى تحفيف العقوبة في هذه
الجلسة الطارئة ، فلم يسمع مني ذلك الشخصية كلمة ترضيه او لاترضيه واحذت
طريقي الى قسمي في الامراض النسائية والنوليد بمستشفى مدينة الطب وانا مقتنع
بقرار انني لأصلح للاعمال الادارية في كلية الطب .

مقترح لانشاء كلية سريرية

رفعت الكتاب الاتي الى رئاسة جامعة بغداد برقم ١٤٥ وتاريخ

١٩٦٧/١١/٩

الى /

السيد رئيس الجامعة

بمناسبة قرب تدارس المناهج في الجامعة كما تبين في جدول اعمال المجلس
العلمي ، فارجو ان يكون من المفيد ان ارفع الى سيادتكم هذه المذكرة انني — على
ما ارى — لها علاقة بالمناهج وسير التدريس في كلية الطب .

الكثير مما يدحل في موضوع المناهج كتوزيع الدروس على سنوات الدراسة وتوضيح
الحصص في فصول السنة او الامتحانات وما يتبعها ، او ما يخص البحث العلمي
والدراسات العليا ... اكثر هذه الامور يمكن اناطتها بالوائز العنمة وخدمات
الكليات . وباستقطاع الدائرتين ان تجدا افضل المناهج واسهلها عند لتطبيق . اما

الامر الذي عجزت عن حله كلية الطب فهو مشكلة عدد اعضاء هيئة التدريس بالنسبة الى عدد الطلاب . ان النسبة المذكورة في الكليات الطبية الراقية تتراوح بين مدرس الى خمسة طلاب ومدرس واحد الى سبعة طلاب . وفي كلية الطب ببغداد تهبط هذه النسبة الى مدرس واحد لكل ٦٨ طالبا في بعض الدروس السريرية . وانعدام الفائدة العلمية بهذا الحال امر يطول شرحه ، وخلصته ان اكثر من ثلثي الطلاب لا يفهمون شيئا من الدروس المذكورة . والكلية تدرك خطورة هذا الحال وقد عملت على اصلاحه ما استطاعت ، كما ان الجامعة وهي الطرف الاخر والا هم في تحقيق رفع المستوى ، لا تستطيع وهي تحت ضغط حاجة البلد الملحة الا ان تقبل سنوياً اكبر عدد ممكن من الطلاب في الكلية . والاستفادة من مستشفيات وزارة الصحة الى محاولة للاصلاح ثبت انها غير عملية . كذلك نقل بعض ذوي المؤهلات الجامعية من منتسبي وزارة الصحة الى الملاك التدريسي الجامعة ليس في مصلحة الوزارة ولا من مصلحة المواطنين الذين يراجعون المستشفيات الحكومية . كما انه يترك هؤلاء الاطباء المنقولين بلا اعمال تطبيقية في المستشفى الجمهوري وذلك لكثرة الايدي العاملة من الاطباء في حقل التطبيب مضافا الى كل ماتقدم ان ضم اعضاء جدد الى هيئة التدريس لا يساعد على حل المشكلة وذلك لازدحام الطلاب في اجنحة التدريس بدرجة لا يمكن تحقيق الفائدة العلمية باي حال من الاحوال . ولان خطورة نسبة الطلاب الى المدرسين وضيق مكانات التدريس في السريريات التطبيقية متمثلة في السنوات الثلاث السريرية (العلوم الاساسية) . وفي الدروس التطبيقية اكثر مما هي في الدروس السريرية النظرية . على ما تقدم يكون من الممكن حل هذه القضية بفتح كلية طب اخرى في بغداد للمواضيع المذكورة فقط . مكونة من ثلاثة صفوف تقابل الصف الرابع والخامس والسادس في كلية الطب بالمستشفى الجمهوري . تقبل هذه الكلية من ينجح من الصف الثالث في الكلية الطبية . اي ان الطلاب بعد ان ينتهوا من السنوات الثلاث في كلية الطب يبقى نصفهم في الكلية نفسها لاكمال دراساتهم الطبية في المواضيع السريرية وينتقل النصف الثاني الى الكلية الطبية التي نقترح استحداثها لدراسة المواضيع السريرية كما يفعل النصف الذي بقي في كلية الطب . ولفتح هذه الكلية لايحتاج الامر الى اكثر من اربعة قاعات للدروس النظرية ، تشيد في احدى مستشفيات بغداد الكبيرة . اما ما يخص الدروس التطبيقية فمن الممكن الاستفادة من المستشفيات الكبيرة الثلاثة الموجودة في بغداد ، وفي كل من هذه المستشفيات طبيان على الاقل هم بالتاكيد في مستوى علمي وجامعي ويمكن منحهم مرتبة تدريسية جامعية لحيازتهم على الشروط المطلوبة . وكل ماتحتاجه الكلية بعد ذلك هو نقل ثلاثة اساتذة في المواضيع الرئيسية

الثلاث (طب . جراحة . نسائية) من كلية الطب الموجودة الى كلية الطب الجديدة . للتوجيه والاشتراك في اعطاء الدروس النظرية . والتنظيم الذي ذكرته باختصار يحل كثيراً من المشاكل الاخرى التي تعاني منها كل من كلية الطب والمستشفى الجمهوري ، كازدحام الاساتذة في بعض الاقسام مما خلق اضطراباً في توجيه المسؤولين ، كما ان عددهم الكثير في بعض الاختصاصات لا يسمح باي حال من الاحوال بتطبيق النظام الهرمي في ادارة الاقسام وفي افادة الطلاب في الدروس النظرية والتطبيقية معا . كما يحتمل ان يخفف فتح الكلية في احدى مستشفيات بغداد من الضغط المتزايد على المستشفى الجمهوري الذي هو في الواقع مستشفى المراق لمستشفى بغداد بسبب وجود كلية الطب فيه وكثرة الاختصاصيين وتجاور نواترهم في المستشفى . واخيراً ان فتح كلية اخرى في بغداد يثير التنافس العلمي بين الكليتين الى التفاضل ورفع المستويات العلمية والانضباطية . والفكرة التي شرحتها ليست مبتكرة فهي مطبقة في كثير من الجامعات المعروفة وفي لندن نفسها ثلاثة كليات في ثلاث مستشفيات ليس في احدها الا الصفوف السريرية اي الطلاب الذين اجتازوا السنوات الثلاث تحت السريرية في كليات اخرى . والواقع العملي في كلية طب بغداد هو ان المستشفى الجمهوري هو الكلية الطبية ، لان اكثر من ثلاثة ارباع اعمال التدريس السريري تتم في المستشفى الجمهوري ، كما ان نواتر اعضاء هيئة التدريس موجودة في المستشفى لا في بداية الكلية ، ولو توفرت في المستشفى الجمهوري ثلاثة قاعات فقط للمحاضرات السريرية لما بقي لبناية الكلية الطبية حاجة الى الوجود بالنسبة الى طلاب الصفوف السريرية ومدرسيهم .

من الواضح ان تطبيق فكرة فتح كلية طب في بغداد بالتنظيم الذي ذكرته يعتمد اولاً واخيراً على موافقة وزارة الصحة وباستطاعة الوزارة لو عنت الموازنة ان تقوم هذه الكلية بمنتهى السهولة وذلك بتجميع نوي المؤهلات الجامعية من منتسبها الاطباء في المستشفى الذي تفتح فيه الكلية . او تجمعهم في مستشفيين متقاربين كمستشفى الشعب والكرخ الجمهوري . وينفس التنظيم الذي ذكرته تستطيع وزارة الصحة نفسها ان تفتح الكلية على ملاكها حينذاك لا بد من موافقة جامعة بغداد وتعاونها على تزويد كلية طب الوزارة بنصف عدد الناجحين من الصف الثالث في كلية الطب كما اسلفنا ، ويتزويدها بثلاثة اساتذة في المواضيع الثلاث الرئيسية ثم الاعتراف بمستواها لمنح المراتب الجامعية بالنظام المعمول به في جامعة بغداد كذلك معاونتها على تبالل اعضاء هيئة التدريس فيما بين الاختصاصات المختلفة .

وتلاقي وزارة الصحة مع جامعة بغداد على تبني احدهما هذه الفكرة لا يبرر وفائدها للصالح العام والطلاب وهذا.

أكد ان الدروس السريرية التطبيقية في الكلية فاشلة بسبب كثرة الطلاب وضيق مكانات التدريس وهو امر يعترف به اعضاء هيئة التدريس كما يدركه الطلاب ويشكون منه مر الشكوى . وارى ان الفكرة التي رفعتها ، ، لهذه القضية تصلح للدرس والمناقشة . مع الاحترام .

الاستاذ كمال السامرائي

رئيس دائرة الجراحة

صورة منه الى /

عمادة الكلية الطبية

رئاسة دائرة الطب

العلوم الطبية الاساسية .

وعرض السيد العميد هذا المقترح على لجنة قوامها اعضاء كنت اعرفهم من اشد المعارضين لفكرتي ، كما وصلت مذكرتي للسيد رئيس الجمهورية ، غير ان السيد العميد استطاع ان يقنع السيد الرئيس بتجميد الفكرة فلم نقم لها قائمة .

الاستاذ كليفور جونس في بغداد / ١٩٦٧

استزارت (دائرة الجراحة) بكلية الطب استاذ الجراحة في جامعة شفلد بانكلترا لدكتور كليفور جونس ليشارك في الامتحانات النهائية بهذا الاختصاص في كلية طب بغداد . وكالعادة اقيمت له عدة دعوات محامنة من قبل اطباء الكلية . وبعد خمسة ايام غادر العراق وهو يحمل انطباعات جيدة عن العراق وعن الطلاب الذين امتدحوا . وقد استر لي قبل سفره انه سيرسل الى الطالب الاول في امتحانات الجراحة كتاباً من صنع معامل شفلد المشهورة باعمالها الدقيقة . فاتصلت بـ بشرة نامية في بغداد لاستحصل موافقته على هذا التكريم وبعد اسبوعين وصلني كتاب من د. جونس يفيد فيه انه بعث بالبريد الجوي الكاس الفضي الذي وعد به . وبعد نحو شهرين وصلني كتاب آخر يبدي استغفاره فيه برحوم الكاس اليه بون تفسير . فرفعت ، ، جامعة بغداد الكتاب الاتي :

الى /
السيد امين الجامعة

الموضوع /
استفسار

اشارة الى كتبنا المرقمة ٩٧ ، ١١٦ ، ٩ ، والمؤرخة في ١٩٦٦/٦/٢٧ .
١٨/٧/٦٦ ، ١٩٦٧/١/٩ ، والى كتب عمادة الكلية الطبية المرقمة ٢٣٥ ،
٥١٧ ، ٥٥١ ، ١٢٠٨ . والمؤرخة في ١٩٦٧/١/١٥ ، ١٩٦٧/١/٣١ ،
١٩٦٧/٢/١ ، ١٩٦٧/٣/٢٨ .

ربما يهمكم ان تعرفوا ان الكاس الفضي الذي تبرع به الاستاذ كليفور جونس الى
الخريج الاول في فروع الجراحة والذي وافقت الجامعة على قبوله . ان هذا الكاس قد
وصل بالبريد الى بغداد قبل ثلاثة اشهر . ورغم الكتب المتباعدة بين هذه الدائرة وعمادة
الكلية الطبية وديوان الجامعة وبين دوائر الكمرک ، لم نتمكن من استخراج الكاس .
واكثر من ذلك اننا فوجئنا اخيراً بارجاع الكاس من قبل دائرة الكمرک الى مهديها في
(شيفلد) باسكوتلندا بحجة تاخرنا في دفع الرسوم الكمركية .
ان هذا الحادث غريب ومخجل ايضاً ، وربما يهمكم ان تطلعوا على تفاصيله
واسبابه . مع الاحترام .

الاستاذ كمال السامرائي
رئيس دائرة الجراحة

صورة منه الى /
عمادة الكلية الطبية

الدكتور مظفر الزهاوي يتنبا بيوم وفاته ويحدث ذلك فعلاً
١٩٦٧/١٢/١٢

هذه حكاية ليست من صنع الخيال ، وليس فيها إفتراء على الحقيقة ، ولا زيادة
في جزئياتها الغريبة ، واذا كنت انا راويها فتمة شهود حضروا وقائعها ، وهذا هو
مختصرها .

كنت قد انتهيت من تشييد بيتي في الصليخ ، وصرت علي وشك ان انتقل اليه
وكان بيني وبين نسيبي الدكتور مظفر الزهاوي ملاحاة في الدعابة والهزل ، ويلح عليّ

للاستقال الى بيتي الجديد وفي يوم الاثنين المصادف ١٩٦٧/١٢/٥ رن جرس التلفون في عيادتي بمستشفى السامرائي ، وكان النداء من الدكتور مظفر ، وهو يقول لي .
— إسممني يا كمال ، البارحة كان ملك الموت (خَطَّار) عندي في البيت وأمرني ان اطلب منك ان تنتقل الى بيتك الجديد في خلال اسبوع وإلا فإنه سيأخذ روحي .
فقلت لمظفر :

— روحك ولا روحي ، واقفلت التلفون .
وفي اليوم الثاني وبنفس الوقت تقريباً اعاد الدكتور مظفر طلبه مني واضاف :
— بلغني ان صديقك الشيخ مصطفى اسماعيل في بغداد الان ، وسيكون جميلاً لو اقمتم (مولوداً) في بيتك الجديد يقرأ فيه مصطفى اسماعيل . ولا أظن انه سيمد طلبك لو عرضت عليه ذلك . (واضاف) ولعلمك ان ملك الموت زارني خفياً في الليلة الماضية وأمرني ان اطلب منك ان تنتقل الى بيتك الجديد ، ولم يبق من انذاره الا ثلاثة ايام .
فقلت له جازعاً :

— مظفر ، عندي شغل مع المرضى ، اتركني بالله عليك .
ولم اطل الكلام معه ، واقفلت التلفون . وهكذا صار يخبرني في مساء كل يوم وفي الوقت نفسه تقريباً . وفي يوم ١٩٦٧/١٢/١١ ، قال لي تلفونياً
— تالي وياك ، اخبرني ملك الموت ليلة البارحة ان لم يبق الا يوم واحد لأخذ روحك مالم ينتقل تسيبك كمال الى البيت الجديد ، تريدني اموت ؟ مروتك !
وفي مساء يوم الثلاثاء المصادف ١٩٦٧/١٢/١٢ وهو آخر يوم من الانذار اتصل بي الدكتور علاء الخالدي .

— كمال ، تعال الى عيادة مظفر
— علاء ، هذا مظفر سوائفه ليس لها نهاية ، اتركوني بالله عليكم .
فاجابني دكتور علاء بجد :

— لاياكمال تعال ، مظفر مات قبل قليل .
— ماذا تقول !

— نعم مات ، وتعال الان .
وغادرت عيادتي في الحال الى عيادة الدكتور مظفر الواقعة فوق صيدلية (متو) بشارع الرشيد ، ومن بعيد وأنا اسوق سيارتي باتجاهها شاهدت تجمع الناس عند باب عيادة مظفر ، فهل الخبر صحيح ؟ وانحدرت من سيارتي . وصعدت السلم الضيق بين الصاعدين والنازلين عن عيادة الدكتور مظفر وعند مدخلها رأيت زوج ابنته اديب

جليمران ينتحب ووجهه الى الحائط. كما كانت على طاولة الفحص جثة المتوفي مظفر ، وقريباً منها كل من الدكتور علاء الخالدي وحسيب اوتجي ، وسالت حسيب كيف حصل ذلك فأجابني وشفتهاء ترتجفان :

— امر غريب كان يتكلم معي عن (سيارته) وفجأة قطع حديثه معي واستلقى على طاولة الفحص ، وناديته ليكمل حديثه معي فلم اسمع منه جواباً . ونقل الجثمان الى بيته في الصليخ ، واقيمت الفاتحة على روحه في بيته . وبينما كنت في مجلس الفاتحة في يومها الاول أسر في اذني سائق سيارة مظفر واسمه كريم ، قائلاً :

— عند مدخل حديقة البيت مصري يطلب مقابلتك .

وخرجت الى باب البيت ، وبين هذا البيت ومدخل الحديقة مسافة غير طويلة ، فعرفت ذلك المصري في الحال ، انه الشيخ مصطفى اسماعيل المقرئ المشهور في البلاد الاسلامية ، وهرعت اليه ، وتقابلنا بالمصافحة والقبل .

— أنا يادكتور كمال عملت تلفون على بيتك فلم اسمع رداً ، واتصلت بمستشفاك فاخبروني ان عندك عزاء ، فقلت لنفسي والله لا اسافر حتى اراك ، واقرأ في عزاءك ، وما اني امامك ، والبقاء في حياتك ، وقدت الشيخ مصطفى اسماعيل الى داخل مجلس الفاتحة ، وكان في تلك الاونة (ملا مهدي) يقرأ من القرآن الكريم بنغم (الدشت) الرخيم ، وبعد قليل اشار اليّ الشيخ مصطفى ان اقوده الى مكان قراءة القرآن في المجلس ، ودخل ذلك المكان وخلع حذاءه وتربع على مقعد وطيء فيه ، وشرع هذا (البلبل) يفرد بالاية الكريمة (كل نفس ذائقة الموت) . وكنت وأنا ساهم اطوف في بحور هذه الاية الكريمة وبين موت مظفر الذي تنبأ به مظفر نفسه ، وبين مجيء الشيخ الى بغداد ليقرا في فاتحة كما تمنى مظفر ان يقرأ في (المولود) الذي اراده ان يقام في بيته الجديد . والفرق الوحيد في كل ما حدث وما قاله لي مظفر هو ان المقرئ مصطفى اسماعيل قرأ في القرآن الكريم في بيت مظفر لا في بيته كما اراد مظفر . فما تفسر كل ذلك ؟

ان هذا الحادث غريب عظم الغرابة ، وانتشر بين اصحاب مظفر لا على لساني فقط ، بل على لسان كل من حسيب كريم وسائق سيارة مظفر اللذين كانا في عيادته يوم كان مظفر يكلمني فيها عن قرب وفاته ، وساعة لفظ انفاسه الاخيرة .

دائرة الجراحة

الرقم ١٥٥

التاريخ ١٩٦٧/١٢/٦

١٠٣٨

الى /

السيد رئيس جامعة بغداد

الموضوع /

بيان رأي حول امتحانات التخرج

اشارة الى كتابك المرقم ٤٦٩٤٨ والمؤرخ في ١٩٦٧/١١/٤ .

ان توحيد الامتحانات النهائية بين كليتي طب بغداد وطب الموصل مبدأ فيه كثير من الفوائد . وربما تتحقق اكثر فوائده اذا التفتنا الى ماياتي :-

١ - المفهوم من كتاب راسة جامعة الموصل المشار اليه ، ان الجامعة تستطلع رأينا في استمرار اجراء الامتحانات الموحدة بين الكليتين بون عرض رأينا الخاص بهذا الامر . على هذا ربما يكون من الاصلح لو يدرس هذا الموضوع في المجلس الاعلى للجامعات باعتباره موضوعاً مشتركاً بين الجامعتين يدخل في اختصاص المجلس وحده وتشريعه من قبل المجلس اضمن لتحقيق فوائده من تكرار براسته في كل عام وعلى مستويات الدوائر وحدها .

٢ - توحيد الامتحانات الشفهية والسريية بين الكليتين هو انق مقياساً لتقدير المستويات العلمية وتبادل التعارف على مفردات المواضيع التي درست في كل كلية من توحيد الامتحانات النظرية (الكتابية) . فهي اي الامتحانات السريية والشفهية تفي الى حد كبير بالغاية المطلوبة من الامتحانات الموحدة بين الجامعتين .

٣ - تطلب الدوائر او الهيئات في الجامعتين من بعضهما عدد ما يكفيها من اعضاء هيئة التدريس (بون ذكر الاسماء) لاجراء الامتحانات الشفهية والسريية . والدوائر او الهيئات المختصة هي التي ترشح من منتسبها من يشارك في الامتحانات بالكلية الاخرى .

٤ - توضع الاسئلة في الامتحانات الكتابية مناصفة بين الدوائر او الهيئات المعنية في الكليتين ، باطلاع واقرار رئيسيهما حسب تبعية الموضوع . على ان يكون العضو التدريسي الذي يضع السؤال في الامتحان هو نفسه الذي يصحح الاجابة عنه في الورقة .

٥ - تبدأ وتتم الامتحانات السريرية في وقت ويوم واحد في كل من الكليتين اما الامتحانات السريرية فلا قيد في توقيتها وتواريخها الا ان تكون بعد الانتهاء من الامتحانات الكتابية .

وتقبلوا وافر الاحترام

الاستاذ كمال السامرائي

رئيس دائرة الجراحة

صورة منه الى /

السيد عميد الكلية الطبية

رئيس دائرة الطب

رئيس دائرة العلوم الاساسية الطبية

مفكر في التلفزيون اللندني / ١٩٦٨

ما اروع التلفزيون اللندني ، فيه تسلية غير محدودة لاهل هذه الديار ولن يفدها من الناس حتى لو انهم لا يفهمون اللغة الانكليزية إلا بقدر محدود . ففيه يسمع ويرى الاحداث العلمية يوماً بيوم ، وفيه معلومات غطاها الزمن والنسيان ، وفيه تشاهد الالعاب المثيرة والممتعة ، كما تشاهد مناظرات العلماء وجدل السياسيين بكل صراحة ، وكثير من اجناس البشر وغرائب المخلوقات .

وكان من مناهج مساء يوم ١٢/٧/١٩٦٨ في القناة ٧.٢١١ مقابلة بين احد المفكرين البريطانيين واسمه (ولسون تيلر) وبين مناقش من دائرة التلفزيون . وقد بدا ولسون تيلر بعمر يتجاوز السبعين سنة ولولا لحيته الكثية لبدت غضون وجهه اكثر من هذا العمر الطويل . كان بطيء الكلام ، واطيء الجرس متعب الانفاس ، ويضع على قصبة انفه عوينات صفيرة باطار معدني دقيق ، ويرتدي قميصاً خشناً ومخططاً بلون بني فاقع ، اما لونه الغالب فرمادي غامق . ويرتدي فوق قميصه سترة داكنة لا يستبان نوعها ولا لونها ، وينسدل من ياقة قميصه رباط قريب من لون سترته . اما الشخص الذي يحاوره فكان شاباً في نصف عمر الشيخ ولسون تيلر او اقل ، منكوش الشعر ، ويرتدي قميصاً قهوزي اللون تمتد فتحتة الامامية الى ما تحت اسفل صدره ، فيظهر بين شقيه سلسلة رقيقة تتدلى من رقبته وتنتهي بقرص لم اعرف ما عليه . كان هذا الشاب صورة مناقضة لشخصية الشيخ ضيف البرنامج ويبدو ان هذا الشيخ كان يوماً ما يمتحن التعليم وان تلك الشاب الذي صار يناقشه كان احد تلامذته ، فقد بدأ التحدث الى ذلك الشيخ بقوله :

— يسرني يا استاذي ، ويدعوني الى الفخر ان اكلف بصحاورتك في هذا اللقاء ، فانا درست عليك في مطلع شبابي ، فهل لا تزال تمارس التعليم وانت بعمر متأخر ياروبرت وهذه هي لغة التخاطب التي تظهر على شاشة التلفزيون البريطاني ، فليس فيها القاب ولا تمنطق في اللهجة الكلامية بل في تحدثهم ببساطة وصراحة وصميمية .
فاجابه الشيخ .

— انا انقطع الان الى تنوين سحرتي وافكارتي في الحقول التي مارستها في تعليم الشباب ايام زمان ، وفي تلك متعة لي تخفف كثيراً من همومي واتعابي .

— هل لديك هموم يا استاذي روبرت ؟

— الذي يتجاهل همومه وهو في مثل عمري فماضي حياته هباء وبلا لون واضح .
وعاد الشاب يسأله :

— الا تتوق نفسك الى التعليم الذي كان مهنتك على مدى نصف قرن ؟

— وقفت الان على حقيقة نفسي ، فانا مستمر في التعليم بطريقتي الخاصة في

ما لو يقرأ الشباب كتبتي

— وهل انت مرتاح لما قيمته للاجيال ؟

— ليس كل الارتياح .

— اي شيء يقلق راحتك بعد ان صرت من البارزين قطرياً في ميدان الفكر ؟

— ربما انا من البارزين في المملكة المتحدة ، وقد حاولت ان اضاهي احد العلماء

الاولين نوي الاصاله في الفكر والمبادرات الرائعة ، غير اني لم انتهر الفرصة التي تاخذ

بيدي الى مثل مناصبهم العاليه ، وقد لمست باسف خسارتي في هذا الميدان في وقت

متأخر في حياتي —

— ومن هم العلماء الذي قصدتهم ؟

— افلاطون وارسطو والفزالي وابن رشد .

— الا تعتقد ان هؤلاء الذين فكرتهم شكواوي في الفكر وتطبيقاته مثلما تشكوا منه .

— في تلك احتمال كبير ، وانا اشكر اذ هديتني الى عنز يسليوني ، فلكل شكواه ،

وصاحب الفكر لا يفيد نفسه بقدر ما يفيد غيره ، ولكن ذلك ليس مصدراً لشكواواي باي

حال .

وغير الشاب خط استلته .

— ماذا تتمنى ان تكون لو انك لم تعني بالفكر ؟

فاجابه الشيخ :

- لا اريد ان اكون غير ما انا فيه الان .

وعاد الشاب يسأله :

- والخيار الثاني لتكون فيه .

- ان اكون رجل دين ، فالدين افضل الوسائل لتعديل خطي البشر واصلاح سيئاتهم ، ومع ذلك لا اراهم يستخدمون حصانتهم كما يجب وعلى سعة مداها ، ولو كانت لي مثل حصانتهم لمعلت لصالح الانسان اكثر مما يعملون .

وسأله الشاب :

- الا تفريك المهن التي تدر على صاحبها الاموال

- الى حد يصير ، واتجنب التفكير بها لاتحاشى الوقوع في حبالها .

- الا ترى في كماليات العيش ما يوفر الراحة والسعادة ؟

- الراحة قد تكون ، اما انها توفر السعادة فلا .

- هل انت سعيد بحياتك يا روبرت :

- انا لا اشكو من شيء يا صديقي ، ولكنها شكاوي عابرة لا اهتم لها كثيراً ، ومن

لا يشكو من بعض ما يجري له وحياة من يمايشهم فانه عديم الاحساس .

وتهيا الشاب المحاور ان ينهي المقابلة مع هذا الشيخ فقال له : سؤال آخر .

- عرفت انك لم تتزوج ، الم تجد من تحبك وتحبها في حياتك ، ام لذلك سبب آخر .

فاجابه الشيخ روبرت :

- الفت فتاة حتى صرت اعتقد انها رفيق ضروري لي ، واخيراً لم اعرف فيما اذا

كنت احبها ، وربما كان شعورها نحوي كان مثل ذلك ايضاً ، فلم نتزوج .

وسأله الشاب :

- اية نصيحة تسديها للشباب امثالي يا روبرت ؟

وغلبت في جوابه ضحكة مكتومة وهو يقول :

- ليس عندي لهم نصيحة بل رجاء .

- وما هو هذا الرجاء ؟

وقال وهو يخنق ابتسامة على فمه :

- ان لا يعدونني خروفاً حين يقرأون لي في الصحف وما انشره من مؤلفاتي .

لأثر الجراحة في جامعة بغداد ١٩٦٩

استحدثت الدوائر بموجب قانون جامعة بغداد ، فكان منها دائرة الطب وتشمل

أمراض العقلية والعصبية وطب الاطفال ، ودائرة الجراحة وتشمل الجراحة العامة

وجراحة العظام والمفاصل وطب الاذن والعيون والحنجرة والانف والامراض النسائية والتوليد وصدر الامر بتعييني رئيساً لهذه الدائرة الواسعة . وفي هذا الامر ما يفيد ان الدائرة تكاتب الجامعة مباشرة دون وساطة العمادة بوصف ان الدائرة تختص بالشؤون العلمية في الكلية ، وان العمادة تختص بالشؤون الادارية ، وهو تصريح غير واضح عند التطبيق وقد سبب اضطرابات في شؤون الكلية وحساسية لعميدها الدكتور داود سلمان علي ، غير ان الدكتور داود سلمان علي كان حليماً وحكيماً فسكت على خطأ هذا التنظيم وعد الوقت وما يحدث من الاضطراب في تمشية شؤون الكلية كفيل ان يحل هذه العقدة وفي يوم ١٩٦٨/١١/٢٩ صدر قانون الجامعة الجديد برقم (١٨) وفيه تجاهل تام لوجود النوائر في الجامعة ولم يصل هذا الكتاب الى دائرة الجراحة فرفضت في يوم ١٩٦٨/١٢/٢٩ الكتاب الاتي (برقم ٥٧) الى

السيد رئيس جامعة بغداد

لم تبلغ هذه الدائرة بصنور قانون الجامعة الجديد رقم ١٨١ لسنة ١٩٦٨ . ولا وصلنا امركم فيما يجب عمله بعد الغاء النوائر العلمية تنفيذاً للقانون المذكور رغم مرور ما يقارب اثنا عشر يوماً على نشره في الجريدة الرسمية ، مما جعلني اعتقد ان الغاء هذه الدائرة اصبح امراً بديهياً لا ضرورة للامر بتنفيذه . لذلك ارجو ان لا اكون متاخراً لارفع الى علمكم انني - تطبيقاً للقانون الجديد الذي اطلعت عليه اليوم صدفه - سوف اتوقف اعتباراً من هذا التاريخ عن العمل في هذه الدائرة . اعبر عن امتناني لسيادتكم وللسادة رؤساء الجامعة السابقين وعن شكري لزملائي عمداء كلية الطب واعضاء هيئة التدريس في دائرة الجراحة لما قدموه لي من مساعدات قيمة مدة قياسي بواجب رئاسة هذه الدائرة .

الدكتور كمال السامرائي

رئيس دائرة الجراحة

صورة منه الى /

عميد كلية الطب

رئيس دائرة الطب

رئيس دائرة العلوم الاساسية

اعضاء هيئة التدريس في دائرة الجراحة

ولم يصلني جواب من رئيس جامعة بغداد على استعلامي عن النوائر بكلية

الطب ، فاعتبرتها ملفية وعملت بموجب ذلك ، اي ان شعبة الامراض النسائية

والتوليد عادت تكاتب عمادة الكلية الطبية لا رئاسة جامعة بغداد .

طبيب مقيم في مستشفى السامرائي / ١٩٦٨

هذا الطبيب المقيم الجديد في مستشفى السامرائي هو من خريجي كلية طب بغداد ، واحد ثلاثة اطباء مقيمين يتناوبون العمل في هذا المستشفى غير انه لم يكن جدياً مثل زميليه ، ولا حريصاً على اداء واجباته باوقاتهما ، مما جعلني لا ارتاح اليه . ويوماً دخلت غرفة الاطفال ورأيت يدرش مع ممرضة هذه الغرفة ، بينما كان عليه واجبات اخرى في غرف المرضى لم يكن قد اكملها بعد ، بل لم يبدأ بها قط .. وتظاهرت انني لم اعبأ بخلوتهما ولكنهما بون شك قد عرفا انني لم استسغها . كان هذا الطبيب غمراً مدلاً من اهله ، وذا ثراء من اهله ، وسيارته من الصنف الغالي الثمن ولذلك لم اتوقع له مستقبلاً في الطب ، وفي نظري لن يكون طبيباً . ولانني كنت اكن لهذه الممرضة تقديراً خاصاً ، واتمنى لها نجاحاً في مهنتها وحياة سعيدة لو تزوجته ، لذلك فكرت في ان انصحها بالحنز من هذا الطبيب ، فليس فيه ما يفري من وسامة الرجال شيء ، وهو لا يعرف من الطب بقدر ما يعرف عن انواع الطيب وثياب الحرير . وهذه الممرضة على عكسه ذكية وتحب مهنتها ، هل اكلمها ؟ واذا لم تستمع الى نصيحتي ، كما يحتمل انهما قد مشيا خطوات واسمة في صداقتهما اكثر مما رأيت في غرفة الاطفال . وحدثت المفاجأة غير المتوقعة في يوم رأيتهما معاً في سيارته الفارغة ، وفي اليوم ذاته سمعت انهما اعلنا خطبتهما ، فتعین علي حينذاك ان ابارك زواجهما الوشيك ، وقد فعلت ذلك بأسف مكبوت وسافرا الى انكثرا ، وسمعت بعد ذلك انه دخل امتحان العضوية في الكلية للأمراض النسائية والتوليد فلم يفل هذه الشهادة ، وكرر محاولته ثلاث مرات بون جدوى ، واخيراً التجأ الى ممارسة التجارة مع نويه في لندن ، وهكذا لم يصبح هذا الرجل طبيباً كما توقعت .

اطول استشارة طبية / نيسان ١٩٦٨

كانت هذه المريضة تزورني بانتظام في كل شهر ، واحياناً اكثر من مرة في الشهر الواحد ، وكنت اعرف وهي كذلك تعرف انها مصابة بورم ليفي في الرحم ، وانها قد تسقط بسببه ، او لا تسقط ويستمر الحبل حتى يوم الولادة وهذا اقل الاحتمالات ، ولذلك كان يداهمها القلق لكل عارض طبي حتى لو كان لا علاقة له بالرحم والحبل ، هي حريصة اشد الحرص على الحصول على طفل من هذا الحبل ، ويزداد حرصها

وقلقها كلما تذكرت انها تخطو الى بداية العقد الرابع من عمرها ، فقد يكون هذا الحمل آخر ما يمكن ان يكون مثله في حياتها ، ويوم اتصلت بي تلفونياً واخبرتني انها في حالة نزف فلنصحتها ان تنقل الى مستشفى السامرائي لفحصها هناك ، وانتظرت حضورها ساعة واكثر ، ولم ارها في تلك اليوم بطوله ، ولا في اليوم التالي وفي اليوم الثالث اخبرني زوجها انها في مستشفى الفريوس وهو مستشفى صغير حكومي محاور لجامع الشهداء ، فقلت له هذا هو الصواب في معالجتها ففي المستشفى تحد من المراقبة والعناية الطبية مالم تجده في بيتها ، وماكنت انتهي من كلامي حتى قال لي - ولكنها لاتزال تنزف بالرغم من ان طبيبها اخرى لها عملية حرق الرحم .

- ومن هو طبيبها ؟

- هو صديقنا الدكتور (أ ف)

- هو كفوء فاعتمد عليه .

- ولكنه اقترح حضورك لتتشاورا في امرها .

وحاولت ان اتهرب من القهامي في مشكلتها ، فالمريضة لم تعد مريضتي بعد ان دخلت المستشفى ، فقلت له ان التقليد الطبي ان يطلبني طبيبها المعالج بنفسه فمع انه سبقني وقال :

- ها هو الدكتور (أ ب) يكلمك ..

واستجابة لطلبه قصدت مستشفى الفريوس حالاً ، ودخلت غرفة المريضة انتظر طبيبها الدكتور (أ) ، وفي اثناء ذلك لاحظت على طاولة المريضة عدداً من قناني الانوية ، ودخل الغرفة الدكتور (أ) وهو يعتذر عن تاخره ، ثم فاجاني يقول وهو يشم بيده الى الانوية .

- انا لم اصف هذه الانوية للمريضة .

- من الذي وصفها انن ؟

- الدكتورة ...

- كنت اعتقد انك طبيبها .

- وانا كنت اعتقد ذلك ايضاً واكتشفت اليوم صباحاً ان الدكتورة . (ل) تحضر في كل مساء لفحصها وتزويدها بتوصياتها ، فاعذرني اذا انسحبت من مسؤولية علاجها وقد جلست الان كمدير للمستشفى لا كطبيب معالج .

وبعد يومين اتصل بي زوج المريضة واباني ان زوجته قد غابت المستشفى وهي الان في البيت ، غير انها تشكو من الحمى ، ولان بيني وبينهما علاقة حميمة قديماً فلم استطع عدم الذهاب اليها وفحصها . فوجدت الرحم حنّاس بالتمس . واستمرت

الحمى بالارتفاع وفي اليوم الثاني اقترحت ادخالها مستشفى السامرائي . وعرفت في اليوم الثاني ان الدكتور (ل) إستمرت تزورها في هذا المستشفى ، ورأيت احتمال ان يحدث تضارب وتضاد في علاجاتنا لهذه المريضة فاقترحت على الزوج ان يطلب من الدكتور (ل) ان تحضر للمداولة في امر زوجته ، وللغربة فقد بدا على الدكتور استغراب من ان اكون طبيب هذه المريضة دون علم منها ، ودخل الزوج فيما بيننا واقترح استدعاء الاستاذ هريكرافز للمشاركة في هذا اللقاء ، وحين حضر هريكرافز ذكر الزوج ان الدكتور سالم الدمولوجي هو طبيب العائلة ، فاقترح هريكرافز حضوره . واستعرضت حالة المريضة امام هذا الحشد من الاطباء وزاد الدمولوجي على ما ذكرته . مما كان يعرفه عن المريضة وتطور علائم واعراض مرضها ، فاذا هو طبيب آخر كان يعالج هذه المريضة . واهم ما عرضه :

- (١) عمرها في الاربعين .
 - (٢) اسقاط ذاتي في الاسبوع العاشر ، اكمل بعملية الكحت قبل اسبوع .
 - (٣) ورم ليفي رحمي لم يكتشف إلا اثناء عملية الكحت
 - (٤) حمى في اليوم الرابع بعد هذه العملية .
 - (٥) الحمى في ارتفاع ونبض المريضة جاوز ١٥٠ في الدقيقة .
 - (٦) المريضة تعالج بمضادات الحياة بجرعات كبيرة .
- واهم ما تناولته هذه الاستشارة الطبية
- (١) الاستمرار على استعمال المضادات .
 - (٢) العلاج الجراحي برفع الورم .
 - (٣) الحمى بسبب تحولات حمراء في الورم ولا بد من رفع الرحم .
 - (٤) رفع الورم والرحم معاً .
 - (٥) نحافظ على إبقاء الرحم لان المريضة تتامل حبلاً ثانياً .
- وطال الجدل على هذه النقطة ، وطلبت تسجيل مقرراتنا فاتفق معي هاريكرافز على العلاج الجراحي واحتمال رفع الرحم وإختلف كل من الدكتور والدمولوجي ، وعرضنا الرأيين على الزوج وسألني ، وانت ماذا تقول : فقلت :

العلاج الجراحي .

وسأل الدكتور ... فقالت :

— الاستمرار على العلاج الطبي .

فاضطرت ان اقول لهم ان من يدافع على العلاج الطبي هو الذي يتحمل

المسؤولية فيكون بذلك من يرى العلاج الجراحي في حل من المسؤولية

فكالت الطببية :

— ان المريضة من اعز صديقاتي ، والان انسحب وليس لي رأي في علاجها .
وبهشنا لهذا القرار المفاجيء ، وحلاً لعقدة هذا الموقف اقترح الزوج استدعاء
الكتور (سلمان فائق) وهو اشهر جراحي بغداد ، وصار علينا ان نبدأ قصة هذه
المريضة من جديد ، فقال الدكتور سلمان ارى ان نتخلص من الورم وقد نضطر بعد
مشاهدة الرحم ان نتخلص من هذا العضو ايضاً .

وقد وجدنا الرحم والورم اللبني قطعة حمراء متماسكة واحدة . وكذلك الرباطان
العريضان . كما كانت ثمة خثر دموية تملأ كثير من الاوعية الدموية . فقلعنا اعضاء
الحوض جميعها ومنها احد المبيضين الذي وصله التحريب عن طريق الرباط
المريض .

وفي اليوم الثاني انخفضت حرارة المريضة . وعابرت المستشفى في اليوم
الخامس وعلى وجهها الشاحب الشكر لله على سلامتها من الموت . اما ما ي داخلها فلا
يعلمه إلا علام الغيوب .

حلم ام حقيقة

عدت الى بيتي بعد منتصف ليلة ١٢/٤/١٩٦٩ ، وحين ترجلت من سيارتي
كان الدار يلغه الظلام ، إلا نور وصلني خافتاً من مصباح (هوله) ، ومجأة تنبهت لي
كلبتي الزكية (بومبي) وهي تدفع رأسها من بين بالقون مدخل البيت ، وهممت
تريد ان تنبح ، فقلت لها بصوت خافت :

— أنا يا بومبي ، فلا توقظي النائمين في البيت يا عزيزتي ، اريدهم ييقون نائمين .
وهذأت بومبي الزكية ، ثم سحبت رأسها من بين قضبان سياج البالكون وهولت
مسرعة الى داخل البيت لتستقبلني عند بابي وهي جنلة كما تفعل دائماً عند عودتي
الى البيت . ودخلت غرفة نومي وخلعت ملابس يهوء وبسست نفسي تحت اغطية
سريري ، ولا ادرى متى غفوت فقد كنت متعباً وقلقاً على مريضة كنت قد احريت لها
عملية لم تكن سهلة . واستيقظت مبكراً كمادتي ، وباركتني زوجتي هذا الصباح
بنعومة ذات معنى .

— كمال ماذا كان عندك ليلة البارحة ؟

واردت ان اقول لها : ليلة حمراء بدأتها ، ملهى العاراسي وانهيتها بليالي
الصبا ، ولكنني لم اقل لها ذلك ، بل كتمت غيظي . مسؤالها خالد لاتنسى ان تكرره في
مثل تلك الليلة ، فاي شيء ييقيني خارج بيتي الى ما بعد منتصف الليل غير العمل في

المستشفى ، ولما لم اجبها على سؤالها ابركت على مابدا لي سماجة سؤالها ، فارادت ان تصحح ظنوني به فانحرفت الى اسوأ منه ، إذ قالت :

— كنت تتكلم وانت نائم ، هذا كل ما أقصده .

فقلت لها هازناً :

— انا اعرف انك لم تقصدي غير ذلك ، ولكني ماذا قلت في نومي ؟

— قلت اشياء كثيرة .

— مثلاً ؟

ان بعض الاحلام كثيراً ما تتواصل مع الحقائق ، فيظهر بعضها قبيل اليقظة وكأنه جزء منها تماماً كما تطفو بعض اجزاء الفريق على سطح الماء ، ولكنها اجزاء منه لا كل اجزائه ، وقد تكون هذه الاجزاء جوهره الصالح ، فعدت اسأل زوجتي .

— ماذا قلت ، مثلاً :

— كنت تكلم شخصاً :

— قلت لها ماذا قلت ؟

— قلت اتصلي بي .

— هذا حلم ، وانا لا اضبط تفاصيل احلامي ، الذي اذكره منها هو القسم المخيف او المفزع جداً ، اما غير ذلك فمن نسيج الخيال لا يبقى منه في ذاكرتي شي . وعادت تسألني :

— هل كان بينكما وعداً لتتصل بك .

ولما رأيتهما جادة في اسئلتها ، رأيت من الحكمة ان لا اجيبها ولا انصت لها . ونهضت من فراشي لاهيء نفسي للذهاب الى المستشفى ورؤية مريضتي التي تركتها وانا قلق عليها . واتجهت نحو كراج سيارتي لاستقلها . حين ذاك سمعتها تقول مستعجلة .

— الا تريد ان تتناول فطورك قبل ان تذهب الى المستشفى ؟

ولم اجبها وسقت سيارتي خارجاً من البيت .

ضروب من التشوهات الخلقية في الاعضاء الانثوية / ١٩٦٩

في اسبوع واحد من هذا الشهر (تشرين الاول ١٩٦٩) شاهدت مريضتين بشكوى تشوه في الاعضاء الانثوية الخارجية بحيث لاتصلح اي منهما ان تكون زوجة لرجل من وجهة العلاقة الجنسية . وقد هجرتا بعد ايام قليلة من ليلة الزفاف للسبب المذكور ، وقد شاهدت قبل ذلك ثلاث حالات مماثلة كانت احداها طبية تخرجت

حديثاً في كلية طب بغداد ، وقد دخلت عيادتي والدمعة في عينيها خجلاً ، مما ستمرضه علي ، ولها الحق إذ هي انثى من كل الوجوه ، جسماً ومحيا وأبياً وعلماً إلا في البق ما يمكن أن يجعلها مثالية لزوج سعيد . كما استشارتني مريضة فلاحية الهيئة بشكوى سلس البول ، فتبين لي بعد الفحص أن هذه المريضة التعيسة مصابة بتشويه خلقي في أعضائها الانثوية الخارجية ومن بينها عدم وجود المهبل ، غير أن زوجها الجاهل استمر يحاول إيلاج عضوه في مكان مرجها فحصل من تكرار هذه المحاولة توسع في فوهة الحليل مثانتها وصار هذا العضو والمثانة بمقام الفرج في علاقته بزوجته وهكذا فقد الاحليل القدرة على مسك البول ، والزوج لم يدرك أية نتيجة حامت من علاقته غير الطبيعية بزوجته . وقد حاول استاذي كندي مرة أو مرتين أن يعالج تشوهات المهبل على طريقة (ماكنندو) غير أن النتيجة لم تات مرضية له ولا لروح المريضة ، وشغلت بالي منذ تلك الايام هذه الحالات ، وتكرار مشاهدتها من حين وحين لم تدعني اتوقف عن التفكير في إيجاد طريقة لملاحها مع علمي أن هذه التشوهات ما هي إلا وجه من وجوه التشوهات الحلقية الأخرى التي تصيب الاعضاء الانثوية الداخلية مع احتمال عدم وجود الرحم . أي أن أية عملية لتصحيح المهبل لا تحقق الانجاب وكل ما تأتي به هذه العملية هو جعل المريضة صالحة للمعاشرة الزوجية ، وشرعت أقرأ في الكتب والنوريات حتى عثرت ذات يوم في (كتاب الجراحة النسوية) لطبيب امريكي اسمه (كامرون) طريقة ابتكرها جراح امريكي اسمه (بولتون) ، فقرأت خطوات هذه العملية بامعان ودقة ، مبداً لي كانها ليست صعبة جداً . ففاتحت الاستاذ (عزت القيسي) مدير معهد الطب العدلي في تحريرة هذه العملية على النساء الاموات اللاتي تحال اجسامهن من النواتر المختصة الى دائرته ، وكان تجاوب الاستاذ القيسي سريعاً ، فامر مضمداً المعهد (عبد) أن يخبرني حالاً بوصول مثل هذه الحالات ، وقد اعطتني اول تحريرة عملتها في معهد الطب العدلي فكرة ان العملية اسهل مما كنت اتوقع ، وهذا ما شجعني أن اطبقها على مريضة تشكو من هذا التشوه ، فمارستها على عشرين عملية من هذا النوع في مابين سنة ١٩٥٤ — ١٩٧٥ ، وكانت جميع هذه المريضات من الطبقة الفقيرة او المتوسطة الحال ، باستثناء واحدة كانت تمتحن التعليم في مدرسة ، وقد انخرزت هذه العملية في (مستشفى السامرائي) ، اما غيرها من مثل هذه العملية فقد انجزتها في المستشفى الجمهوري او في مستشفى مدينة الطب . وإذا ان لمثل هذه العملية لا بد من جراح معاون ، فقد ساعدتني كل عضوة في شعبة النسائيات مرة أو مرتين في هذه العملية ، ومع ذلك لم استطع ان اثير في أي منهن رغبة حقيقية في اجرائها بانفسهن ، وقد يكون ذلك بسبب الوقت الذي يستغرقه

اجرائها .

قانون التدرج الطبي والتعديلات المقترحة / ١٩٦٩

من فضائل الاستاذ صائب شوكت استحداثه لمشروع التدرج الطبي سنة ١٩٥٧ الذي صدر بصيغة قانون . وكان على المتخرج في كلية الطب بحسب هذا القانون ان (يقيم) ثلاثة اشهر في كل من العلوم السريرية (الباطنية والجراحية والنسائية) ليتدرب على استقبال المرضى الى الردهة ودراسة الحالة المرضية وعلاج بعض الحالات المرضية . كما كان عليه ان يقيم شهراً في كل من فروع الطب السريري (امراض العين والانف والحنجرة وامراض الاطفال) ثم يعين في احدى قرى القطر او اريافه مدة سنة بعدها يعود مقيماً اقدم في المستشفى الجمهوري واخيراً يلحق بالخدمة العسكرية مدة سنة او سنتين .

وفي يوم ١٦/١٢/١٩٦٩ وصلني من عمادة الكلية الطبية كتاب لابداء رأي في تسلسل فقرات قانون التدرج الطبي فاجبت العمادة بالكتاب الاتي :

قسم الامراض النسائية والتوليد

الرقم ٥

التاريخ ١٨/١٢/١٩٦٩

الى /

عمادة الكلية الطبية

الموضوع /

ابداء رأي في قانون التدرج

تعذر علي جمع القسم في هذه الفترة ، وفيما يلي رأيي الخاص بقانون التدرج الطبي رقم (١٥٩) لسنة ١٩٦٢ . ولا مانع عندي اذا اهمل هذا الرأي لكونه لا يمثل عموم اعضاء القسم .

١ - يضاف الى اللجنة الاستشارية عضو من كل من الاقسام السريرية في كلية طب بغداد اذا تعذر اضافة كل كليات الطب العراقية .

٢ - تؤجل الخدمة العسكرية الى ما بعد انتهاء الإقامة الدورية .

٣ - اذا اعفي المتدرج من الخدمة في المحلات النائية بسبب التحاقه باقسام العلوم الاساسية في احدى كليات الطب فلا يحق له الانتقال الى مركز آخر خارج الكلية الا بعد ان يختم في المكانات النائية .

٤ - عند تعيين من اكمل التخرج في الاقسام السريرية ان يؤخذ رأي القسم الذي يعين فيه .
مع التقرير .

الاستاذ كمال السامرائي

رئيس قسم الامراض النسائية والتوليد

قسم الامراض النسائية والتوليد

التاريخ ١٩٦٩/١٢/٦

١٠٥٢

الى /

السيد عميد الكلية الطبية

اشارة الى كتابكم المرقم ٥٢٤٤ والمؤرخ في ١٩٦٩/١٠/٢٩ .

اعرض تقديري على اهتمامكم بموضوع مناهج التدريس في كلية الطب وعلى جهود اللجنة التي اختصت بدراسة هذا الموضوع المهم . والحقيقة ان اللجنة وفقت الى حد بعيد في وضع تقريرها من الوجهتين الشكلية والموضوعية وفي ما يلي ملاحظاتي التي طلبتموها مني عن بعض ما ورد في التقرير :

(١) يفضل لو توضع مناهج التدريس استناداً الى معلومات احصائية في التكوينات الصحية والاجتماعية والصناعية التي يعمل بها البلد .

(٢) الاقلال من المحاضرات والاكتثار من الدروس التطبيقية مبدأ سليم في التعليم الجامعي على شرط ان يتوفر العدد الكافي من الاساتذة او ان يكون عدد الطلاب ما يناسب عدد الاساتذة الموجودين . وبخلاف ذلك فلا حيلة على مشكلة التعليم عندنا الا بالدروس النظرية ، وكثير من الجامعات ومنها جامعة لندن لا تزال الدروس النظرية فيها اكثر عدداً من الدروس التطبيقية . وقد ذكرت كل ذلك امام اللجنة حين استدعيتني عند عرض موضوع النسائيات ، وايدت تقليص عدد الساعات النسائية النظرية بالشرط المذكور . الا ان اللجنة اثبتت في تقريرها تقليل الساعات دون الاشارة الى تقويم التعليم السريري كشرط اساسي للتقليل المقترح .

(٣) رغم ان هدف اللجنة كان لتقليص عدد الساعات النظرية في عموم المواضيع الا انني لاحظت من الجداول المرفقة ان التقليص لم يكن بارزاً . وفي بعض المواضيع وقع العكس .

(٤) الحلقات الدراسية طريقة تعليمية لها فوائد كثيرة وهي تعويض او تقوية للدروس السريرية . وهذا لو تعمم هذه الطريقة في كليتنا لانها قريبة جداً من اسلوب

التعليم الاسلامي والعربي القديم . واحياء هذه الطريقة بشكل من الاشكال يجعل من التعليم عندنا امتداداً لتقاليدنا العربية القديمة .

(٥) (التساوq) في التدريس مصطلح اوربته اللجنة كترجمة للمصطلح الانكليزي gmtghatnin الا ان (التساوq) في اللغة يعني التابع او التسلسل في السير . ويطلق في الاصل على الماشية فقط وله معاني اخرى كثيرة لا يتقارب احدهما من المعنى الذي نريده من المصطلح الانكليزي . وربما يكون التعليم (المترابط) اقرب الالفاظ العربية الى معنى المصطلح الطبي المذكور .

(٦) أؤيد ان وضع موضوع التشريح في السنة الثانية من سني الدراسة افضل من وضعه في السنة الاولى . كما اعتقد بامكانية اتمام تعليم الموضوع في سنة واحدة شرط ان يتوفق الاساتذة الى حذف المعلومات التفصيلية والابقاء على المعلومات التطبيقية والمهمة في هذا الموضوع . الا انني اعتقد ايضا ان معرفة المهم والتطبيقي ليس اسهل من عملية اختصار المادة العلمية الى القدر الذي يستطيع ان يستوعبه الطالب في سنة واحدة ، كما لا تتوفر عندنا اليوم قدرات على وضع كتب او كراسات لهذه الغاية . اما مبدأ ان المحاضر يوجز في محاضراته ولكن المطلوب من الطالب هو معرفة كل ما في الكتاب المقرر (كما سمعته في اجتماع اللجنة فمبدأ خطر ارجو ان نبتمدعن تطبيقه . ان طلاب الصف الثاني يربون الضياع الذين هم فيه بموضوع التشريح مما يبرر دراسة شكاوهم للتوصل الى تسهيل تطبيق المنهاج او تعديله ان اقتضى الامر .

(٧) درس الاحصاء والمجتمع العربي وعلم النفس .

حضرت هذه الدروس واستمعت الى المحاضرين والى اسئلة الطلاب واستطيع ان اقول ان الوضع الصفي لم يعكس تفهم الطلاب لهذه المواد ، واعتقد ان اعادة النظر في توضيح هذه الدروس على سني الدراسة له ما يبرره .

الاستاذ كمال السامرائي

رئيس قسم النسائية والتوليد

التطريح الشفائي والتطريح الجنائي / ١٩٦٩

وصلني يوم ١٩٦٩/٦/١ كتاب من مدير الصحة الدولية الدكتور فولر بفراون

(بازل) بسويسرا وفيما يلي نصوص الاسئلة التي وردت فيه :

(١) ماهي الطرق الجراحية المتبعة للاسقاط الشفائي EVTIC CUTIC في العراق .

(٢) ماذا يجب على الحامل عرضه للطبيب لاجراء عملية التسقيط الشفائي .

- (٣) وماذا اذا طلبت المرأة عقد انبويي الرحم لمنع الحمل ؟
- (٤) هل في العراق تشريع لعملية الإسقاط الشفائي ؟
- (٥) هي يخبر مدير المستشفى عن العملية المذكورة قبل اجرائها ؟
- (٦) هل ان إسقاط الحمل المتعمد يعد جريمة في العراق ويعاقب عليها القانون ؟
- وفي يوم ١٩٦٥/٦/٤ اجبت على الاسئلة اعلاه بالكتاب الآتي :
- سيادة مدير الصحة الدولية - وزارة الصحة .
- اشارة الى كتابكم المتعلق بطلب الدكتور (مولر) من مستشفى مراون سابستيان / بازل .
- (١) ان الخطوات الفنية في جراحة انهاء الحمل الشفائي THERAPEUTIC ABORSION ، وعقد الانبويين التي نمارسها في العراق هي نفسها التي تمارس في اكثر بلاد العالم .
- (٢) يستلزم لاجراء عملية الاسقاط الشفائي لكي تكتسب صفتها الشرعية تقديم تقريرين من طبيين يؤكدان فيهما ضرورة انهاء الحمل لوجود مرض عضوي او عقلي مما يؤثر اذا استمر الحمل على سلامة الام او على سلامة الجنين .
- (٣) في حالة عقد الانبويين يجب موافقة الزوج خطياً فضلاً عن طلب زوجته الخطي لاجراء العملية .
- (٤) المائتان الاخيمتان ليستا قانونيتين اي ليس لهما قانون يلزم اتباعهما في عملية التسقيط الشفائي ، الا انهما صارتا عرفاً تقليدياً لضمان الاستطباب الملزم لاجراء هذه العملية .
- (٥) في المستشفى الجمهوري تكتب رئاسة شعبة التوليد والامراض النسائية الى مديرية المستشفى لاطلاعها على اجراء هذه العملية ، اما في حالة عقد الانبويين لمنع الحمل فلا يرفع موضوعها الى ادارة المستشفى .
- (٦) اسقاط الحمل دون استطباب جريمة يعاقب عليها القانون في العراق ، وليس الامر كذلك في عقد الانبويين .

الدكتور كمال الصامرائي
رئيس شعبة الامراض النسائية

وفي يوم ١٩٦٥/٦/٧

اتصل بي تلفونياً ، مدير المعهد العدلي الدكتور وصفي محمد علي واخبرني ان وزارة الصحة طلبت منه وضع مسودة تشريع للاسقاط الشفائي ، (و اضاف) انه يحبذ لو

اشاركة في وضع صيغة التشريع ، وبالرغم من اني ابدت له استغرابي من عدم إحالة هذا الموضوع الى شعبة النسابات التي هي صاحبة الشأن والرأي والمعلومات حول هذا الموضوع ، فقد حددت له موعداً لوضع صيغة التشريع المطلوب ، فكان مضمونه ليس اكثر مما كتبته للدكتور مولر إلا في بعض التفصيلات الجزئية .

ورأيت من باب الالاب المهني ان اعرض ما وضعناه على مجلس رئاسة الشعبة لاطلاع الاعضاء عليه ، وفوجئت بمعارضات ضد فكرة التشريع المذكور من بين الاعضاء اقل ما اقول عنها انها شكلية ولا تضمنها القواعد العلمية ، ولما رأيت موقف الاعضاء غير المستقر على رأي قلت لهم حينذاك اني كلت بمشاركة دائرة الطب العدلي في وضع بنود التشريع بطلب منها وجه الي شخصياً لا الى اعضاء هذه الشعبة وعلى ذلك فلن استمر في المناقشة غير المجدية وسارفع تقريري الخاص الى دائرة الطب العدلي . وهذا ما فعلته .

وانتظرت صدور التشريع موقماً من السيد وزير الصحة اسبوعاً واسبوعين وثلاثة ، فعرفت انه حفظ في الملفات المهمة ، وقد يكون لم يقرأ ابداً . وبقي موضوع الاسقاط الشفائي عرفاً ارتجالياً لا يخضع لتعليمات او الى قانون الى هذا اليوم (مايس ١٩٦٩)

على اني اثرت هذا الموضوع بعد ثلاث سنوات كما سيجي نكر ذلك في حوادث سنة ١٩٧٠ .

داري الجديدة في الشماسية / ١٩٦٩

انتقلت في يوم ١٠/١١/١٩٦٩ الى داري الجديدة التي شيدتها في الشماسية (الصليخ القديم) وقد اتتته بما يريحني ويلائم نوقي ، ولم احش فيه كثيراً من الاثاث ولا كثيراً من الالوان . وملأت الغرفة التي جعلتها مكتباً لي بما عندي من الكتب وهي كثيرة حتى وصل ارتفاعها الى سقف هذه المكتبة من جوانبها الثلاثة . أما الجانب الرابع فقد علقت على جداره خارطة الابريسي ، وجعلت منضتي امام هذه الخارطة والخرائط والاطالس توحني لي حين انقل نظري الى صفحاتها كانني اطوف العالم كله بلحظات ، وبخاصة الاطالس التي تعرض فيها مواقع المدن والجبال والانهار والبحار ومسارات الرياح . ويدافع هذا الحس صرت اقتني عدداً وانواعاً من الاطالس ، العربية والاجنبية .

وكانت غرفة مكتبتي تشرف من جانبها الاليسر على حديقة بيتي وغرف الخدم الملصقة بكراج سيارتي ، وتشرف من جانبها الغربي على نهر دجلة والاشجار الكثيفة

التي تنمو على بعض شاطئه ، ومنظر الشمس وهي تنحدر للغروب وراء هذا الجانب من النهر خلاب يثير الشجن . والنهر بحد ذاته وما يطفو على سطحه من طير او قارب كأنه حديقة متحركة .. ولم يكن يومئذ قد نما من النبت والشجر في حديقتي سوى نصح (نخلات) معمرات . وقد استحوذت هذه على تفكيري ذات صباح في شكلها وطول ساقها الذي ينتهي بأعواد سعفها الذي ينتشر بانتظام كما تنتشر أعواد المظلة فان هي الى جانب النهر المبسط تكون جمالاً مثيراً ، وصرت فحاة افكر في السامق الذي جذعها السامق الخشبي وبين اوراق سعفها العني بالحصره ، وبساعت مع نفسي كيف يصل من خلال هذا الجذع الماء والعذاء ليصمت الحياة في سعفها .. هروفي نمرود اللذيذ الكثير الفوائد ، فهل يصل الماء اليها من خلال جذعها بالاصص .. نعم اندفاع السوائل بحسب طبيعتها الفيزيائية ؟ وتوقف عند هذا احد من سفيري في حياة هذه الشجرة المباركة ، واكتفيت بما استمع في شكلها وبتكاد هوائه .. ثمرة وكان جاري على يمين داري هو احد شيوخ الحي واسمه بلاسم .. وكنيت اسمع عنه إلا اني لم اراه قبلاً .

وفي يوم كنت ارام في عمى اللمسبات الاحمر من شجيرة .. رى رجل من هم الشيخ وانا اتحدث الى بعض من يعمل في تركيب ابواب البيت ، وشرسي .. الشيخ يقول :

— انا بلاسم الياسين ، جارك .

فاجبته باحترام وانا انظر الى قياضته اللائقة

— اهلا ومرحباً بالشيخ بلاسم .

فاذا هو بطول معبد العامة ، وعلى رأسه الشماغ والعمال وهو ذو ملامح ونظرات هائلة مسالة ، وتحدثنا ونحن واقفان في مواضع مختلفة حتى وصلت الى موضوع داره وداري المتجاورين ، فقال لي :

— حين فكرت ان اشري ارض داري الملاصقة لارض داركم ، سألت عمى .. يكون جاري من الجانبين ، فعلمت انه منير عباس على يمين ارضي وانديكو .. نعم .. ثم رشي على يسارها ، فارتحت الى هذه الحيرة ، وقررت حالاً شراء تلك الارض ودفعتم ثمنها لصاحبها (متي الحرراوي) ونون مساومة . وكان المبلغ رهيداً حد .. باسمه لثمنها مجاورة لكما .

فقلت له :

— يشرسي ياشيخ بلاسم ان اكون حاركم ، ويوسفسي ان لا يكون في وسعي الا ان

تقدم شيء ما بمستوى زيارتكم الكريمة .

فقال لي بوقار :

— تكفي هذه المقابلة اللطيفة ، والضيافات للمستقبل بائن الله .

وسكت برهة ثم قال :

— بقي شيء واحد يجب ان اطلعك عليه ياكتور .

فقلت له :

— تفضلوا

فقال لي :

— ان منفذ خريطة بيتي قد تجاوز على ارض بيتك ببضعة امتار مساحة واني لم اطلع على هذا التجاوز إلا بعد ان هرب المهندس المنفذ الى ايران . وفي ثمته مبلغ غير قليل (واستطرد الشيخ بلاسم يقول) ، انا حاضرا لاية تسوية ترضيكم : اهدم ركيزة التجاوز ، او اعوض التجاوز باي مبلغ تطلبه .

فاجاني الشيخ بلاسم بـ : دومة ، فلم اكن اعرفها قبلاً .

فسالته .

— هل يفيدني ذلك التجاوز .

فاجابني :

— لا يفيدك ، لانها (يد كونية) .

فقلت له :

— الحار اثن من الدار ، وستكون انت جاري مدى العمر ، فلا اريد عوضاً عنها .

ولما انتهى بناء بيتي جاءني رجالاً بهيئة الفلاحين .

وهم يسجلون خلمهم اربعة (خرفان) ، وقال لي احدهما :

— هذه الخراف من الشيخ بلاسم ، كما امرنا ان ننظف بيتكم من مخلفات البناء .

ولم تطل صداقتي مع الشيخ بلاسم مع الاسف فقد توفاه الله بعد بضع سنين ،

كما تولي من بعده ابنه مهدي ، ثم آل البيت بعد ذلك الى الدولة ليكون دار ضيافة لمن

يزور العراق من الوجهاء والامراء والملوك . واحيراً باعته الدولة بالمزاد العلني فاشتراه

التاجر محمد عوبة الكبيسي .

مكتبتي الخاصة في داري بالشماسية

يوماً بعد يوم صرت اضم كتاباً على كتاب في احد حجرات بيتي حتى صار لي منها

زهاء اربعة آلاف كتاب في مختلف ضروب المعرفة وبخاصة ماله علاقة بالعلوم الطبية

القديمة والمصرية . كما كنت اقتني ومنذ وقت مبكر ما كتب في التراث الطبي العربي وغير العربي . ثم امتدت رغبتي الى اقتناء المؤلفات في التاريخ والبلديات والرحلات والتراجم والمعاجم وغير ذلك حتى ضاقت بها مكتبتي فعزلت الكتب الانكليزية في غرفة اخرى في بيتي ، وهكذا صارت لي مكتبتان واحدة في الكتب العربية وهي الاكبر واخرى للكتب الانكليزية . كما صار لي عدد من (صور) الكتب القديمة او الحديثة النادرة انقلها عن مكروفلم احصل عليها من مكتبات العالم التي تهتم بالتراث الانساني .

وكننت اطبع هذه الافلام في دائرة المجمع العلمي لقاء نسخة منها الى مكتبة المجمع . وكنت في مرحلة اقتناء الكتب الدفع الى شرائها حباً باقتنائها ثم ما لبثت حتى صرت احصل عليها باي ثمن لتكون لي مرجعاً في ما اكتبه في التراث الطبي ، وكان اصديقي حين يدخلون مكتبتي ويشاهدون كثرتها التي تصل رفوفها الى سقف المكتبة ، وما هو مكس منها على ارضها في انتظار رفعها الى الرفوف او الى الخزانات فيسألني بعض هؤلاء الاصدقاء ان كنت قد قرأت جميع هذه الكتب ، فيكون جوابي دائماً بالنفي واضيف انني اقتني هذه الكتب للرجوع اليها اذا احتجت الى معلومات في مادة علمية ليس لي علم كاف بها او لتثبيت فكرة علمية تطوف في خاطري . واقول ايضاً ، انني اتمنى لو كنت اقدر على قراءتها جميعاً ، ففي اي كتاب منها مادة علمية قد لا اجدها في كتاب آخر ، فالمكتبة لا لقراءة جميع ما فيها من الكتب بل هي للرجوع الى بعض كتبها . كما ليس في مكتبتي كتاب لم اتصفحه او لم اقرأ قائمة مضامينه او بعض فصوله ، ويسألني آخرون ممن يدخل مكتبتي عما يكلف شراء هذه الكتب ، واكتفي بقولي له : ان الكتاب الذي اشتريه ياتيني بمربوه لحظة ابدأ اتصفحه امام بائمه او على الاقل حين اقرأ محتوياته قبل ان ارفعه الى مكانه في رفوف هذه المكتبة ، ولهذا فانا اعرف اختصاص ومضامين اي كتاب في مكتبتي .

وقال لي صديق حين دخل مكتبتي (الا يكفي ان تكون مكتبتك في اختصاصك الطبي ؟ فاجبته : (ولكن مضامين كثير من هذه الكتب لا تباعد كثيراً عما اريد تحقيقه في تاريخ العلوم ، وتاريخ الطب بشكل خاص ، واني ارى ان كتابة اي بحث علمي لا ياتي متكامل ما لم يمهد له بمقدمة تاريخية في منشأ ومسيرة عبر الزمن ، فانا احتاج الى هذه الكتب ، وابقى احتاج الى مزيد منها ، فقد اجد في كتاب ما لا اجده في كتاب آخر ، ان لم يكن ذلك في مادته العلمية ففي منهجه او في صياغة متونه وتنوع مصابره .

واشار كثير من ضيوئي باستفراغ وانتقاد الى تراكم الكتب على منضدتي ، وهو امر

بالنسبة لي لا مفر منه ، فحين اشرع في كتابة بحث احتاج الى مراجع من كل صنف في العلوم ، فالتقط كتاباً من خزانة الكتب التاريخية ، وكتاباً من خزانة الكتب البلدانية ، وآخر من خزانة الكتب المعجمية وهكذا لاقرأ بعض فصولها لعلي اجد ضالتي فيها مما يفيدني في كتابة بحثي ، ولهذا تتكدس الكتب على منضدتي في انتظار ارجاعها الى مكاناتها ، وقد لا ارجعها إلا بعد ايام ، لاستمرار حاجتي اليها في اتمام بحثي . وعرف بعض اصدقائي ضخامة مكتبتي فصاروا يستمعون بعضها مني ، او يطلبون مني ان اجد لهم مصادر في مكتبتي في موضوع يريدون الكتابة فيه ، وقد لا يعاد الكتاب اليّ ، وانسى انا الصديق الذي استعاره مني ، وقد تكرّر ذلك اكثر من مرة واني لا تألم حين اذكر الآن ان زميلاً استعار مني كتاباً باللغة الانكليزية (في تاريخ الامراض النسائية والتوليد) لمؤلف امريكي اسمه (جيمسون) ولم افترقه إلا بعد ان احتجت الى مراجعة بعض فصوله ، فحزنت بالأم على ضياعه ، واعتزمت يوماً ان اعلن في الصحف المحلية رسالة اخاطب بها هذا الصديق الذي نسي او تناسى ان يعيد الكتاب اليّ غير انني عدلت عن تنفيذ هذه الفكرة لا لعدم جدواها فقط بل حذراً من ان تعد هذه الطريقة ادعاءً مني باهتمامي بالكتب ، او على ضخامة مكتبتي ، وراسلت مكتبة (هيوسوفيل) العالمية التي تعنى بمثل هذا الكتاب القيم والكتب التراثية ، لتجد لي نسخة من الكتاب الذي فقدته ، فاذا في جوابها انه من الكتب غير التجارية في الوقت الراهن بل يوجد في المكتبات الخصوصية فقط ، او في تركات المتوفين حين تباع في المزاد العلني .

ويوماً دخلت مكتبتي سيدة انكليزية ، زوجة استاذ كبير في جامعة نوتنكهام بانكلترا ، فالتفت على اهتمامي بالكتب والمحافظة عليها . واعرف ان لزوجها الاستاذ (لويس) مكتبة ضخمة تعنى هي بالاهتمام بها وازالة الغبار (على قلته) عنها . وقالت لي فيما قالت وانا وهي واقفين في وسط مكتبتي .

— ان زخرفة كموب الكتب تجعل المكتبة كالحديقة الجميلة بالوان واشكال ازهارها الزاهية .

وكانت ملكيتي قريبة مما وصفت به مكتبة زوجها ، فعددت ذلك مديحاً لي ولنوقي ، فاخذني زهو وارتياح محا كل من انتقد الاضطراب في مواضع كتبتي الكثيرة وفي تنوعها وابتماد مواضع بعضها عن العلوم الطبية ، فقلت لهذه السيدة .

— اني اتعمد في جعل كموب كتب مكتبتي مختلفة اللون والتزييق ، فذلك يساعدني على ايجانها بسهولة بين الكتب الكثيرة في الرف الواحد . فسالتني :

— لماذا لاتلصق بكموبها ارقاماً تسلسلية بحسب جردها في دفاترك عن محتويات

المكتبة .

فقلت لها :

— ان ذلك يضيع من جمال كموبها .

فقالت :

— هذا صحيح ، في المكتبات الخصوصية .

« انتهى الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع »

Twitter: @sarmed74

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي - Sarmed

Telegram: https://t.me/Tihama_books

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

٢٠٢٠ شربل حاتم شكر

أستعرت الكتاب من مكتبة المهندس
محز الدين بكر الراوي رحمه الله إلى

وزارة الثقافة والآثار

المركز الثقافي للبحر

السعر: (٣٠٠) دينار



الغلاف: ابراهيم عبد الرزاق

الطبعة: ١٩٩٦

طبع في مطبع دار الشؤون الثقافية العامة

فهرس موجز للجزء الثالث

الصفحة	المقالة
5	صيف وشتاء على سطح واحد 1960
15	صديقي الدكتور (ن) 1960
21	وفاة الدكتور هاشم الوتري 1961
28	بداية كتابة هذه المذكرات 1961
30	وفاة الدكتور فائق شاكر 1962
33	الى قرية برمانه بلبنان 1962
40	جميلة خان وجميل الزهاوي 1962
42	السيدة الأمريكية 1962
47	كابوس صيف 1962
53	زيارة الى القاهرة 1962
58	مع عبد الكريم قاسم ومظاهرات ضده 1962
63	مقتل الكريم قاسم 1963
74	في مطار المثنى 1964
76	اول جائزة تقديرية 1964
117	الى نيو شاتل وبودري في سويسرا
120	الى جنوة بايطاليا
128	عن التدخين 1965
130	هاشم الوتري وقاسم الرجب 1965
137	مئذنة سوق الغزل وجامع الخلفاء 1965
150	في ادنبرة ومانجستر 1965
167	شبح الخطيئة 1966
170	الدكتور كرجي ربيع واهله يهربون الى امريكا 1966
178	السعوديون والكويتيون 1966
195	يوم النكسة في الحرب مع اسرائيل 1967-6-5

201	وفاة الدكتور جلال العزاوي 1967
217	اطول استشارة طبية 1968
229	مكتبتي الخاصة في داري بالشماسية 1969
تنويه: هذا الفهرس الموجز ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعدده تسهيلاً للوصول الى رؤوس المواضيع . م. سرمد حاتم شكر السامرائي	